

إبراهيم قاعود

عمر التلمساني

شاهدا على العصر

الإخوان المسلمون في دائرة الحقيقة الغائبة

المختار الاسلامي

للطباعة والنشر والتوزيع

////////////////////

إهداء

الى :

العالم الاسلامي الذي طالت رقدته وغفوته لعله يستيقظ قبل أن يفوت الأوان

الى :

روح الامام الشهيد المرشد والمعلم والمربي على منهاج كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم

الى :

المدافعين عن كلمة الله في أرضه : السابقين واللاحقين بالكلمة والقلم والخلق والعمل والجهاد والسالكين في دروب النور الإلهي
والشهداء الأبرار الأطهار .

* أهدي هذه الإضافة المتواضعة *

تقديم بقلم : الأستاذ عمر التلمساني

قصة هذا الكتاب

طالبني بعض من أعرف بكتابة مذكراتي باعتباري مشغلا بالأمور السياسية في هذا الوطن الغالي منذ عشرات السنين ولم أجد في صدري راحة لكتابة مذكرات على النمط الذي قام به الكثيرون ذلك لأن كاتب المذكرات إذا كان جادا ومنصفا يتناول جانبين من حياته: الجانب الخاص والجانب العام . ولئن كانت الحضارة الحالية لا تقيم وزنا للعامل في الميادين العامة من ناحيتها الخاصة ما دام عمله في الناحية العامة جيدا ولكني كمسلم لا أسلم بهذا الرأي الفضفاض لأني أؤمن بأن التلاحم بين الناحية العامة للشخص وناحيته الخاصة أمر لا يمكن فصله على النحو الذي يراه المحدثون إن الناحية الخاصة للإنسان بالغة الأثر في ناحيته العامة لأن الرأي دائما وليد العقل والعاطفة معا على السواء ولا يستطيع العقل أن يحكم في أمر متجردا من ناحيته العاطفية وإلا كان إنسانا آليا وهذا ما لا يرضاه لنفسه من يحترم نفسه فالحب والبغض الاتفاق والاختلاف والنفور والانسجام والإقرار والانكار والقرب والبعد الرضا والازورار الاستعطاف والاستئفال كل هذه المشاعر والأحاسيس الغالبة لا يستطيع العقل ان يتخلص منها وهو يقضى في أمر من الأمور أو يصدر حكما من الأحكام . وما من شك أن الحكم ليس هو الحق في ذاته ولكنه مظهر من مظاهر الحق لا أكثر ولا أقل خاصة إذا كان أحد الطرفين ألحن بحجته وأدكى في التدليل والبرهنة وما دمنا لا نستطيع أن نعرى أنفسنا أمام الناس في خاصة شئوننا فلا يجمل بنا أن ندعي أن ما نكتبه مذكرات للتاريخ والإنسان الأمين إذا تحدث عن نفسه لا يقدمها مبرأة من العيوب والسيئات بل يقدمها كما هي بشرها وخيرها وعجزها وبجرها وهذا أمر نحن

مطالبون ألا نشيعه بين الناس لأن الله إذا ستر على عبد في معصيته فلا يجوز أبدا لهذا العبد أن ينشرها على الملأ فكيف إذا يباح لمسلم ما أن يخالف تعاليم دينه . من هذه الناحية رفضت وأرفض وسأرفض فكرة كتابتي لمذكرات تنسب الى على أنى كاتبها .

ولما ألح الأستاذ الفاضل ابراهيم قاعود ووجد منى الاصرار على الامتناع اقترح أن يوجه الى أسئلة أجيبه عليها وبهذا يرفع عنى الحرج ما دمت ملتزما الدقة والأمانة فى الاجابة ودارت بينه وبينى أحاديث وطالت جلسات وكثرت أسئلة من هنا وهناك وانتهى منها الى وضع كتابه هذا ولولا أن هذا الكتاب يصحح الكثير من الاتهامات والمغالطات التى وجهت للإخوان المسلمين لما رحبت بنشره فى حياتى ولكن ما دامت أجهزة الاعلام كلها موصدة أبوابها دون الكثير مما يجب أن يعرفه الناس عن المشتغلين بالمسائل العامة فلا مندوحة إذا من ولوج باب مفتوح لذكر كثير من الحقائق التى تخفى على جمهور القارئ داخل مصر وخارجها ولا أطالب القارئ أن يأخذ إجاباتى قضية مسلمة بل عليه أن يوازن بين الاتهام والدفاع حتى يخرج لنفسه بالحقيقة التى يرتاح اليها الضمير النقى المنصف العادل وإنها لأمانة ويجب أن تؤدى فى صدق الى أهلها من الحاضرين والآتين على مرالسنين .

وما من شك أن هذا الجهد الكبير والعمل المتواصل أمر مشكور للأستاذ ابراهيم قاعود لأن هدفه تجلية الحقائق وهذا دوره فى مؤلفه هذا إذ أنه لم يتحيز الى جانب من الجوانب المتخالفة من شخصيات هذا الكتاب واسأل الله أن يثيبه على قدر نيته كما أعتذر الى القراء عن انشغالهم وقتا ما بأمور تمسنى فى هذا المؤلف الكبير فما كان فى ذلك من بد معاونة للمؤلف على ما لمست فيه من رغبة صادقة فى تحرى الحقيقة من مصادر تعودت أن تلتزم جانب الحق ولو ضد مصلحتها أو موقفها .

والكتاب كما يرى القارئ استعان مؤلفه ببعض ما كتب الإمام الشهيد وبما نقله عنى وكنت أود لو أستعان بآخرين ليتسع أمامه البحث والمقارنة والتأكيد على صدق ما أخذ نفسه به فى هذا المجال ولولا أن أبواب أجهزة الاعلام أوصدت فى وجه الاخوان المسلمين إلا من بعض المقالات التى لا تفى بالغرض وحصر ما نسب الى الاخوان ولولا أن ما تفضل به بعض الكتاب أمثال الأستاذين الفاضلين : أنور الجندى ومحمود عبد الحليم فى الدفاع عن الاخوان المسلمين يحفز الأقلام على السير فى هذا الاتجاه ولولا وفاء لهذه الدعوة الشاملة النافعة ولولا وجوب الافصاح عن كلمة الحق إذا ما سنل الانسان عنها لولا ذلك كله لتحرجت عن إجابة الأستاذ المؤلف الى ما طلب أو سأل .

إن العالم كله يشهد مدى ضراوة خصوم الاسلام فى النيل من الإخوان المسلمين بغير الحق فكان لزاما على كل راغب فى الحقيقة ونصرة الحق أن ينبرى لكشف الأباطيل التى قيلت عن الاخوان المسلمين ليس معنى هذا أن الاخوان المسلمين مبرؤون من الخطأ ولكن الموازين القسط توازن بين الحسنات والسيئات فإذا رجحت كفة الحسنات فى جانب الإخوان المسلمين وهذا ما أحسب ولا أزكى على الله أحد فقد فاز الإخوان برضاء الله عنهم هذا الى أن الأخطاء الفردية لا يجوز شرعا أن تؤخذ بها الجماعة كلها " ولا تزر وازرة وزر أخرى " . لأن الحساب يوم الحساب فردى وشخصى " يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها " حيث لا قيمة للحياة ولا للسلطان " يوم لا ينفع مال ولا بنون " .

ولما كانت المعلومات التى ذكرت فى الكتاب على لسانى مرجعها الذاكرة ولما كانت ذاكرة المتقدمين فى السن من أمثالى عرضه للنسيان فإننى أقرر صادقا أننى تحررت فيها الدقة الكاملة والانصاف المريح الذى لا تأثير للعاطفة عليه هذا الى أننى على استعداد كامل لتقبل أى تصحيح يرى ناصحه أنه هو الحق لأننا جميعا نسعى لسرد التاريخ المجرد عن الهوى المصفى من الغرض المنقى من التحريف ميلا مع أى دافع يدفع صاحبه الى التستر أو التخفى .

إن الجهد الذى بذله الأستاذ ابراهيم قاعود جهد مضمّن ومشكور وكل ساع الى ذكر الحقيقة خليق بأن يشكر وأن يثنى عليه ففيه إحاطة وافية عن أحداث تاريخية قريبة وفيه حفظ لهذا التاريخ أن يتبدد بين دفات المجلات والصحف وحبذا لو تبارى الكتاب فى تاريخ هذه الفترة من الزمن القريب قبل أن تضيع معالمها ما دامت الحكومات قد منعت نشر الوثائق الرسمية الخاصة بهذه الفترة فمرحبا بالمؤلف الجديد وعلى بركة الله .

عمر التلمساني

تصدير

دائرة الحقيقة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد الذي بعثه الله رسولا ومبشرا ونذيرا ورحمة للعالمين .
لقد انطلقت رسالة الاسلام الى قلوب وأفئدة البشر لتخرجهم من ظلمات الجهل والجهالة الى دروب النور والايمان ولتحكم كلمة الاسلام
الايمانية سائر أنحاء المعمورة ولتهوى الى الأبد امبراطوريات ظالمة جائرة على الفطرة الانسانية وتسليح اصحاب الدعوة الأوائل بسلاح
الايمان فانطلقوا الى مشارق الأرض ومغاربها (فاتحين) ومبشرين بالنور الإلهي وبنى الإسلام دولته مستندة على عقيدة لا اله الا الله
محمد رسول الله ولكن سرعان ما باعدت أهواء الدنيا وبريقها بين العقيدة وأهلها الذين تفرقوا شيعا وفرقا ولكن الله سبحانه وتعالى
يقيض من يذكر هذه الأمة العريقة الأصيلة بعقيدتها الكاملة المتكاملة .

ووسط عوامل الضعف والوهن الذي أصاب جسد الأمة الاسلامية بسبب الهجمات الشرسة التي وجهت للعقيدة السمحاء فإن شابا مسلما قد
عز عليه ما أصاب دينه وعقيدته وامته فتولدت في نفسه كل عوامل الغيرة على دينه وأنه لا بد من إنقاذ هذه الأمة من عثرتها وإيقاظها
من غفوتها وتخليقها . ز فانطلق حاملا روحه على كفه داعيا ومرشدا ومعلما ومربيا على هدى من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم والسلف الصالح . ز هذا الشاب هو الامام الشهيد حسن البنا الذي عز عليه حال الاسلام فانطلق داعيا لانشاء (الجماعة المسلمة)
التي تقف وسط بحار المدينة وأهواء البشر ولا تغرق فيها وعلى مدى عشرين عاما قاد الامام الشهيد حركة الاخوان المسلمين وهي ا
لحركة التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء أنها كانت من أنضج وأقوى الحركات الاسلامية في العصر الحديث والذي يقرأ تاريخ مصر
الحديث لا بد أن يجد الاخوان المسلمين على خريطة الحياة السياسية المصرية متعاملين ومتفاعلين مع كل الأحداث والاتجاهات على مدى
نصف قرن من الزمان .

ولكن هذه الجماعة المسلمة لم تسلم من الطعنات وزالسهام الجارحة المميته وحملات التشويه والتزييف ولا في أصحابها كل ألوان المحن
والتعذيب من أجل انتزاع العقيدة من قلوب أعضائها .

وهذا الكتاب محاولة لرصد جانب كبير من تاريخ مصر من خلال هذه الجماعة التي استقرت على خريطة مصر السياسية خلال نصف قرن
ولكن هذه الحركة رغم تراثها فإنها لم تعن بتسجيل نشاطها ورصد تاريخها اللهم إلا كتابات الامام الشهيد حسن البنا وبعض الإخوة
المسلمين مما مما أتاح لهواة ومحترفي التصنيف والتشويه أن يطعنوا ظهر هذه الدعوة ويبتدعوا الروايات الكاذبة والتصورات الوهمية
وكان لا بد من رصد تاريخ هذه الحركة وهنا كان الالتقاء مع أحد الذين عاصروا جهاد هذه الجماعة على مدى 50 عاما ودفع مع غيره من
المجاهدين ضريبة الجهاد من ابتلاء واختبار .. إنه الأستاذ عمر التلمساني الذي سعدت وسي سعد الكثيرون من المخلصين للعقيدة الاسلامية
أن يسمعوا شهادته للتاريخ حيث عايش تاريخ الحركة وتفاعل مع أحداثها وواجه مع غيره تلك الصدمات والهجمات الشرسة من كل
الأطراف المعادية للفكرة الاسلامية ودفع حريته ثمنا لإيمانه وإخلاصه لعقيدته وليكشف للقراء تاريخ ما أهمله التاريخ وما قصد الكثيرون
طمس معالمه والكتاب محاولة مبصرة وليست عمياء . لكشف حقيقة علاقات الإخوان المسلمين بالأحداث وبأطراف الصراع على مدى
خمسین عاما . ولقد حاكت الإخوان المسلمين عشرات الدوائر القضائية ولكن دائرة واحدة لم يقدم لها الإخوان المسلمون وهي دائرة
الحقيقة التي غابت سنين طويلة وأن الألوان أن يدخلها الإخوان بتاريخهم وجهادهم ليقولوا للناس جميعا : هذه رسالتنا وهذه دعوتنا وهذه
حقيقتنا وتاريخ الأمم هو ضميرها - والتاريخ لا يعرف الرحمة والشفقة والمحاولات التي بذلت لإهالة التراب عليه حتى لا يراه الناس - هي
محاولة لا بد أن تستمر لأن كلمة الحق لا بد أن تقال .. وهذا الكتاب محاولة متواضعة لوضع النقاط فوق الحروف حول تاريخ جماعة
الاخوانا لمسلمين وتقديم الصورة الصادقة أمام دائرة الحقيقة .

ولا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر للأستاذ الفاضل عمر التلمساني على مساهمته الفائقة في هذا الكتاب .. والتي كان لها الفضل في خروج مادة الكتاب كما أخص بالشكر زوجتي الفاضلة التي وقفت بإخلاص ودون كلل وراء إتمامي هذا العمل وأتوجه بشكري أيضا لكل من ساهموا في إخراج هذا الكتاب الى النور .

والله الموفق وهو المستعان

المؤلف إبراهيم قاعــــود

القاهرة في : رجب 1403

إبريل 1983

قبل أن نبدأ :

تمهيد تاريخي

هكذا بدأ الإخوان المسلمون

أخذت جماعة "الاخوان المسلمون " موقعها على خريطة الحياة السياسية في مصر والشرق العربي والاسلامى على مدى نصف قرن من الزمان وكذا على خريطة الفكر الاسلامى كأبرز الحركات السياسية الاسلامية فى العصر الحديث - وذلك باعتراف خصومها وأعدائها قبل مؤيديها - رغم ما لا فته من صنوف التعذيب والتنكيل والتشويه التى تعدت حدود الطاقة البشرية ودائرة إنسانية الإنسان ومع هذا كله ظلت علتها متأججه وضاعة رغم أحداث السنين .

وخلف هذه الحركة العريقة التاريخ والتي تخطت الخمسين من عمرها وقف الامام الشهيد حسن البنا نموذجا فريدا على دروب المجددين للأمة الإسلامية مؤسسا ومعلما ومرشدا لهذه الحركة على امتداد حياته - القصيرة - والتي أنهتها رصاصات الغدر التى وجهت لصدر الشهيد الأعزل وسط شوارع القاهرة ليسقط فى ساحة الشرف ولم تسقط الراية التى تلقفتها أيدي المجاهدين .. راية " لا إله إلا الله محمد رسول الله " صلوات الله وسلامه عليه وحين خرجت هذه الجماعة لتأخذ موقعها على خريطة الواقع والتاريخ حاملة شعار تجديد شباب الأمة المسلمة والوطن الاسلامى والتمسك بالجنور الاسلامية وإحياء حضارة الاسلام فى عصوره الباهرة فإنها وجدت تفاعلا تلقائيا مع جماهير الشعب البسيط و المثقف منه .. أزعج أرباب السلطان سواء فى ظل النظام الملكى ثم بعد ذلك نظام الضباط الأحرار العسكرى الشمولى لأنها شهرت سلاح العقيدة الاسلامية فى وجه من يريدون إطفاء نور الله من صدور عباده المخلصين ويحولون دون وصول رسالته للعالمين .

والذى يتتبع ويرصد مسار هذه الحركة يستطيع أن يرسم خطا بيانيا لزيادة مطردة أو تناسبا طرديا بين متغيرين .

الأول : نجاح الحركة والتفاف الآلاف بل الملايين حولها وما يمثله ذلك من التفاف حول العقيدة الاسلامية .

الثانى : ازدياد وتصاعد موجة الاضطهاد والتنكيل بأعضاء الجماعة - وخاصة أقطابها - ليدفعوا ضريبة الجهاد الغالية .

وهذا ما تنبه له وأدركه الإمام الشهيد حسن البنا بحسه الصادق حين قال : " أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيرا من المشاق وسيعترضكم كثير من العقبات وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء .

وهذا ما حدث بالفعل !!

والطريق للتعرف على شخصية الامام الشهيد حسن البنا لا بد أن يمر بمرحلة طفولته وشبابه أو التعرف الى جذوره الأولى والتي أسهمت دون شك فى دفعه على رأس جماعة الاخوان المسلمين لخوض غمار حرب ضروس طوال حياته فى مواجهة قوى شتى وصراعات جمة .

الإمام الشهيد حسن البنا من مواليد عام 1906 بقرية " شمشيرة " مركز فوة (التابع الآن لمحافظة كفر الشيخ) ونزح والده وهو صغير الى بلدة المحمودية (بمحافظة البحيرة) حيث افتتح الوالد محلا لتصليح الساعات ومن هنا لقب " بالساعاتي ط والتحقيق الصغير بإحدى المدارس الأولية وأتم حفظ لقرآن الكريم ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية بدمنه ور وعين بعد حصوله على دبلوما للمعلمين بمدرسة " خربتا " الأولية بمركز كوم حمادة وعلى مدى السنوات الأولى من حياة الفتى الصغير نلمح توجهاته الدينية الفطرية في مواظبته على أداء الصلوات في المسجد الصغير بالمحمودية وحرصه على حضور دروس الوعظ وحلقات الذكر وحبه للاستزادة من مناهل الفكر والفلسفة وتأثره بفلاسفة الاسلام وعلى رأسهم الإمام " أبو حامد الغزالي " وسعيه لتكوين جماعة صغيرة هي الجمعية الحسافية الخيرية والتي عين سكرتيرا لها وعين الاستاذ " أحمد السكري " التاجر بالمحمودية رئيسا لها للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومحاربة موجة التبشير التي استشرت على يد الرسائل الإنجيلية في ذلك الوقت وفي مذكراته * " كانت أيام دمنهور ومدرسة المعلمين أيام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة .. " .

ثم جاءت فترة أحداث ثورة 1919 التي انفعل بها الإمام الشهيد أيما انفعل وأصدر ديوانا شعريا كبيرا كان نصيبه الحرق الكامل . كما يذكر الإمام الشهيد الصور التي تسابقت أمام مخيلته وترسخت فيها فهو يقول : * " ولا زلت أذكر منظر بعض الجنود الانجليز وقد هبطوا القرية وعسكروا في كثير من نواحيها واحتك بعضهم ببعض الأهالي فأخذ يعدو خلفه بحزامه الجلد .. حتى انفرد الوطني بالانجليز فأوسع ضربه ورده على أعقاب خاسنا وهو حسير ولا زلت أذكر الحرس الأهلى الذى أقامه أهل القرية من أنفسهم وأخذوا يتناوبون الحراسة ليالى متعددة حتى لا يقتحم الجنود البريطانيون المنازل ويهتكوا حرمة الناس .. وكان حظنا من هذا كله كطلاب أن نضرب في بعض الأحيان وأن نشترك في هذه المظاهرات وأن نصغى الى أحاديث الناس حول قضية الوطن وظروفها وتطوراتها .. " .

ثم فكر في إكمال دراسته العليا وبالفعل تقدم للالتحاق بدار العلوم بالقاهرة حيث قبل بها وعمره ستة عشر عاما وأقام مع بعض أصدقائه بحى السيدة زينب وكانت رحلته في دار العلوم مع التفوق حيث بز أقرانه واستحق تكافآت التفوق ثم انتقلت أسرته للقاهرة وكان ينتهز فرصة اجازة الدراسة الصيفية في العمل في دكان أقامه لتصليح الساعات - وهي نفس مهنة والده - ليعول نفسه ويكسب من عمل يده وفى نفس الوقت كان يجد سعادة في هذه الاجازة ليلتقى بصديقة الأستاذ أحمد السكري - الذى جمعه بالامام الشهيد صداقة لم يفرقها سوى استشهاده الأستاذ البنا عام 1948 - أما خلال فترات الدراسة بدار العلوم فكان حريصا كل الحرص على حضور المنتديات الاسلامية القليلة في ذلك الوقت وطرات في ذهنه فكرة الدعوة الاسلامية خارج حدود المسجد الذى رأى تأثيره ضعيفا وسط زحف موجات الانحلال والبعد عن الاخلاق الاسلامية فدعا رفقة من إخوته في الاسلام لارتياح القهاوى وإلقاء الخطب والمواعظ في العقيدة والأخلاق الاسلامية ونجحت التجربة ووجدت قبولا طيبا لدى رواد القهاوى ويمكن اعتبار هذه التجربة هي الارهاصة الأولى لفكر حسن البنا والتي أثمرت في النهاية خروجه بفكرة تشكيل جماعة الاخوان المسلمين الى حيز النور .

فقد بدأت فكرة انقاذ الأمة الاسلامية تختمر وتلح على ذهن الامام الشهيد الحريص على إسلامه وعقيدته السمحاء ورأى وطنه ممزقا بين قوى الاحتلال الإنجليزى التي تجثم على صدره وموجات الانحلال ونشاط الرسائل الانجيلية التبشيرية والذى امتد ليشمل كل أرجاء القطر المصرى وترددت تلك الصيحة المدوية الخالدة : وإسلاماه !! وإسلاماه !! ويروى الامام الشهيد حسن البنا في مذكراته * أحداث تلك الفترة التي قضاها في القاهرة : " وعقب الحرب الماضية (يقصد الحرب العالمية الأولى) وفي هذه الفترة التي قضيتها بالقاهرة اشتد تيار موجة التحلل في النفوس والآراء والأفكار باسم التحرر العقلى ثم في المسالك والأخلاق والأعمال باسم التحرر الشخصى فكانت موجه إلحاد وإباحية قوية جارفة طاغية لا يثبت أمامها شيء تساعد عليها الحوادث والظروف لقد قامت تركيا بانقلابها الكمالى وأعلن " مصطفى كمال باشا " إلغاء الخلافة وفصل الدولة عن الدين في أمة كانت الى بضع سنوات في عرف الدنيا مقر أمير المؤمنين واندفعت الحكومة التركية في هذا السبيل في كل مظاهر الحياة " .

ويستطرد الامام الشهيد " كان لهذه الموجة رد فعل قوى فى الأوساط الخاصة المعنية بهذه الشئون كالأزهر وبعض الدوائر الاسلامية ولكن جمهرة الشعب حينذاك كانت إما من الشباب المثقف وهو معجب بما يسمع من هذه الألوان وإما من العامة الذين انصرفوا عن التفكير فى هذه الشئون لقلّة المنبهيين والموجهين وكنت متألما أشد الألم فهأنذا أرى أن الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين أسلامها الغالى العزيز الذى ورثته وحمته وألفته وعاشت به واعتز بها اربعة عشر قرنا كاملة وبين هذا الغزو الغربى العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من المال والجاه والمظهر والمتعة والقوة ووسائل الدعاية " ز

وانتقل الشهيد الامام حسن البنا الى مرحلة أخرى من تفكيره فلم يجلس مستسلما لما يجد من حوادث عظام وإنما بدأ الألم الذى كان يحترق فى صدره يتحول الى عمل فبدأ اتصاله بكبار رجال الأزهر ومنهم الشيخ " أحمد يوسف الدجوى " وتحدث اليه فأظهر الألم والأسف وأخذ يعدد مظاهر الداء والآثار السيئة المترتبة على انتشار هذه الظاهرة فى الأمة وخلص من ذلك الى ضعف المعسكر الاسلامى أمام هؤلاء المتأمرين عليه وكيف أن الأزهر حاول كثيرا أن يصد هذا التيار فلم يستطع .

وقد زاد حلقة هذه الفترة التى عاشها الشهيد حسن البنا فترة شبابه الحملات التبشيرية الضخمة التى أرسلها الانجليز لمصر ومهدوا لها بنشر المرض والجهل وانتشر المبشرون فى كافة أنحاء البلاد فى الوجهين البحرى والقبلى تحت سمع وبصر المسؤولين والحكام واستغل المبشرون فقر الناس وحاجتهم وجهلهم وبثوا دعواتهم ووجدوا بالتحديد فى الصعيد مرتعا خصبا لدعوتهم وأفكارهم حيث الجهل والانهاز والفقر واستغل الانجليز سلطتهم فأسكتوا الصحف المعارضة لهذه الحملة المسمومة بالاغلاق والمصادرة وتكميم الأفواه .

وبفورة وحماس الشباب انطلق الشهيد البنا يعلن غضبه واعتراضه على هذا الاستسلام والاختناق واندفع يتحدث عن السبيل لانتقاذ الأمة الإسلامية وأن أسلوب التآلم واجترار الماضى لم يعد يصلح لمقاومة هذه التيارات الجارفة ووجد الشهيد البنا معارضة لأقواله وتأييدا جارفا فى نفس الوقت ولم تنقض هذه الجلسة إلا واتفق على اصدار مجلة " الفتح الاسلامية " وأسندت رئاسة تحريرها للكاتب الاسلامى محب الدين الخطيب ..

ولم تستطع الحملة التبشيرية أن تصمد أكثر من عام وحملت أمتعتها وغادرت مصر غير مأسوف عليها وتطهرت مصر منها .. بعد أن نجحت مجلى الفتح فى فضح المؤامرة وتواطؤ الانجليز وأذئابهم فيها كما تكونت لجنة برياسة الشيخ " محمد مصطفى المراغى " لمقاومة التبشير وتصدت له بكل قوة وعنف حتى استسلم المبشرون وسقطت حججهم ودعواهم أمام العقيدة الاسلامية ثم تلى ذلك إنشاء جمعية " الشبان المسلمين " التى أسندت رياستها للدكتور عبد الحميد سعيد " وكان الإمام الشهيد أول من سارع بالانضمام إليها.

ومضت سنوات الدراسة بدار العلوم وتخرج الامام الشهيد وكان أول دفعته عام 1927 ولم يرشحه أحد لبعثة دراسية فى الخارج كما هو المعتاد وعين الشهيد البنا بالاسماعيلية وبعد عام من سفره للإسماعيلية تكونت أول نواه لتشكيلات الاخوان المسلمين وشعبهم . وفكر الامام الشهيد أن يعاود تنفيذ تجربته السابقة فى ا لدرس والوعظ فى القهاوى للمرة الثانية نجحت الفكرة نجاحا كبيرا فى اجتذاب رواد القهاوى نظرا لسلامة أسلوب الشهيد الامام وقدرته الفائقة على الاتصال بجمهور ورواد القهاوى وكان هو فى نفس الوقت يقوم بعملية جس نبض للمجتمع الجديد والمؤثرات التى تحكمه واتضح أنها : العلماء وشيوخ الطريق والأعيان والأندية وسعى بالفعل بالاتصال بهذه العناصر للعمل على خدمة الاسلام وإعلاء شأنه وإنقاذه من المسلمات التى لحقت به وأحاطت به .. وكانت لمدينة الاسماعيلية سماتها الخاصة التى تميزها عن باقى القطر المصرى فهناك ترمى المعسكر الانجليزى ببأسه وسلطانه و هناك مكتب شركة قناة السويس الذى كان يسيطر على كل شئون المدينة وهناك المنازل الفخمة فى حى الأفرنج يقابلها المساكن المتواضعة فى حى العرب .

وأحس الإمام الشهيد حسن البنا بأن الله قد اختار له هذه البقعة لتبدأ فيها حركته ودعوته ..وقد كان .

**** نحن إذن " الإخوان المسلمون "**

وفى ذى القعدة سنة 1347 هـ مارس سنة 1928 زار الامام الشهيد حسن البنا ستة : من الإخوة هم : حافظ عبد الحميد ، أحمد الحصرى ، فؤاد إبراهيم ، عبد الرحمن حسب الله ، إسماعيل زكى ، زكى المغربى ، وهم من الذين تأثروا بالدروس التى ألقاها الإمام الشهيد وتحدثوا إليه قائلين * : " لقد سمعنا ووعينا " . ز وتأثرنا ولا ندرى ما الطريق العملية الى عزة الاسلام وخير المسلمين ؟ ولقد سنمنا هذه الحياة : حياة الذل والقيود وما أنت ترى أن العرب والمسلمين فى هذا البلد لا حظ لهم منزلة أو كرامة وأنهم لا يعدون مرتبة الأجراء التابعين لهؤلاء الأجانب .. ونحن لا نملك إلا هذه الدماء تجرى حارة بالعزم فى عروقنا وهذه الأرواح تسرى مشرقة الايمان والكرامة مع أنفسنا وهذه الدراهم القليلة من قوت أبنائنا ولا نستطيع أن ندرك الطريق الى العمل كما تدرك أو نتعرف السبيل الى خدمة الوطن والدين والأمة كما تعرف وكل الذى نريده الآن أن نقدم لك ما نملك لنبرأ من التبعة بين يدى الله وتكون أنت المسنول بين يديه عنا وعما يجب أن نعمل وإن جماعة تعاهد الله مخلصه على أن تحيا لدينه . وتموت فى سبيله لا تبغى بذلك إلا وجهه لجديرة أن تنتصر وإن قل عددها وضعت عددها .

ويقول الامام الشهيد كان لهذا القول المخلص أثره البالغ فى نفسى ولم أستطع أن أتصل من حمل ما حملت وهو ما أدعو إليه وما عمل له وما أحاول جمع الناس عليه فقلت لهم فى تأثر عميق " شكر الله لكم وبارك هذه النية الصالحة ووقفنا الى عمل صالح يرضى الله وينفع الناس وعلينا العمل وعلى الله النجاح فلنباع الله على أن نكون لدعوة الاسلام جندا وفيها حياة الوطن وعزة الأمة " . وكانت بيعة .

وكان قسما أن نحيا إخوانا نعمل للإسلام ونجاهد فى سبيله .

وقال قائلهم : بم نسمى أنفسنا ؟ وهل نكون جمعية أو ناديا أو طريقة أو نقابة حتى نأخذ الشكل الرسمى ؟ فقلت : لا هذا ولا ذاك دعونا من الشكليات ومن الرسميات وليكن أول اجتماعنا وأساسه : الفكرة والمعنويات والعمليات . نحن إخوة فى خدمة الاسلام فنحن إذن " الاخوان المسلمين " .

وجاءت بغته .. وذهبت مثلاً .. وولدت أول تشكيله للإخوان المسلمين من هؤلاء الستة حول هذه الفكرة على هذه الصورة وبهذه التسمية . وهكذا يمكن اعتبار مارس 1928 هو البداية الفعلية لانطلاق حركة جماعة " الإخوان المسلمين " بعد أن ظلت تراود ذهن الإمام الشهيد حسن البنا لفترة من الوقت حيث ازداد تفكيره فى حال الأمة الاسلامية وما وصلت اليه من ضعف إزاء التيارات الجارفة والعاتية التى تهدد كيان هذه الأمة وتكاد تعصف بمستقبل أبنائها .. وكانت البيعة بين مجموعة من المسلمين الحريصين على اسلامهم وعقيدتهم وتوحدت توجهاتهم فى :

* احتجاجهم الصارخ على ما أصاب القطر المصرى من داء الانحلال والتحلل والبعد عن الاخلاق الاسلامية .

* احتجاجهم على أسلوب الرفض السلبي والصامت من جانب علماء الدين وخاصة فى الأزهر إزاء ما يجرى من مجريات الأمور ومحاربة الاسلام والمؤمنين به .

* اتفاقهم على التسليم بالبيعة لهذا الشاب المخلص الذى توسموا فيه خيرا كبيرا وذلك من خلال دروسه وخطبه فى القهاوى والمنتديات العامة وبالإسماعيلية وما أحدثته هذه الدروس من آثار طيبة .

* اتفاق وجهات نظرهم على أن الطريق لاتقاز الأمة الاسلامية يبدأ من خلال جماعة إسلامية قوية قادرة على النهوض بأعباء هذه المهمة الصعبة مهما كانت التضحيات ومهما عظم وغلا ثمنها .

وهكذا وضع المجتمعون اللبنة الأولى فى صرح بناء جماعة الاخوان المسلمين وانطلق الشهيد البنا يدعم هذا الصرح مستعينا بأول تشكيل من الجماعة بادنا بعدة خطوات منها " مدرسة التهذيب " التى تعنى فى جانب كبير بدراسة القرآن الكريم والعقائد والعبادات والمنهاج الاسلامى القيم وفى جانب آخر كان الشهيد الامام يهدف لدعم أواصر التعارف والمودة والمحبة بين أفراد التشكيل الأول كما رنا الشهيد الى خارج حدود الإسماعيلية لنشر الدعوة وتنقل داعيا ما بين القاهرة والمحمودية والإسماعيلية لهذا الغرض .. وواجهت دعوته فى

البداية صعوبات جمة ولكن إيمانه بالله هو ورفاقه جعل الصعاب هينة ما دامت فى سبيل الله ونجح الإمام الشهيد فى إقامة مسجد فى مدينة الاسماعيلية كان بمثابة مركز لأنطلاق الحركة ثم مدرسة حرة فوق المسجد ثم إنتقل مركز الحركة من الإسماعيلية فى عام 1932 لتبدأ مرحلة جديدة أكثر انتشارا وظهورا وتألفت فرقة الرحلات للإخوان المسلمين على نظام الكشافة وانتقلت شعب الإخوان كلها للقاهرة " ثم بدأت مرحلة " رسائل الإمام الشهيد " للإخوان وكانت أولى الرسائل هى : القانون الأساسى للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية وكانت بتاريخ 20 شعبان عام 1351 الموافق 19 ديسمبر 1932 ثم ظهرت جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية بتاريخ أواخر شهر مايو 1933 برأس مال جنيهين فقط واستمرت تصدر أربع سنوات كاملة ثم أصدر الإخوان مجلة " النذير سياسية أسبوعية " لتحديد الخطوط العريضة للإخوان وصدرت فى مايو 1938 أى بعد عشر سنوات من البداية الفعلية لحركة الإخوان وحتى ذلك الوقت كان الإخوان المسلمين 15 شعبة بالقطر المصرى ثم تطورت الحركة وعقد الاجتماع الأول .. لمجلس الشورى العام أو المؤتمر الأول للإخوان المسلمين فى 22 صفر 1352 هـ (1932) والذى تلتها عدة مؤتمرات ثم تألفت لأول مرة هيئة مكتب الارشاد العام للإخوان المسلمين بناء على قرارات مجلس الشورى وبدأت دعوة الإخوان تشق طريقها على ساحة الأحداث متفاعلة مع الواقع مستندة على مبادئ العقيدة الإسلامية السمحاء وتكونت فرقة للأخوات المسلمات فى القاهرة ولم تكتف الحركة بالركون للتحرك داخل حدود القطر المصرى وإنما تعدتها الى كل من دمشق وببيروت وفلسطين مستندة على العقيدة الإسلامية سيفاً والقرآن الكريم كلمة الله لعباده صوتاً وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نبأً ودليلاً على الطريق ولاقى أصحابها من المحن والاختبارات ما يعجز عنه الكثير من البشر وزادتهم هذه المحن ثباتاً على الحق غير زانعين عن طريقه ووقع بعضهم فى أخطاء لأنهم بشر وشيمة البشر الخطأ والتوبة إيماناً بقول المصطفى صلى الله عليه وسلم : " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون " .

الباب الأول

لماذا أخترت الإخوان ؟

* عمر التلمسانى يتحدث

* وبدأت الرحلة بالبيعة

* التمهيد فى الثلاثينات

الفصل الأول

عمر التلمسانى يتحدث ..

على مدى نصف قرن من الزمان وأكثر هى عمر حركة الإخوان المسلمين متعاملة ومتفاعلة مع واقع الأمور ومجرياتهما لاقت فيها ما لاقت وتعرضت لما تعرضت له من أهوال يشيب لها الولدان فى بطون أمهاتهم ويعجز منطق الكلام عن وصفها كان لا بد من أن نتجه الى من عايش خضم هذا البحر الهائج من الأحداث ليفتح لنا ملف ذكرياته ويكشف ما غمض من أسرار ويجلى الحقائق ويظهر ما استتر منها علنا نصل الى مكان فى دائرة الحقيقة الغائبة على مدى نصف قرن بين التزليل والتشويه والتلفيق المتعمد وقد آن الأوان لتقديم الصورة الصادقة الحقيقية بعد طول غياب للحقيقة .

لقد عايش الأستاذ عمر التلمساني هذه الأحداث على مدى نصف قرن من الزمان عاشها عضواً في مكتب الإرشاد وأتاحت له الظروف أن يتعامل ويتفاعل مع هذه الأحداث وكان قريباً من الإمام الشهيد حسن البنا وعاش كل المواجهات والصراعات التي خاضتها حركة الإخوان المسلمين مع كل القوى : سواء أحزاب ما قبل حركة يوليو 1952 والقصر أم جماعة الضباط الأحرار والانجليز ورحلة جماعة الإخوان عقب حركة 1952 وعصر السادات كما شهد الخلافات التي وقعت داخل الحركة نفسها والتي تفجرت بصفة خاصة بعد استشهاد الإمام حسن البنا عام 1948 .

لقد دخل الأستاذ عمر التلمساني جماعة الإخوان المسلمين شاباً يافعاً مرفهاً مترفاً فخلع أريّة الترف والرفاهية ليعيش زاهداً عابداً لربه متمسكاً بعقيدته عاملاً على إحياء مجد الإسلام مع رفاقه في العقيدة وضحي بالكثير وعاش بين جدران السجون ما يقرب من 18 عاماً دافعاً لضريبة الجهاد في سبيل الله مخلصاً النية والعزم مؤثراً عقيدته على ما سواها .

وكان لا بد أن نبدأ مع قصته أو رحلته في الحياة كما يرويها التلمساني طفولة وشباباً ، يقول : " ولدت عام 1904 في أحد البيوت في حي سيدنا الحسين رضي الله عنه وكان للأسرة منزل في قرية " نوى " بمركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية وكان منزلنا مكوناً من خمس شقق في طابقين وكان يجمع والدي وجدى وعمى وكان جدى متزوجاً من اثنين وكذا والدي وكانت اسرتنا ميسورة الحال يمتلك جدى ثلاثمائة فدان .

وتلقيت علومى الأولية في كتاب القرية وأذكر أول من تلقيت العلم على أيديهم الشيخ عبد العزيز القلماوى والشيخ أحمد رفاعى نصار عليهم رحمة الله وكنت بحكم نشأتى ذا وضع مرموق في كتاب القرية وبعيداً عن إساءة المدرسين فكان إصرارى على العلم ميسراً وما كنت أنفر من حصص اللغة كالأطفال الآخرين وكنت أجد في نفسى رغبة للتعلم وتوفى جدى في يناير 1918 وانتقل أبى بنا الى القاهرة وفى نفس البيت الذى ولدت فيه فى حارة " حوش قدم " وكان البيت مملوكاً لنا وكانت الحارة فى شارع الغورية وهناك درست المرحلة الابتدائية فى مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية وكذلك الثانوى ثم أكملت الدراسة الثانوية فى مدرسة " بنبا قادن " بحى الحلمية الجديدة وكنت متفوقاً فى دراستى والتحقت بمدرسة الحقوق عام 1924 وفى السنة الأولى تزوجت فكان الزواج مشغلة لى عن الدراسة خاصة بعد وفاة أبى بعد زواجى بستة أشهر وتخلفت فى الكلية سنتين وتخرجت عام 1930 واتخذت لى مكتباً فى مركز شبين القناطر ولا أستطيع القول : إننى كنت محامياً لا معاً ولكننى فى الوقت ذاته لم أكن مغموراً .

وقد كان لأسرتى تأثير كبير فى حياتى وفى ترسيخ القيمة الدينية لدى وكان جدى رحمه الله عليه محافظاً على الفروض الدينية وكان فى معاملاته مع الذين يعملون أجراً فى أرضه نموذجاً طيباً فقد كان بعضهم يقصر فى دفع إيجار الأرض بالكامل فكان يبحث حالته فإذا وجده مضطراً أعفاه من باقى الإيجار وإن وجده موسراً ويستطيع أن يدفع فكان يحاسبه ويأخذ منه الإيجار بالكامل وكانت له حديقة موالح فى القرية وكان يبيع لكل رجال القرية أن يأكلوا من الحديقة ما يشاءون فإن خرج أحدهم ببريق واحد من الحديقة كان يحاسبه عليها حساباً عسيراً وكان يضربه لأن الشرع يعتبر هذه سرقة فكانت معاملته للفلاحين على هذا النمط وكان يصحو قبل الفجر بساعة تقريباً ويوقظ جميع رجال القرية من الفلاحين ليصلوا الفجر جماعة حاضراً " .

ويضيف الأستاذ التلمساني : " هذا الجو الذى كنت أرى فيه رجال العائلة ونساءها جميعاً يؤدون كل واجباتهم الشرعية ترك أثره فى نفسى وبالنسبة لى لا أدرى فى أى سن بدأت الصلاة ؟ ولا متى بدأت الصيام ؟ وعندما تنبهت لنفسى وجدت نفسى أصوم وأصلى تلقائياً .

وكان يزور القرية كل شهر أو شهرين بعض علماء الأزهر يقضون يوماً أو بعض يوم وكانت المناقشات تدور بينهم وبين جدى حول الآراء الفقهية وكان جدى عليه رحمة الله يأخذ بمذهب " محمد بن عبد الوهاب " وكان متأثراً بابن تيمية وكانت المناقشات تدور بينه وبين المتصوفين حول أرجح الآراء الفقهية وكانت المناقشات تحتدم لدرجة كنت اتصور أنهم سوف يتشابكون بالأيدي وينتهى الأمر بسلام وكان شينا لم يكن .

هذه الصورة جعلتني بالفعل متأثرا بالدين وأمارس شعائره عن اقتناع لا عن تقليد وما ضاعت منى والحمد لله فريضة في يوم من الايام منذ شببت عن الطوق وأدركت واجباتي الدينية وظللت على هذا الى التحقت بكلية الحقوق فكانت أعلى الدرجات التي أحصل عليها في مواد الدراسة هي درجات الشريعة الاسلامية وكنت محل تقدير من هذه الناحية عند المرحوم الشيخ أحمد إبراهيم عليه رحمة الله .. هذه الصور وهذا الاتجاه جعلني أنظر الى نشوء الأحزاب وتصرفاتها في حذر كنت حقا أعتقد أن " سعد زغلول " كان زعيما وطنيا ولكنني كنت أراه - بمنظوري - في رمضان لا يصوم ويدخن السجائر علنا . فكان يبدو هذا في ذهني غريبا . ز كيف أن زعيما مسلما ومصريا مفطرا في رمضان وما كنت أظن أن حالته الصحية تتيح له هذا لأنه كان في حالة صحية جيدة وكل رجال الأحزاب أو زعمائها كانوا تقريبا على هذه الوتيرة فكانت ثقتي فيهم مهزوزة وإن كنت أميل ما أكون الى الوفد متأثرا بالرأى العام في البلد حتى أنني طلب منى أن أكون عضوا في اللجنة المركزية في مديرية القليوبية ودخلت بالفعل وظل هذا الوضع يتأرجح في ذهني الى أن ظهرت دعوة الاخوان في عام 1928 ما كنت أعرف عنها شيئا ولا قرأت عنها الى أن زارني اثنان من الاخوان وعرضوا الفكرة واقتنعت بها وصرت مع الإخوان من ذلك اليوم ولكني لم أكن أقاطع الوفد كانت صلتى بهم سائرة الى ان تبين لى تماما أن الوفد يظن بالاخوان المسلمين أنهم ينافسونه في الزعامة أو الشعبية وبدأت مظاهر القطيعة من جانب الوفد وبدأ يهاجم الإخوان فتحدد الموقف في نظري بصورة واضحة تماما واعتزلت جميع الأحزاب وسرت في طريقي مع الاخوان المسلمين الى يومنا هذا .. ولقد كان التزامي جانب القرآن الكريم منذ طفولتي له بالغ الأثر في حياتي حيث قرأت أجزاء كبيرة منه وحفظتها حتى مرحلة الدراسة الثانوية ثم انقطع التزامي وفتتر حفظي له وتسرب الكثير مما حفظت ولكن منذ عام 1940 عاودت ملازمة القرآن الكريم الى أن حفظته تماما وكنت أحفظه بمفردي وما كنت أحفظ على يد أى إنسان .. ولقد دخلت مدرسة الحقوق لأن دراستي كانت أدبية حيث كنت ميالا للناحية الأدبية وكنت أحب قراءة التاريخ والجغرافيا والأدب وأثناء دراستي الثانوية كنت أتردد على المحاكم وكانت هناك قضايا سياسية تنظر في ذلك الوقت مثل قضية نزاهة الحكم وقضية محاكمة الزعماء الوفد وقضايا أخرى كثيرة كانت دراسة الحقوق تستهويني ولم تكن منصة القضاء أو النيابة تجذبني وإنما كان إعجابي كله محصورا في موقف الدفاع فتمكنت من نفسى غريزة حب موقف الدفاع وصممت على أن أكون محاميا لا أن أكون موظفا .

وقد عايش في هذه الفترة أحداث ومظاهرات ثورة 1919 وما بعدها ولعلني اشتركت في جميع المظاهرات ولنم تفتني واحدة منها في القاهرة مناديا بشعارات الوفد لقد كانت ثورة حقيقية نابعة من أعماق الشعب لأن كل أفراد الشعب وطبقاته كانوا متجاوبين ومتفاهمين مع الاتجاه الوطنى ومحاولة التخلص من الاستعمار وآثاره فكانت مشاركتي في هذه الأحداث مشاركة فعلية ما كنت أكتفى بالقراءة عنها ولكني كنت أشارك في هذه المظاهرات وأذهب الى منزل سعد زغلول وأستمع الى خطبة وكنت في ذلك الوقت معتقدا أن كل الأعمال تعمل خالصة لوجه الله والوطن الى أن كشفت لى الحقيقة شيئا فشيئا فلقد أخذ على سعد زغلول أنه عين كثيرا من أقربائه في الوظائف العليا ويوم أن كان رئيسا للوزراء صرح أنه لو استطاع أن يجعل الحكومة كلها زغلولية عظما ولحما ودما لفعل .. فتبين لى أن الغرض هو حب الزعامة واكتساب المظاهر الشعبية خاصة وأن كل المصريين يعلمون أن سعد زغلول نشأ في صالون الاميرة " نازلى " وكان هذا الصالون يضم كل الأسماء اللامعة في ذلك الوقت وكان معروفا عن تلك الأميرة أن لها صلات بالسفارة أو دار الحماية البريطانية كما كانت تسمى في ذلك الوقت وشيئا فشيئا رأيت كبار رجال الأحزاب يتنافسون على لحكم وقرأت ما كان يكتبه بعضهم ضد بعض من تشنيع واتهامات حتى أنه إذا قرأت ما كتب في تلك الفترة عن سعد زغلول وعن عدلى يكن وعبد الخالق ثروت واسماعيل صدقي والنحاس لا تكاد تصدق أن واحدا منهم كان نظيفا كل النظافة ومخلصا كل الاخلاص لأن كل واحد من هؤلاء كان يطعن فى الآخرين ويتهمهم بالعمالة ويتهمونه بعدم الاخلاص فاستقر رأى أخيرا على أن فكرة قيام دستور وإنشاء أحزاب أصلا كانت فكرة استعمارية قصد منها الوقعة بين أبناء الوطن الواحد وجعلهم يتشاحنون ويتقاطعون بغية الوصول الى الحكم وذلك مما أساء الى الحركة الوطنية لثورة 1919 فبعد أن كانت أسمى وأنظف الحركات الوطنية فى العالم تمزقت شيعا وذهب كل فريق وراء زعيم وأصبح كل واحد من هؤلاء لا يهمه إلا تحقيق مصلحته الشخصية وفى الحقيقة أنه لم يكن فى البداية لهذه الثورة صراعات بين فريق وآخر كان الشعب كله يكاد يكون وفديا ويأخذ بوجهة نظر

سعد زغلول فى المسائل السياسية ويعجب بخطبه وكلماته " الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة .. " كانت عباراته تلهب مشاعر الجماهير وكان النزاع حقيقة بين الوفد وبين السراى وأرادت السراى أن تضعف من شأن هذا الاتجاه فأنشأت الأحزاب : الأحرار الدستوريين فى أول الأمر ثم بعد ذلك السعديين والكتلة وتعددت الأحزاب فى مصر وكان كل حزب يطعن فى الحزب الثانى ويتهمه حتى لو ثبت سمعة جميع الزعماء الذين كانوا يشتغلون بالسياسة فى هذا الوقت وكنا نرى فعلا أن بعض الوزراء يدخلون الوزارة لا يملكون شيئا ثم نرى بعد ذلك عزبا وأراضى باسم بعض الوزراء فكان هذا يثير الشك فى نفوس الناس قد يكون الحصول على هذه الأملاك من طريق سليم إنما البادى للناس أن غمكايات هذا الشخص ما كانت تمكنه من الحصول على هذه الأملاك الواسعة وهم أنفسهم كان بعضهم يتهم بعضا فكان يقول قائل منهم الآخر : كيف حصلت على هذه العزبة وهذه العمارة .. من أين ؟ وهكذا دار الصراع وكان صراعا شخصيا محضا بعيدا كل البعد ما كان للوطن فيه دخل إلا للتأثير على نفسية الشعب فقط .. إنما حقيقة كان الصراع فيها بينهم شخصا ثم كانوا هم أول من بدعوا بوسائل العنف لأن الوفد أنشأ تشكيلة القمصان الزرقاء تم هيئة أخرى هى : حزب مصر الفتاة أنشأت تشكيلة تماثلها اسمها : القمصان الخضراء .

وهكذا كانت كل هذه المظاهر تدل على أن الرغبة المتمكنة فى نفوس الأحزاب هى الوصول الى الحكم لا أكثر ولا أقل والمرة الوحيدة التى اجتمعت فيها الأحزاب وكونت وزارة انتلافية كان الغرض منها إعادة دستور 1923 .. وكان للطلبة دور فى هذا فشكلت لجنة من الطلبة وزارت كل رؤساء الأحزاب وألحت عليهم أن يتفقوا أو يشكلوا انتلafa ليعملوا على زحزحة الانجليز من مصر . وكان أصرح هؤلاء الزعماء إسماعيل صدقى لأنه كان من الذين يقولون بإنقاذ ما يمكن أنقاذه .. ما كان يرى أن الحق من الممكن الحصول عليه مرة واحدة فكان ينادى : بأننا يجب أن نأخذ من الانجليز كل ما نستطيع أن نحصل عليه شيئا فشيئا حتى نحصل على حقوقنا كاملة .. إنما الاتهامات التى كان يوجهها بعضهم الى بعض كانت اتهامات فى منتهى القسوة والشناعة ووصلت لدرجة الاتهام بالعمالة . ز فلان يقول على آخر : إن هذا عميل انجليزى وآخر عميل ألمانى وكانت السيطرة فى واقع الأمر للسراى ودار الحماية البريطانية والانتلتان كانتا مصدر التأثير والنفوذ فى مصر .

وأعود الى مسار حياتى .. فقد عملت بعد تخرجى من مدرسة الحقوق - كما تمنيت محاميا وظللت أشتغل محاميا حتى عام 1954 عندما حكم على بالسجن 15 سنة وعامين اعتقال فانقطعت عن المحاماه وخرجت فوجدت أن أكثر القوانين قد أصابها التغيير وأننى فى حاجة لإعادة الدراسة من جديد لأدرس كل القوانين التى صدرت إن كنت أريد أن أستأنف مزاولة مهنة المحاماة فأثرت اعتقال المهنة . ولقد كانت مهنة المحاماة عندما مارستها فى الذروة والقمة وكان المحامون مثلا فى الالتقاء باللغة العربية وفى الذكاء واستخراج الأدلة والبراهين والقرائن والوقائع التى تؤيد وجهة نظرهم وكان القضاء يأخذ نفس الوضع وكان الاحترام متبادلا بين القضاء والمحاماة وما كنت تجد محاميا من صنف معين إلا على ندره إنما كان كل المحامين فى الذروة فى الأخلاق والعلم وكانت نقابة المحامين أولى النقابات التى كانت لقراراتها السياسية أثر بالغ فى نفوس الأمة من أسوان وحتى الاسكندرية . ولقد رفضت عرضا للعمل فى النيابة عام 1936 كما عرض على منصب فى القضاء عام 1942 فرفضت أيضا مؤثرا أن أكون محاميا مدافعا عن الحق وذلك بطبيعة نشأتى وتكوينى لقد كنت أحب الحرية فى كل شىء .. فى عملى .. فى معيشتى .. فى تفكيرى فوجدت أن المجال الوحيد الذى يستطيع أن يستمتع الانسان فيه بحريته هو مهنة المحاماة ولقد علمتني المهنة كيف يستطيع الانسان أن يعتد بكلمة الحق وبالتزام الحق وبالدفاع عن الحق فكانت كل حياتى قائمة على هذا المعنى ما كنت أستطيع أبدا أن أقول كلمة غير صحيحة وكنت أشعر أنى لو حاولت تغيير حقيقة أن كل الناس يرون مكتوبا على وجهى غضب الله سبحانه وتعالى على أننى كنت صادقا مع نفسى ومع الناس ومع الله فى كل ما كنت أزاو من عمل والحمد لله على كل شىء " . وهكذا نجد أن النبع الإسلامى الذى نشأ فيه الأستاذ عمر التلمسانى ونهل منه هياها لما بعده من أمور وأحداث .. نشأة دينية ووسط مواجهات هادنة بين مسلمين متحمسين لعقيدهم ورغبة جارفة فى الالتزام موقف الدفاع عن الحق دفعه الى دراسة الحقوق ثم مشاركة فى أحداث الوطن ثم عودته لتقييمها على الوجه الصحيح وصيغة ما وصل اليه حال الوطن من تمزقات نتيجة صراعات زعماء

الأحزاب غير المسنولة .. كل هذه العوامل هيأت وأتاحت له الفرصة بل نقول ودفعته الى دخول حركة الاخوان المسلمين عن قناعة بضرورة أن يعود للعقيدة الاسلامية دورها فى إعادة التوازن لعناصر الأمة من أخلاق ومعاملات فيما بين العباد بعضهم البعض وفيما بينهم وبين خالقهم والتي اهتزت داخل جدران الأمة المصرية بسبب العوامل التي سبق ذكرها فى تمهيد الكتاب .

الفصل الثانى

وبدأت الرحلة بالبيعة

اعتمد الشهيد الإمام حسن البنا فى بداية التحرك الفعلى بعد البيعة التي تمت للمرة الأولى فى تاريخ الحركة والتي حددت بدايتها الفعلية عام 1928 على عدة عوامل لحركته :

أ (سرعة نقل نشاط الحركة خارج دائرة مدينة الاسماعيلية الى سائر أنحاء القطر المصرى .
ب) عدم الدخول فى مواجهات أو صدمات من أى نوع مع قوى الضغط والنفوذ فى البلاد وأخطرها الانجليز والسراى ثم قوى الأحزاب ورجالاتها .

ج (الانتشار الفكرى والثقافى من خلال الدروس والنشرات والمجلات التي صدرت عقب وقت غير بعيد من تاريخ بدء نشاط الجماعة.
د (ممارسة أسلوب الدعوة وضم من يرغب عن قناعة كاملة بالجماعة وتوجهاتها وأسلوب الانتقاء والاختيار للعناصر التي تشكل تأثيرا فكريا أو سياسيا أو من يسمون فى العصر الحديث بقيادة الرأى العام ولذا فقد انتشر الأعضاء المؤسسون ومن تبعهم بعد ذلك فى أنحاء القطر المصرى بحثا عن يتوسم فيهم سلامة عقيدته الاسلامية وقوة تأثيره وصلاحيته خلفه للانضمام للجماعة وأيضا من أصحاب النفوذ من الأعيان والتجار الذين يشهد لهم بالصلاحيات والتقوى .. وذلك لقدرة هؤلاء جميعا على التأثير فى المحيط الذين يعيشون فيه بالكلمة الحسنة والأثر الطيب .. وكان كل عضو فى الجماعة حريصا - حرصه على عقيدته - على جذب الكثيرين حوله للانضمام للجماعة لتصحيح مسار الأمة وإعادة العقيدة الصحيحة لقلوب وعقول إخوانهم بعد أن أبعدتهم عنها قوى البغى والانحلال التي لا تريد لدولة الاسلام عودة بأى صورة من الصور ..

هـ (المشاركة بصورة فعلية فى كافة المناسبات الاسلامية والذكرات المجيدة فى القاهرة والأقاليم .
و (أن يكون للجماعة إطار تنظيمى محدد بدءا بمكتب الارشاد والشعب المختلفة والتشكيلات الكشفية والرياضية وقسم الطلاب وغيرها وتحديد السلم التنظيمى لأعضاء الجماعة وذلك تسهيلا للإتصال وتبادل الآراء والتوجيهات بين كافة مستويات الحركة منعا للتخبط والعشوائية بين أعضاء وتشكيلات الحركة .

وكان للأعضاء ثلاث درجات هى الأخ المساعد ، الأخ المنتسب ، الأخ العامل ثم هناك درجة رابعة هى درجة الانضمام " الجهادى " - أى الأخ المجاهد وهنا نعود الى الأستاذ عمر التلمسانى ليروى لنا قصة دخوله جماعة الاخوان المسلمين يقول " فى سنة 1933 زارنى فى مكتبى اثنان من الاخوان المسلمين وسألنى أحدهما ما ذا تعمل ؟ وضايقتى السؤال وقلت لهم ساخرا : أقوم بتربية الكتاكيت ولم يضايقهما الرد وأجاب أحدهما مبتسما ولكن هناك من هم فى حاجة الى التربية أكثر من الكتاكيت .. قلت من ؟ قال المسلمون .. فقلت لهما ولكن هناك جهات حكومية وهناك الأزهر وهى كفيلة بالقيام بهذه العملية فألحا على أن التقى بالأستاذ الشهيد حسن البنا لأدير معه حوارا لعلى أقتنع بوجهة نظرهما .. وكنت فى تلك السن حريصا على المعرفة .

فلما ذهبت اليه فى بيته استقبلنى فى حجرة متواضعة - لم ترقنى الحجرة - وجلست ودار بيننا حديث عن المسلمين بعد كانوا فى صدارة العالم وكانت الدنيا تقف لهم احتراما وتقديرا .

ومضى الحديث فى قرابة الساعة واقتنعت بوجهة نظره ولكنه لم يرض أن يستغل هذا الاقتناع وقال لى أرجىء هذا لأسبوعين وأدر الموضوع فى ذهنك وحدث نفسك بما سمعت فإذا اقتنعت فلنلتق بعد أسبوعين فعذا قبلت فنحن إخوان وإذا رفضت فنحن أصدقاء ولا يضيرنا أن يرفض دعوتنا أحد ما دمنا مقتنعين بها .

وفعلا حرصت على أن أحضر فى الموعد بعد أسبوعين وذهبت إليه وتمت بينى وبينه البيعة وكان هذا نصها :
" أقسم بالله أن أكون وفيًا لدعوة الإخوان المسلمين مطيعًا للمرشد العام فيما أحب وفيما أكره فى المنشط والمكره وأن أنفذ كل ما يصدر الى من أوامر إلا ما كان فيه معصية لله فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق " .

وبهذه المناسبة يشيع كثير من الناس أقاويل ومعانى لا حقيقة لها حول البيعة فالبيعة للمرشد أو أمير الجماعة أو أمير المؤمنين أو المسؤول معناها أنك لا تباع إنسانًا بذاته فغن الله سبحانه وتعالى يقول ك " إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله " . فإذا كانت البيعة مع الرسول صلى الله عليه وسلم هى مع الله جل شأنه فمن باب أولى أن تكون البيعة لأى إنسان هى مع الله فالإخوان لا يقصدون - كما يشيع البعض من المغرضين عنهم - حسن البنا ولكنهم يعتقدون أنه بشر يخطئ ويصيب ولكن عليهم أن يسمعوا ويطيعوا من غير معصية الله وفيما أمر به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه انطلاقًا من الحديث الشريف " لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق " .

وليست البيعة كما يتصورها البعض أنها نقلة بالإنسان من حال الى حال يعنى أن الشخص الذى كان يبايع المرشد كان يعتقد تمامًا أن المرشد إنسان مثله وأنه إنسان ليس بمقدس ولا فوق مستوى الأوضاع الأدمية ولكن الناس لأغراض شوهوا معنى البيعة ويحاولون - وإن فشلوا فى هذا - أن يصوروا أن البيعة معناها الارهاب والتعصب وإغلاق الذهن وعدم الفهم وكل هذه المسائل التى أثاروها حول البيعة وحقيقة الأمر أننا مأمورون فى القرآن بأن نبايع فكان الاسلام لا يتم إلا نتيجة من يسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم تلا ذلك مبايعة المسلمين لأمر المؤمنين وظل هذا الأمر على هذه الوتيرة .

ولقد اخترت جماعة الإخوان دون غيرها لأنه لم يكن فى ذلك العهد أية جماعات دينية لها أثر ولها وجود إنما كانت جماعة الإخوان هى الجماعة الوحيدة التى كانت تنشط فى سبيل الدعوة وتغشى الأندية والقهاوى والمساجد والمجتمعات وانتشرت داخل أسوار الجامعة فى وقت لم يكن هناك أى اثر وأى معنى لكلمة الاسلام فى صفوف الجامعة إنما دعوة الإخوان كان لها وجودها ونشاطها وتحركاتها وأثرها فى نفوس الناس .

ولقد كان باب الانضمام للإخوان المسلمين مفتوحًا لكل من أراد أن ينضم للإخوان وجاء لىبايع الامام المرشد العام أو مندوب المرشد العام الذى يوجد فى المنطقة وكان الإخوان يتقبلون بيعته ويعد من الاخوان المسلمين وكان للإخوان درجات : فهناك الأصدقاء وهم الذين يحبون الإخوان ولا يبايعون المرشد والمنتسبون وهم الذين يأخذون بمبادئ الإخوان المسلمين ويبايعون المرشد وهذا مدى حظهم فى الاخوان المسلمين والإخوان العاملون وهم الذين يبايعون المرشد ويشاركون فى كل أعمال الدعوة من حضور لدروسها الى دفع الاشتراكات وكل ما يطلب من الأخ المسلم ويكون متوافرا عنده لأى أخ من الإخوان يعتبر من الاخوان العاملين ولم تكن هناك شروط للانضمام للجماعة سوى أن يكون الأخ مسلمًا محافظًا على دينه ولا يرتكب الجرائم والمنكرات أو الكبائر ويقتصر الأمر فيها على أنه مسلم نظيف .

ولقد كان الغرض الأساسى لإنشاء جماعة الإخوان المسلمين عند الامام الشهيد حسن البنا هو تربية المسلمين على تعاليم الاسلام وأنه لا يكفى أن يكون المسلم مصليا وصائما وحاجا ومزكيا هذه عبادات فردية وفروض عينية يلتزم بها كل شخص إنما كانت هناك معان أخرى فى الاسلام أوسع من هذا .. حرية المسلم وسعادته ورفقيه وعزته ومكانته وكان الامام البنا يغرس كل هذا فى نفوس الاخوان الشباب ليستعيدوا أمجاد الاسلام الماضية وتعود للمسلمين مكانتهم فى العالم بدلا من ان يكونوا مستعمرين ومستغلين ومستعبدين وحتى يصبحوا هم سادة أنفسهم خصوصا وأن هذه المنطقة من أغنى مناطق العالم بالثروات الطبيعية من زراعية ومعندية فكان هم الدعوة الأولى إعادة المسلمين الى أوضاعهم الأولى ولما اشتد الضغط الانجليزى على مصر وخاصة بعد ثورة 1919 وأصبح الأمر فى يد السفير البريطانى

الذى كان يسمى مندوب الحماية أو المندوب السامى وبعد أن بدأت مظاهر إحلال اليهود فى فلسطين مكان أهلها بدأ التفكير فى إنشاء تشكيل ليدفع عن مصر شر الاستعمار بمقاومة الانجليز مقاومة مادية ومحاربة اليهود حتى لا يكون لهم استقرار فى فلسطين .. وكان هذا هو الأساس الذى دعا الى انشاء " النظام الخاص " أو ما يسميه الناس " النظام السرى " فى الإخوان المسلمين وهو نظام أنشئ أساسا لمقاومة الاحتلال البريطانى بعد أن رأى الإخوان أن كل الأحزاب لا تفكر فى المقاومة العملية مجرد خطب رنانة وسياسات وانتخابات وإنما لا شئ أكثر من هذا ولهذا يسر الإنجليز لمصر أن تصدر دستورا وأن تقيم دستورا لأنهم يعرفون جيدا أن النتيجة أن يختلف زعماء الأحزاب بعضهم مع بعض ويتفرق المصريون شيئا كانت الفكرة فى تشكيل النظام الخاص هى تحرير مصر الاستعمار البريطانى وإنقاذ فلسطين من أيدي اليهود وانجلترا التى كانت تعمل على ان تجعل من فلسطين وطنا قوميا لليهود .. حقا حدثت بعض أخطاء من بعض أفراد هذا النظام وهذا شئ طبيعى فى كل العالم لا يوجد مجتمع أو أسرة أو أمة لا يوجد فيها من يخطئ والخطأ طبيعة البشر فكانت هناك تصرفات فردية لبعض أعضاء هذا التشكيل فكان ينكرها الأستاذ البنا ولا يرضى عنها ويعلن فى الصحف أنه يتبرأ من مثل هذه الأعمال هذا التشكيل لم ينشأ ليعتدى على المصريين أنفسهم وإنما أنشئ لمقاومة الاستعمار البريطانى ومقاومة الاستيطان اليهودى فى فلسطين .. إنما أعداء الدعوة وخاصة أجهزة الاعلام العالمية شوهت هذا الوضع وصورت الإخوان المسلمين فى صورة الارهابيين المتعصبين الرجعيين القتلة والى غيره من الاتهامات .

ولقد اختار الأستاذ البنا مدينة الاسماعيلية لبداية حركته لظروف عمله فى الاسماعيلية حيث خطر له خاطر إنشاء الجماعة ثم كانت البيعة الأولى مع مجموعة الإخوان المسلمين وتسميتهم الآخوان المسلمين باعتبار أنهما لفظان مختاران من القرآن الكريم .

والواقع أن الإخوة الذين اشتركوا مع الأستاذ البنا كانوا فى منتهى النشاط ومنتهى الوفاء لدرجة أن واحدا منهم كان يعمل سائقا فى شركة قناة السويس وكان يحضر على دراجته من الاسماعيلية لمقر الشركة فى الاسماعيلية وكان يحضر فى المواعيد بدقة ثم بدأ يتأخر عن مواعيده وسأله رؤساؤه إنك كنت نشطا وكنت تحضر فى المواعيد فما سر تأخيرك ؟ فقال لهم كان عندي دراجة وكنت أحضر عليها فى المواعيد وإنما الآن أنا عضو فى جماعة اسمها الإخوان المسلمون ونبحث عن شقة نسكنها ونفرشها ونجعلها مقرا للإخوان المسلمين ولكن فقراء وكنت ضمن المتبرعين فبعت الدراجة الخاصة بى وقدمت ثمنها للأستاذ المرشد لأساهم فى تكوين مركز للإخوان وشقة مفروشة وأعجب به رؤساؤه فعلا واشتروا له دراجة جديدة بدلا من دراجته القديمة التى باعها .. كانوا فى نتهى الوفاء للإخوان المسلمين وكان الأستاذ البنا يأخذ سبورة صغيرة ويذهب بها الى القهاوى فى مدينة الاسماعيلية ويجلس فى القهوة وبعد أن يطلب الشاي أو القهوة يستأذن صاحب القهوة فى أن يقول كلامه فيأذن له صاحب القهوة وكان لبقا ومؤثرا وكان الناس يحبون الاستماع اليه فبدأ رواد القهاوى يتزايدون على المكان الذى كان يوجد فيه حسن البنا فكان أصحاب القهاوى يتنافسون فى جذب الأستاذ حسن البنا الى مقاهيهم لتكثر زبائنهم ويكثر عملاؤهم وبدأ العمل بعد أن انتشرت الدعوة فى الاسماعيلية وبنوا مسجدا هناك ودارا للضيافة فى الاسماعيلية وكانت تكاليف البناء فى ذلك الوقت ميسرة وسهلة وأحسن رجال شركة قناة السويس وكانت أجنبية بمدى تأثير حسن البنا على أهالى الاسماعيلية فعملوا جهدهم لى الحكومة لتنقل حسن البنا من الاسماعيلية فنقل بالفعل للقاهرة فى مدرسة عباس الابتدائية بناء على رغبته فى أكتوبر عام 1932 فكانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا النقل فاتحة خير وكان المجال فى القاهرة أوسع والانتشار أكبر فانتشرت الدعوة فى لاقاهرة وظل هو فى القاهرة حتى نقلوه الى قنا ولما ذهب الى قنا أثر فى أهالى قنا فأرجعوه للقاهرة وظل على هذا الوضع حتى استقال من التدريس عام 1946 "

واقعة تبرع شركة قناة السويس :

لقد ذهب الكثيرون مذاهب شتى فى تفسير هذه الخطوة من جانب الإخوان ومن جانب الانجليز وخاصة الكتاب الماركسيين ويقول صلاح عيسى فى دراسته فى مقدمة كتاب الإخوان المسلمين * " لكن الإخوان - الذين كان مؤسسهم حسن البنا من أذكى الشخصيات السياسية

فى العالم العربى - تركوا السلطات القائمة وقتها تظن أن حركتهم تخدمها - وهو ما كان يتحقق موضوعيا - بحكم أنهم يستلبون الشبان الذين كانوا منهمكين تحت قيادة حزب الوفد فى النضال ضد دكتاتورية اسماعيل صدقى بل إن شركة قناة السويس وكانت آنذاك شركة دولية لأنجلترا الجانب الأكبر من أسهمها قد نظرت اليهم بنفس النظرة فمناحتهم تبرعا قدره خمسمائة جنيه مصرى وهو ما يعتبر دعما قويا إذا ما نظرنا الى قيمة الجنيه آنذاك وقد ثبت بعد أن ذكاء الإخوان المسلمين السياسى فوق مستوى الشبهات وهو ما تأكد من الطريقة التى تعاملوا بها مع الاحتلال الإنجليزى فى مصر إذ تعاملوا بحجمهم الحقيقى لا بأهدافهم التى أعلنوها تدريجيا وفيما بعد وكما نجحوا فى خديعة شركة قناة السويس وحصلوا منها على منحة تصل الى خمسمائة جنيه رغم أنها شركة تعمل لمصلحة الاحتلال الانجليزى وردا على هذه المقولة نقول : أية خديعة تلك التى يتصورها صلاح عيسى فعلها الاخوان ؟

وأية خدمة تلك التى قدمها الاخوان المسلمين للإنجليز والتى كانت تتحقق موضوعيا فى رأى صلاح عيسى ؟ والتى يعطى الانجليز مقابلها مبلغ خمسمائة جنيه مكافأة على خدمتهم - أى الإخوان - للإنجليز .. " والذين يقولون هذا - على حد تعبير الأستاذ عمر التلمسانى : " لا يفهمون حقيقة الاسلام فالرسول صلوات الله وسلامه عليه كان يرهن درعه عند اليهود وعند المشركين لأجل معين على أن يدفعه لهم إذا لم يكن لديه شىء فأتا إذا أردت أن أقيم مسجدا وتبرع لى يهودى أو مسيحى أو بوذى أو ملحد بمبلغ من المال لأقيم به المسجد .. لا علي شرعا أن آخذ منه ما يريد أن يدفعه لأقيم به مسجدا لله سبحانه وتعالى .. ليس فى ذلك عيب .. إنما هم يريدون أن يستخرجوا من كل شىء شبهة تلوث سمعة حسن البنا وجماعة الاخوان المسلمين " ..

ثم ألم يأت هذا التبرع فى إطار حملة تبرعات دعا اليها الإخوان المسلمون لبناء المسجد أم جاء التبرع منفردا وفى غير مكانه ووقته؟ ثم هل اتجه مؤشر المعارضة لوجود الاحتلال الانجليزى لدى حسن البنا والاخوان فى اتجاه الإنجليز وتأييدهم بعد هذا التبرع أم ظل عداء تقليديا صارما على مدى سنوات وحول الاخوان ؟ إن الظواهر تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن توجيه الشبهة للجماعة فى قبولها هذا لتبرع محض افتراء واضح ولا يقصد منه سوى التشكيك فى ذمة وأخلاق وأهداف جماعة الاخوان المسلمين .. ثم هل سعى الاخوان المسلمون .. للحصول على هذا المبلغ نظير " الخدمات الجليلة التى ألح اليها صلاح عيسى بشكل متوارب وخبيث ؟ ! إن القصة كما يرويها الشهيد الإمام حسن البنا تقول " : وقبل أن يتم بناء المسجد بقليل وقد أوشكت النقود المجموعة أن تنفذ وأمامنا بعد مشروع المسجد ومشروع المدرسة والدار وهى من تمامة بل كلها مشروع واحد تصادف أن مر البارون دى بنوا مدير شركة القنال ومعه سكرتيره المسئولوم فرأى البناء فسأل عنه وأخذ معلومات موجزة وبينما أنا فى المدرسة إذ جاءنى أحد الموظفين يدعونى لمقابلة البارون بمكتبه بالشركة فذهبت اليه فتحدث الى عن طريق مترجم بأنه رأى البناء وهو يود أن يساعدنا بتبرع مالى وهو لهذا يطلب منا رسما ومذكرة للمشروع فشكرت له ذلك وانصرفت ووافيته بعد ذلك بما طلب ومضى على ذلك شهور كدنا ننسى فيها البارون ووعدته ولكنى فوجئت بعد ذلك بدعوة ثانية منه الى مكتبه فذهبت اليه فرحب ثم ذكر لى أن الشركة اعتمدت مبلغ خمسمائة جنيه مصرى للمشروع فشكرت له وأفهمته أن المبلغ قليل جدا ولم يكن منتظرا من الشركة تقديره لأنها فى الوقت الذى تبنى فيه على نفقتها كنيسة تكلفها 500000 خمسمائة ألف جنيه أى نصف مليون جنيه تعطى المسجد خمسمائة جنيه فقط فافتنع بوجهة نظرى وأظهر مشاركتى فيها ولكنه أسف لأن هذا هو القرار ورجائى قبول المبلغ على أنه إذا استطاع أن يفعل شيئا بعد ذلك فلن يتأخر وشكرت له مرة ثانية وقلت له إن تسلم المبلغ ليس من اختصاصى ولكنه من اختصاص أمين الصندوق الشيخ محمد حسين الزملوط الذى تبرع وحده بمثل ما تبرعت الشركة وسأخبره ليحضر لتسلمه وقد كان وتسلم أمين الصندوق هذا المبلغ وطبعا لم يفكر البارون فى عمل شىء آخر ولم نفكر نحن فى أن نطلب منه شيئا كذلك " .. ثم ألم تكن هذه هى أموال مصر من دخل شركة قناة السويس التى تقع فى مصر وليس فى بحر المانش ولكن الانجليز اغتصبوها فى غفلة من الزمان ؟ ! لقد أسمى الشهيد الإمام حسن البنا ذلك فقها أعوج !!

الفصل الثالث

التمهيد فى الثلاثينات

فى مطلع الثلاثينات من هذا القرن وبعد أن انتهى الإمام الشهيد من مرحلة وضع البذور بدأ مرحلته الثانية فى ترسيخ جذور الجماعة لتضع أقدامها على أرض صلبة وثابتة فصعب على الكثيرين من أعداء الدعوة اجتثاثها من قلوب وعقول أعضاء الجماعة فلم يجتثوها إلا بإزهاق أرواح هؤلاء الدعاة المخلصين فيما سيلي من حوادث وأمور على مدى زمن وجود الحركة .

ويرى الأستاذ التلمسانى أن " فترة الثلاثينات - وهى من الفترات الزاهية فى تاريخ جماعة الإخوان المسلمين - كانت فترة تمهيد لما وراءها من انتشار الوعي بالاخوان المسلمين وكان الإمام الشهيد يحرص يوميا - تقريبا - وكان همه منصرفا ومركزا على المدارس الثانوية وإن كان فى تلك الفترة أيضا لم يحرم المدارس الابتدائية من لقائه بهم وإعطائهم الدروس التربوية التى تتناسب ومداركهم وأفهامهم وأذكر أننى صحبتته ذات يوم من الأيام لمدرسة المحمدية الابتدائية بالعباسية واجتمع صغار الطلبة فى المدرسة فطلب منى أن أتحدث إليهم قليلا فكان جوابى : إننى لا أحسن الكلام الى الصغار والأطفال لأن عملى طبعى بطابع خاص وهو الحديث فى أوساط معينة والى أناس معينين بالذات ووقف رضوان الله عليه ليتحدث الى الطلبة حديثا فى غاية الغرابة لدرجة أن الأطفال أنفسهم كانوا مشدودين مشدوهين اليه ولم يعبت أحد منهم عبث الأطفال فى مثل هذه المناسبات وكان يعنى بالمدارس الابتدائية عناية خاصة لأنه كان يرى فيهم الجيل الزاحف على أبواب مستقبل الأيام وأنه بعد سنوات سيكون هؤلاء الأطفال هم طلبة المدارس الثانوية والجامعات فيحظون بهذه العناية المبكرة بنوع من التربية الإسلامية ما كان لهم به عهد من قبل ويصبحون فى شبابهم فتينا على وعى طيب وعلى استعداد كامل لحمل أعباء دعوة الاخوان المسلمين فى مختلف ميادينها وما كان يقصر نشاطه على القاهرة ولكنه كان دائم التنقل فى محافظات القطر من الاسكندرية الى أسوان فى الوقت الذى كان فيه كبار مصر وأثريائها يسافرون الى الاسكندرية والى خارج البلاد ترويحاً عن أنفسهم من عناء الحر وفى هذه الفترة كان هو يتجه الى جنوب الوادى فيزور مديريات الصعيد مديرية تلو مديرية من الجيزة لأسوان ولا يقتصر فى تجواله على المراكز أو المدن ولكنه كان يغشى القرى والكفور والنجوع وأبعد مكان يمكن الوصول اليه فى القرى التى تقع فى أحضان الجبل فى منطقة الصعيد وكان دأبه عجيبا ويكفيه أنه كان لا ينام سوى أربع أو خمس ساعات فقط من اليوم كله وكان لا يكل من العمل ولا يفتر وكان الشباب الذين يصحبونه فى هذه الرحلات يجدون من المتاعب والمشاق مالا يجده هو ولكنهم يخفون ما فى أنفسهم من تعب اقتداء بمرشدهم وإرضاء له فى مهمته الكبرى ولذلك تخرج هذا الشباب تخرجا طيبا فى الدعوة وحملوا على أكتافهم أعباءها وانتشروا هم بدورهم فى مختلف أنحاء القطر وكانت إجازاتهم الصيفية لا يقضونها كما يقضيها أقرانهم من الشباب فى اللهو واللعب ولكنهم كانوا يقومون بدور الدعاة فى كل بلد يوجدون فيه وفى كل قرية يحلون بها وكان لذلك أثره الطيب إذ أنه بعد انتهاء الاجازات كان الطلبة الذين يتخرجون من المدارس الثانوية وقصدوا القاهرة للجامعات ولم تكن هناك جامعات فى بادئ الأمر إلا فى القاهرة وبعدها بقليل الاسكندرية وكان كثير من الطلبة الذين لا يعرفون شيئا عن الاخوان المسلمين يتلقون تعاليمها فى فترة الاجازات عن طريق الشباب الذى تفهم هذه الدعوة وحملها بداعة .. وكان أول مكان لجماعة الاخوان المسلمين فى حى المغربلين بقسم الدرب الأحمر فى منطقة تعرف بمنطقة اليكنية فى شارع " عبد الله بك " ثم بعد ذلك انتقلت الى شارع المبتديان بالسيدة زينب وبعد تنقلات استقرت فى لوكاندة البرلمان فى ميدان العتبة الخضراء ومن هنا عزم الأستاذ البنا على شراء دار تكون مركزا عاما للإخوان المسلمين ووقع الاختيار على قصر كبير فى حى الحلمية الجديدة واشترى هذا القصر بحوالى 8 آلاف جنيه فى مطلع الأربعينات ولم يكن لدى الإخوان المسلمين فى ذلك الوقت سوى 500 جنيه فقط ولكن ما أن علم الإخوان فى شتى أنحاء القطر المصرى بعزم المرشد على شراء هذه الدار حتى تبرعوا كل بقدر ما يستطيع حتى السيدات كن يرسلن مساهمة منهن فى شراء الدار وفى ظرف أسبوع تم جمع المبلغ وسجل العقد الإمام الشهيد لا بصفته الشخصية ولكن سجله باسم جماعة الاخوان المسلمين باعتباره المرشد العام لهذه الجماعة ولو كان كما يقال من قبل المغرضين لكان من الميسور عليه أن يسجل هذا العقد باسمه ليصبح القصر ملكا له ولورثته ولكنه لم يفعل لأنه لا يراعى إلا جانب الله سبحانه وتعالى فى جميع تصرفاته..

**** التنظيمات الاخوانية :**

لقد بدأت حركة الاخوان المسلمين وانضم إليها عشرات الألوف ورأى الأستاذ البنا أنه لا بد من إقامة إدارة دقيقة منظمة لتتولى شئون الجماعة لأنه لو ربطت الجماعة بشخص حسن البنا فمعنى ذلك أنه إذا مات حسن البنا انتهت الجماعة فاراد أن يجد لها تشكيلا وتنظيما معينا تلتف حوله الجماعة سواء وجد حسن البنا أم لم يوجد .. فبدأت الفكرة عند الاخوان المسلمين في جميع أنحاء القطر المصرى فى الشعب الاخوانية وهم يشكلون الجمعية العمومية للإخوان هذالشعب تنتخب من بينها أعدادا معينة لينتخبوا أعضاء الهيئة التأسيسية كانت تجتمع لتنتخب أعضاء مكتب الارشاد الذين هم بمثابة الهيئة التنفيذية أو الوزارة كما يقال فى الأوضاع السياسية المتعارف عليها لإدارة شئون الإخوان المسلمين .. هذا المكتب هو الذى ينتخب هذه الهيئة التأسيسية أيضا بعد أن ينتخبوا مكتب الارشاد يقوم أعضاء المكتب بانتخاب المرشد العام للإخوان المسلمين فتم النظام على هذه الصورة .. جمعية عمومية - هيئة تأسيسية - مكتب إرشاد - مرشد إخوان مسلمين .. وعندما بدأ تطبيق هذا التشكيل كنت أقيم فى مديرية القليوبية فكان تكوين المكتب قاصرا على انتخاب أشخاص يقيمون بالقاهرة ليحضرُوا اجتماعات مجلس مكتب الارشاد أسبوعيا ولكى يمثل الوجه البحرى والقبلى ضم الى مكتب الارشاد عن الوجه البحرى عمر التلمسانى وعن الوجه القبلى السيد محمد حامد أبو النصر أحد أعيان مركز منفلوط مديرية أسيوط .. هكذا كان الترتيب وكان النظام فى المكتب وكنت فيه عندما أنشئء باعتبارى ممثلا للوجه البحرى وجاء ذلك بالتعيين من الإمام وبعد ذلك انتقلت للقاهرة وأصبح دورى فى المكتب الترشيح لا عن طريق الاختيار فانتخبت من أهالى القاهرة عن طريق الهيئة التأسيسية .

وهكذا بدأت حركة الاخوان المسلمين تواصل الاعداد لحركتها وتنظيمها بشكل دقيق استفادة من تجارب الآخرين واقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ولقد كنت من أوائل الإخوة الذين عملوا فى هذا المكتب ومكتب الارشاد ..

وقد حرص الأستاذ البنا على إنشاء الشعب الاخوانية فى كل مدينة وقرية وكان يحل بهذه الشعب فى رحلاته ويخطب فى مسجد أو فى دار من دور أعيان المنطقة ويلتقى فيها بالناس الذين لديهم ميول نحو نصره دينهم بالاستاذ البنا يكونون شعبة من عدة أعضاء يرأسها أحدهم ولها سكرتير وأمين صندوق ومجلس إدارة فكانت هذه الشعب متناثرة فى أرجاء القطر المصرى وطبعا لم تكون هذه الشعب مرة واحدة ولكنها أخذت تزداد عاما بعد عام حتى بلغت حوالى ألف شعبة .. أما ما قاله البعض عن رحلة الخمسة آلاف قرية التى قام بها الشهيد الامام ففيها شىء من المبالغة .. كانت الشعب إذا اتسعت فى منطقة تكون هيئة منها للمنطقة ذاتها تضم الشعب فيها فإذا اتسعت الجهود كان ينشأ فى تلك المنطقة ما يسمى بالمكتب الادارى لتلك المنطقة فكانت الاسكندرية مثلا لها مكتب إدارى والدقهلية وكل محافظة تنشط فى عملها نشاطا ملحوظا وتضم أعدادا وفيرة من الشعب كان ينشأ فيها مكتب إدارى ليجمع شمل هذه الشعب كلها تحت إدارته وهو الذى يتولى إدارتها وتنظيمها نيابة عن المركز العام وعن مكتب الارشاد ولأنه قطعا كان المركز العام فى القاهرة لا يستطيع بمفرده أن يلم بأحوال الاخوان فى كل أنحاء القطر فكان فى كل محافظة مكتب إدارى لمثل هذه العملية وكان الاستاذ البنا رضوان الله عليه حريصا على إنشاء الشعب وما كان يحرص على أن يتولى رئاسة الشعب شخص شديد التعلق بدعوة الاخوان المسلمين ولكنه كان يتخير الشخص المستقيم الذى له وضعه الاجتماعى فى القرية أو المركز سواء أكان مؤمنا بدعوة الاخوان أو غير مؤمن بها وإنما هو شخص له وضعيته الاجتماعية فى هذه المنطقة ما دام ذا خلق ودين وبهذه الوضعية لهذا الرئيس كانت الشعبة تتسع حينما بعد حين فى ظل حمايته وفى ظل وضعه الاجتماعى والذين ينضمون فى ظل هذه المعانى منهم من كان يشرح الله صدره لفهم مبادئ الإخوان المسلمين تفهما حقيقيا فيصبح أخا مسلما ومن كان يحب المظاهر والرياسات له ما يشاء فى جماعة الاخوان المسلمين دون غشاضة ولا حرج عليه ما دام حسن السيرة والسلوك .

*** ردود فعل السراى والانجليز :**

فى الوقت الذى وضع الامام الشهيد حسن البنا أسس الجماعة ونظامها وتشكيلاتها وبدأ فى الانضمام للجماعة العشرات بل الألوف فإن هذا الأمر لم يلفت أنظار عناصر وقوى الضغط والنفوذ وأبرزها الإنجليز والسراى وهكذا نجحت الدعوة - وهذا من توفيق الله وذكاء الإمام الشهيد - فى تثبيت أقدامها وترسيخها ثم بدأت ردود الفعل التى تفاوتت بين الشدة والهدوء .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى " فى بداية الأمر فإن الإنجليز والسراى لم يكونوا منتبهين لأداء حسن البنا وكانوا يظنونه شيخا من مشايخ الطرق الصوفية ولم يقيموا له وزنا أو احتياطا لما كان يهدف اليه فظلت الدعوة تنشر فى المطالبة بعودة المسلمين الى تعاليم دينهم ولما تكشف الحقائق وعلمت السراى والإنجليز أن الإخوان يريدون أن يكون الحكم شورى بين المسلمين - كما ورد فى القرآن الكريم - شعر الطرفان أن دعوة الإخوان كانت تهدف أصلا الى تحرير الأوطان الاسلامية من الاستعمار والأجانب فأدركوا قوة وخطر الإخوان وأدركوا حقيقة أهداف الإخوان المسلمين ولذلك نجد العالم غير المسلم لا يركز على جماعة من الجماعات الاسلامية فى العالم كله إلا على جماعة الإخوان المسلمين يتهمونها بكل التهم التى يمكن أن توجه لأى إنسان .. لماذا ؟ لأنهم يعلمون حقيقة هذه الدعوة وأنها لو نجحت فآثارها خطيرة عليهم لأنهم سيحرمون من هذه الأسواق الواسعة العريضة التى يصرفون فيها منتجاتهم ويستغلونها أسوأ استغلال أما حقيقة الأمر فالإخوان المسلمون ليسوا بجماعة صوفية يقتصر نشاطهم على الذكر وليسوا بجماعة يجلسون فى المساجد ليصلوا فحسب ولكنهم هيئة تعمل لإقامة الإسلام كما جاء ونزل على لرسول صلى الله عليه وسلم باعتباره نظاما شاملا ينظم للمسلم كل حركة من حركات حياته فى كل ناحية من هذه الحياة وهذا طبع لا يرضى أعداء الإسلام فهم لا يريدون للإسلام أن يعود لما كان عليه من أمجاد وعزة ومكانة فى العالم وهم يحاولون باستمرار ضرب هذه الجماعة للأسف الشديد بأيد مسلمة " .

*** وقفة عند شخصية الامام الشهيد :

وهنا لا بد لنا من وقفة تأمل وتمحيص وإلقاء الأضواء على شخصية الرجل الذى أسس وقاد هذه الحركة على مدى 20 عاما ألقى بتأثيراته وروح أفكاره التى ظلت منارا ومرشدا لأعضائها بعد انتقاله الى جوار ربه مع الصديقين والشهداء وكيف استطاع أن يجمع هذه الجموع المؤلفة على الالتفاف حول مبادئ هذه الدعوة لتجديد شباب الأمة الاسلامية والوطن الاسلامى باعتبار أن ذلك هو الحل الأمثل لمشكلة مصر والعالم العربى والاسلامى وقفز بالجماعة من مجرد جمعية دينية صغيرة فى الاسماعيلية الى الانتشار على خريطة مصر السياسية والفكرية وما زالت تؤثر الى يومنا هذا فى كل الأجيال وفى كل سنى العمر دينيا وفكريا وسياسيا .

ويرى الأستاذ عمر التلمسانى " أن الإخوان المسلمين بدعوا يتبينون أهداف هذه الدعوة ومراميها والى أى شىء تقصد هذه الدعوة فى هدوء وفى بعد عن الشعارات والاعلانات وكان الامام الشهيد حسن البنا حسن الصلة بكل الناس وكل الأحزاب لا يتشائم وإذا هوجم لا يرد الهجوم بل كان يترك الاساءات التى توجه اليه تموت من تلقاء نفسها لأنها لا تجد من يوجب سعيها فى الرد والأخذ والشد والجذب فسارت الدعوة فى تلك الفترة سيرا غاية فى الغرابه كان الاقبال عليها منقطع النظير ولم يعرف عن جماعة أو جماعات أو حزب من الأحزاب أن ينضم إليه فى فترة من فترات تكوينه مثل ما انضم الى جماعة الإخوان المسلمين فى الثلاثينات وفى أواخر الثلاثينات بدأت الأهداف تتضح وشعر اصحاب الأغراض بأن هذه الجماعة هى أخطر هيئة نبتت فى هذا العهد لها خطورتها على الاستعمار والاستغلال والقصر والاقطاع والشيوعية فعادوها جميعا وتحالفوا على توجيه الاساءات اليها بمختلف وسائل الاذاعات غير الكريمة وكان من حسن سياسة الإمام الشهيد أن يترك هذه الشائعات دون أن يعنى بها أو يرد عليها حتى أنه لما أخذ الوفد بعد ذلك يهاجم الجماعة فى صحفه تحت عنوان " هذه الجماعة تهوى " ويدخل تحت هذا العنوان أسماء موجودة فعلا أو غير موجودة وأنها تستقيل من جماعة الإخوان المسلمين فما كان من الامام الشهيد إلا أن أعد عمودا فى جريدة الإخوان المسلمين تحت عنوان " هذه الجماعة تهوى " نفس الحروف مع تغيير التشكيل وكان الذى يدخل تحت هذا العنوان لا أكثر من إخوان حقيقيين يرسلون الى مرشداهم بالتأييد وأنهم معه وهما تقول المتقولون أو أشاعوا أو أذاعوا عنه ما شتم .. ما هاجم ما رد بإساءة بإساءة ولكن كان حريصا دائما على أن يعلم الناس الخلق

الاسلامى الواقعى كان يلقى الاساءة بالعفو والاىذاء بالصبر والجهل بالتغاضى عن الجاهلين ولذلك ما كنت تجد له عدوا إلا إنسانا تحترق نفسه أن يرى معلما إلزاميا وابتدانيا يحظى من جماهير مصر بمثل هذا التقدير والاحترام".

ويضيف الأستاذ التلمسانى " لقد كان الامام الشهيد رجلا عاديا جدا لا يمتاز مظهره بما يمثله ويعطيه وضعية بين الناس كان أقرب الى القصر منه الى الطول ولكنه كان ذكيا - ما فى ذلك من شك - لماحا ومستوعبا لكل قواعد الشريعة الاسلامية عن قراءة ودراسة كان خطيبا مفوها ولو ظل يتحدث الساعات الطوال لما مل الناس من الاستماع اليه حتى أنهم إذا ما انتهى من خطابه يستفيقون كأنهم يستردون عقولهم وقلوبهم التى كانت معلقة بحسن البناء وهو يتحدث من هذه الناحية كان متواضعا بحيث لم تكن تشعر وأنت معه بأنه رئيسك وأنه مرشد الاخوان المسلمين يعاملك كما يتعامل إثنان عاديان بالمرّة لا فرق بين كبير وصغير ولكن هذا لا يمنع أننا كنا نحبه حبا شديدا للغاية ولكن ليس بالحب الذى يرفعه فوق مرتبة القداسة أو ما فوق ما هو مرتبة الانسان. ز كان فى نظرنا أنه إنسان عادى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ما أنا إلا بشر مثلكم " فلا يبقى حسن البناء أحسن من الرسول صلى الله عليه وسلم فالذين يتهمون الاخوان المسلمين بأنهم كانوا يقدسون حسن البناء أو يرتفعون بمكانته الى ما فوق البشر مغرضون وغير صادقين فيما يتهمون الاخوان فى هذه المسألة وكان تأثيرى به شديدا بدون شك ويستطيع أى إنسان أن يتعرف الى شخصية حسن البناء والى أخلاقه من خلال مذكرات الدعوة والداعية " من خلال رسائل الامام الشهيد " والتى تطرح مناهج الإخوان المسلمين وما هى وسائلهم وما هى الأهداف التى يرمون إليها ويكفى ما قاله الأستاذ أحمد بهاء الدين حين كتب فى عموده اليومى بالاهرام عن حسن البناء أنه استطاع أن يؤثر فى لاملين وهو رجل غير رسمى وغير حكومى " .

ولكن رحم الله الامام الشهيد لم يسلم من القاء الاتهامات جزافا من كل اتجاه وميل ففى عام 1930 قدمت العديد من الشكاوى حول الحركة ونواياها تجاه وزارة صدقى باشا وزعمت الاتهامات بأن الامام الشهيد كان : شيوعيا يستخدم الأموال الشيوعية فى القيام بنشاطه وأنه كان وفديا يعمل ضد صدقى وجمهورية يعمل ضد الملك فؤاد ومجرما انتهك شروط الوظيفة التى تحظر جمع الأموال واستخدامها لأغراض غير قانونية وقد تم التحقيق مع الامام الشهيد وانتهى التحقيق بتبرئة ساحته من جميع التهم .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى " الحقيقة أن هذه الاتهامات المتضاربة المتعارضة المتنافرة تثبت قطعاً براءة الأستاذ البناء والاخوان المسلمين مما نسب اليهم لأن الانسان لا يمكن أن يكون ملكيا وجموريا ولا رأسماليا وشيوعيا ولا إقطاعيا ولا يمكن أن يجمع إنسان بين هذه الصفات المتعارضة بأية صورة من الصور فهذه الاتهامات دليل قاطع على أن الاخوان كانوا يسرون على الحق وما كانوا فى أى صورة من هذه الصور التى تنسب اليهم .. اسماعيل صدقى عندما ذهب لمفاوضات صدقى ببغداد عام 1946 حاول أن يكتسب صداقة الاخوان المسلمين فأرسل صهره الأستاذ ابراهيم رشيد للشهيد البناء فى المركز العام ودارت مفاوضات بين الاخوان واسماعيل صدقى على أن يؤيده فى موقفه فى هذه المفاوضات فكان الشرط الأول والأخير هو مطالبة اسماعيل صدقى ألا يفرط وأراد أن يرتكز على شعبية الاخوان المسلمين فيعطيه وعدا بأن يطبق شرع الله فى هذا البلد فلما تجلت الحقائق وكانت المفاوضات ليست بالمعنى الذى يصبوا اليه الإخوان المسلمون وظهر أن اسماعيل صدقى ليس حريصا على تطبيق الشريعة الاسلامية انتهى الأمر عند هذا الحد".

أما المقولة الثانية والتى يدفع بها الكاتب صلاح عيسى فى مقدمته لكتاب ميتشيل : " يتمثل ذكاء حسن البناء وقدرته الفذة على عدم الدخول فى صدام مباشر قبل أن يستعد له فى نقطتين جوهريتين :

* أنه رفض إبان الحرب عرضا بانقلاب يقوم به مشتركا مع حزب مصر الفتاة بزعامة أحمد حسين ويستند على اعداد محدودة من اتجاهاين فى كل قرية ومدينة مصرية يقومون فى وقت واحد بالاستيلاء على السلطة المدنية والعسكرية فى هذه القرية أو المدينة بينما تتجه مجموعة للإستيلاء على العاصمة بنفس الطريقة وقد ناقش الأمر مع أحمد حسين بشكل منطقي وانتهى منه الى أن الخطة غير عملية وأنه لا يستطيع أن يحارب أنجلترا ولها جيوش جرارة فى مصر ببنادق قديمة أو بقتابل من مخلفات الحرب العالمية الأولى (رواية

أحمد حسين الدكتور خالد - مطبعة مصر 1960)

* أنه رفض أن يصوغ برنامجا تفصيليا قبل الآوان وقد ذكر أحد أقطاب الإخوان فيما بعد أنه ناقشه في هذا الأمر فكان من رؤية أن محاولة صياغة رأى الإخوان في القضايا التفصيلية وكيفية تطبيق الشريعة الاسلامية على حياة المجتمع المعاصر هي محاولة ضررها أكثر من نفعها فإذا كانت صياغة مثل هذه قادرة على مواجهة الخصوم السياسيين الذين أخذوا على الإخوان دائما أنهم يطرحون شعارات عامة ولا يقدمون حلولاً تفصيلية للمشاكل فإنها تفتح الباب في نفس الوقت لشقاق كبير بين المسلمين أنفسهم لتعدد المذاهب والاجتهادات وأن أوان معارك مثل هذه لم يؤن بعد (شهادة هنداوى دوير أمام محكمة الشعب عام 1954) .. بهذا الذكاء فى رسم التحالفات السياسية عاش حسن البنا وبه انتشر الإخوان المسلمون وبسببه تعرضوا لأول صدماتهم الدموية مع الحكم المصرى قبل الثورة “ .

ويرد الأستاذ التلمسانى على هذه المقولة قائلا : “ الواقع أن كل هذه الأقوال مغرضة وكتناقضة ولا تقوم على أساس من الصحة بدليل .. أن الأستاذ البنا له رسائل جمعت فى مجلدات باسم “ رسائل الإمام الشهيد “ والذى يقرأ هذه الرسائل قراءة عميقة متفحصة يعرف تماما ما هو منهج الإخوان المسلمين وما هى رسائلهم وما هى الأهداف التى يرمون إليها .

أما أنه كان يتصل بمصر الفتاة وغير مصر الفتاة لأجل انقلاب فيكفى أن يرجع الإنسان المنصف الى رسالة المؤتمر الخامس حيث يقول فيها الامام الشهيد : أنا لا أدعو الى العنف لأن رأى العام يجب أن يكون مقتنعا تمام الاقتناع بالفكرة التى يوجه إليها .

أما أننى أقسم الشعب قسمين : قسم الى جانب الحكومة وقسم الى جانب فكرته ويتصارع القسمان فليس فى ذلك مصلحة إلا لأعداء هذه الأمة “ .. الذين يتهمون البنا بأنه لم يضع برنامجا أو منهاجا مفصلا غير صادقين .. فليرجعوا الى رسائل الإمام الشهيد ليجدوا أنه وضع برنامجا للتربية وبرنامجا للحب وبرنامجا للإقتصاد والاجتماع لم يترك شيئا لم يضع له برنامجا .. صحيح أنه لم يضع برنامجا تفصيليا إنما وضع قواعد البرنامج وترك لمن يريد أن يتوسع أن يفصل هذه القواعد مقتديا فى هذا بكتاب الله سبحانه وتعالى حيث انزل الله جل وعلا القواعد العامة وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ببعض التفسيرات ثم قام فقهاء الاسلام بشرح القرآن وتفسيره لأحاديث .. إنهم غير صادقين فى هذا وليس لهم من غرض سوى تشويه سمعة الأستاذ البنا وتشويه سمعة الإخوان ولو كنا تركنا ألسنتنا تنطلق فى النيل من الناس وفى ذكر عيوبهم وأخطائهم لقلنا فى هؤلاء الناس ما نعرفه عنهم وهو حقيقة واقعة إنما نحن لا نتحدث عن الناس بسوء .. نحن نرفع عن أنفسنا هذه الاتهامات الكاذبة التى توجه إلينا فى كل مكان “ .

ويضيف الأستاذ عمر : “ ما أساء الأستاذ البنا لأحد وما دعا الى القطيعة أو الشحناء وما كان من خلقه ذلك بأية صورة من الصور ولقد ازدهرت الدعوة فى تلك الأيام وبدأنا نفكر فى النواحي الاقتصادية فأنشئت شركة المعاملات الاسلامية فى غرفة لوكاندة البرلمان فى العتبة الخضراء وكان كل ما فيها لا يزيد عن عشرين جنيتها صابون سكر حلاوة طحينية ثم اتسع العمل وأصبحت شركة المعاملات تعمل فى الألوف من الجنيهات ولولا أن الحكومات المتعاقبة صادرت أموال الإخوان مرة بعد مرة وجمدت أموالهم لكانت هذه الشركة من أكبر الشركات الاقتصادية فى مصر وفى الشرق كله فى تلك الفترة أيضا . كما ابتدأت العناية بإنشاء المدارس الابتدائية التى تتبع فى نظمها وبرامجها برامج وزارة المعارف ويزيد عليها مواد التربية الاسلامية ومدرس اللغة العربية إذا دخل يدرس فلا يكتفى بذكر علامات النصب والرفع والخفض ولكنه كان يضيف ويدرس معانى تربوية إسلامية تلفت نظر الصغار الى حقيقة هذا الدين ومدى ارتباط كل تصرفات الحياة الانسانية بهذه العقيدة ومرت الثلاثينيات فى هدوء تقريبا لم يعكر صفوها مصادرات ولا مصادمات ولا حل وإنما الإقبال يزداد ويزداد وينتشر ولما رأى الوفد أن الآلاف من مؤيديه يتسربون من صفوفه الى جماعة الإخوان فأحسن الصلة بهم فترة وأرسل بعض زعمائه منهم من هو على قيد الحياة ومنهم من انتقل الى رحمة الله وأقيم لهم حفل طيب فى دار الإخوان المسلمين وحضروا بالدار وخطبوا فيها وزكوا دعوة الإخوان المسلمين وأثنوا عليها ولكن السياسة غير ذلك فلما رأوا أن الأمر كاد أن يفلت من أيديهم قلبوا ظهر المجن وبدأت المصادمات العنيفة تتوالى من جانب الإنجليز والقصر والاقطاع والشيوعيين وحدث من الأحداث ما هو معروف فى الصحف والجرائد والمجلات ممن عاصروا ذلك العهد أو ممن قرءوا ما كتب فى ذلك العهد أو ممن قرءوا ما كتب عنها بعد أن بلغوا السن التى تسمح لهم بالقراءة والاطلاع على التاريخ فى ذلك الوقت “ .

ثم يطرح الكاتب اليسارى صلاح عيسى مقولة أخرى يقول فيها * “ فبينما كان الأعضاء الجماهيريون - بالجهاز العام - ينضمون للإخوان فى أغلب الأحيان استجابة لمشاعرهم الدينية الفطرية التى لم يبذلوا جهدا فى تعميقها أو تنظيرها وسعيا وراء كسب مثوبة الدعوة للخير والفضيلة ومقاومة الرذائل فى النفس الانسانية الى الدرجة التى يعتبرها بعضهم أصلا حركة سياسية تجمع بين عضويتها وبين عضوية أحزاب أخرى كالوفد المصرى مثلا .. “

ويقول الأستاذ التلمسانى ردا على هذه المقولة “ هذا غير صحيح .. المسألة أن واحدا مثل الأستاذ محمد عبد الرحمن نصير - رحمه الله - كان عضوا فى حزب الأحرار الدستوريين وكان يأخذ بمبادئ الإخوان المسلمين فلم يكن هناك تناقض أبدا لأن أسلوبه وكلامه فى المجلس وفى المجتمعات خاص بدعوة الإخوان المسلمين إنما الصفة الحزبية التى عرف بها فى بادئ الأمر أنه كان “ أحرار دستوريين “ وأنا نفسى كنت فى الهيئة أو اللجنة المركزية لحزب الوفد فى القليوبية ولكن بعد أن تبينت لى فكرة الإخوان وأهدافهم ومناهجهم واقنعت بها تماما كنت لا أعمل إلا من أجل الإخوان المسلمين رغم أن لى صفة أنى عضو فى لجنة الوفد فمع ذلك لم يكن هناك جمع بين صفتين بصورة عملية .. لقد كنت عضوا فى لجنة الوفد وعضوا فى الإخوان المسلمين ومحمد عبد الرحمن نصير كان عضوا فى الأحرار الدستوريين والإخوان ولكن هناك حقيقة لا بد أن تقرر وهى : أننا إخوان مسلمون قبل كل شىء .. “ .

ونتابع المقولات وبشكل أدق “ التقولات “ التى قيلت وتقولت فى حق الإخوان المسلمين وقال الكاتب الأمريكى ريتشارد ميتشل فى كتابه “ الإخوان المسلمون “ فى معرض حديثه عن الخلاف الذى ثار حول اختيار من خلف الإمام الشهيد فى الاسماعيلية بعد أن قرر الانتقال للقاهرة وانشق البعض على اختيار الممثل المنتخب وطعنوا بعدم كفاءته فى الأمور الإدارية ولكن الإمام الشهيد أعلن وبموافقة داننى الجماعة على تحمله شخصا مبلغ القروض المقدمة للجماعة بأسرها وعندما أعلن ذلك قدمت التبرعات الخاصة لتمكينه من سداد الديون بالكامل .

قال ميتشل : ثم قدم المنشقون وكان من بينهم أمين صندوق الجماعة بلاغا رسميا ضد البنا متهمين إياه بإساءة استخدام أموال الجماعة وذلك بتوزيعها على الشعب الجديدة ومن بينها الشعبة التى يرأسها شقيقه فى القاهرة وقد أصدر النائب قرارا ببراءة البنا من التهمة التى أعترف المدعى بأن الأعضاء أنفسهم يؤيدون تصرف البنا .. واقتنع البنا أن هؤلاء الرجال قد فقدوا إدراكهم لطبيعة الجماعة وإيمانهم بطاعة القيادة وبأن من الواجب فصلهم إلا أنهم استقالوا قبل أن يقدم على اتخاذ هذا الاجراء ليشنوا حملة من الشائعات حول خطورة الجماعة وعملها السرى وليشددوا بالذات على وقوفها ضد “ حرية الرأى “ .. وذلك هو الخلاف الوحيد فى حياة الجماعة .. فى عهد البنا - الذى توجد له رواية رسمية بهذا الشمول ..

ويرد الأستاذ التلمسانى على هذه المقولة قائلا : “ لا لم يكن هذا هو الخلاف الوحيد كما يقول ميتشل ففى عهد الإمام الشهيد حصلت خلافات كثيرة منها استقالة الأخ أحمد السكرى وكان وكيلا للجماعة ثانيا انشق فريق من الإخوان وكونوا ما يسمى بجماعة “ شباب محمد “ كما انشق فريق آخر وكون جماعة “ الشباب المسلم “ .. هذه الخلافات أمر طبيعى فى أية جماعة من الجماعات وفى أى هيئة من الهيئات لا يمكن أن يجتمع رأى الآلاف من الناس فهو يعتقد أنه فى مجال المساواة فى فهم حسن البنا لدعوة الإخوان المسلمين ويريد أن يتجه بهم اتجاها غير الذى أنشئت من أجله جماعة الإخوان المسلمين كانت هناك خلافات وانشقاقات ولكنها كانت مسألة عادية للغاية ولو أن حسن البنا كان يستغل - كما ردد البعض - أموال الإخوان لظهرت عليه أعراض الثراء لقد كان يكتفى بمرتبه ما بين 10 جنيهات وهذا الذى كان ينفعه على نفسه وأهل بيته وكان كل الاشتراكات التى تأتى للإخوان المسلمين تودع - كما هو معروف فى موضعها عند أمين الخزانة وتطلع عليها اللجنة المالية ويحاسب عليها قرشا بقرش وما كانت الاشتراكات ذات قيمة حتى يقال : ان الشهيد البنا كان يستغلها أو يستعملها ونفس الوفد انشق وحدث فيه تشكيل “ الكتلة “ والدستوريين كانوا جزءا من الوفد وأصبحوا “ أحرارا دستوريين “ وانشق أيضا فى الوفد السعديون كل الهيئات لم يكن يمكن أن تتفق آراؤها مائة فى المائة مع بعضها البعض .

أما الأخطاء والانقسات التي يبالغ فيها البعض ممن لهم غرض في ذلك فأقول : لا .. الجماعة كانت مدرسة يتربى فيها الشباب والشباب تتفاوت مراتب ذكائه وفهمه وعلمه بعض الشباب يكون على شيء من الإحاطة بالعلوم العامة والبعض الآخر يكون عنده قدرة على الخطابة والكلام .. مثل هذا الشباب يحظى بمكانة في صفوف الشباب ويقدرونه ويعطونه منزلة خاصة وأحيانا يتسرب الغرور في نفس هذا الشخص الذي أخذ موضعا معينا في صفوف الإخوان حتى أنهم يعرفون في الاحتفالات على أن فلانا لا بد أن يتكلم من موقع حبهم وتقديرهم له فالغرور يعمل أثره في نفوس هذا الشباب فيبدأ في التفكير في مسائل لا تتماشى مع الأسلوب الذي لعبه الأستاذ البنا والهدف الذي يتبعه الأستاذ البنا والهدف الذي يرمى إليه فيبدأ في الكلام وإثارة أقوال ضد الفكرة وإثارة أخطاء ضد الأستاذ البنا فينتهي الأمر أن الإخوان - بعد أن كان له مكانة عندهم - ينصرفون عنه ويعتزل الإخوان ويبعد عنهم .. كما حصل بعدد من الناس الذين أنشقوا من الإخوان وكانت كل معرفة الناس لهم عن طريق الإخوان المسلمين " ..

ولقد كان من أهم دعائم تقوية الروابط بين الإخوان وتشكيلاتهم المختلفة المؤتمرات التي عقدت خلال الثلاثينات والتي أثرت الفكر الحركي والتنظيمي للجماعة وساهمت في وضع الأطر التي حددت مسار الحركة وتقييم نشاط الحركة واندفاعها الى آفاق أرحب وأشمل لنشاطات الجماعة ومدارسه لأحوال الجماعة وإعداد العدة للمستقبل .. هذه كانت الفكرة الأصلية والمبدئية لمؤتمرات الجماعة وقد عقد المؤتمر الأول للإخوان وأطلق عليه اجتماع مجلس الشورى العام (وحضره نواب فروع الإخوان المسلمين بالقطر المصري بمدينة الاسماعيلية يوم 22 صفر سنة 1352 هـ) (1936) وكان للإخوان المسلمين في ذلك الوقت 15 شعبة بالقطر المصري وكانت أهم توصيات المؤتمر الأول للإخوان توصية بتشكيل مكتب الارشاد العام من عشرة أعضاء وعقد المؤتمر الثاني في بورسعيد وكانت أهم توصياته تكوين شركة صغيرة لإنشاء مطبعة للإخوان المسلمين وعقد المؤتمر الثالث في عطلة عيد الأضحى عام 1353 هـ وأصدر هذا المؤتمر توصيات هامة حول بعض التغييرات في مكتب الارشاد ومواصلة الاكتتاب لتغطية حصص الشركة المساهمة الخاصة بالمطبعة وتنشيط جريدة الإخوان المسلمين وإنشاء صندوق الدعوة للإنفاق على نشر الدعوة وتعيين الوعاظ والموظفين للقيام بأعباء الدعوة وتحديد منهاج الإخوان المسلمين وتحديد مواقف الإخوان من غيرهم من الهيئات وتحديد درجات ومراتب العضو داخل الجماعة وهي الأخ المساعد الأخ المنتسب الأخ العامل الأخ المجاهد كما حدد المؤتمر الهيئات الادارية للإخوان المسلمين وهي : المرشد العام - مكتب الارشاد ، - مجلس الشورى العام - نواب المناطق والأقسام - نواب الفروع - مجالس الشورى المركزية - مؤتمرات المناطق - مندوبو المكتب - فرق الرحلات - فرق الاخوات .

كما وضعت لائحة الزكاة والحج وتحديد الخطوط المالية للجماعة - ثم جاء المؤتمر الرابع عام (1356 هـ) وبدأ من خلال موكب مهيب للإخوان بلغ أكثر من 200 ألف في أكبر حشد شهدته مصر في تاريخها الحديث يهتفون * (الله أكبر والله الحمد) الاسلام منقذ الانسانية ، القرآن الكريم دستور الدنيا - ومن يتبع غير القرآن قانونا فقد ضل - نبايعك على كتاب الله وسنة رسوله وكان هذا الموكب احتفالا بحضور الملك فاروق وتسلمه مهام العرش وقد ثارت شبهات حول هذه النقطة سندر عليها في حينها ثم جاء المؤتمر الدورى الخامس عام 1357 هـ حيث أوصى بتشكيل لجان دستورية وقانونية وعلمية وفنية ومطالبة الحكومة المصرية بسن تشريعات لحماية الأخلاق والعقائد ورفع هذه القرارات للملك فاروق والجهات المختصة ونشرت قراراته بصحف الجماعة وخاصة " النذير " لسان حال الجماعة وكان المؤتمر الخامس من أهم مؤتمرات الدعوة حيث طرح الإخوان من خلال " النذير " وعلى لسان مؤسس الجماعة الامام الشهيد حسن البنا كلمة جامعة لدعوة الإخوان : تاريخها وأهدافها ومواقفها من الهيئات والأشخاص والحوادث وهكذا ساهمت المؤتمرات العامة للجماعة والتي تلتها وجاء فيما بين مواعيد انعقادها المؤتمرات الإقليمية للجماعة في رسم الخطوط العريضة لحركة الجماعة وأهدافها ومواقفها داخليا وخارج إطار الجماعة في مواجهة المواقف والأحداث المختلفة والمتعاقبة وأبرزت دور ونشاط الحركة على الساحة الجماهيرية والسياسية .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : المؤتمرات عادة معروفة الاهداف فكل هيئة أو جماعة أو حزب يستعرض بين حين وآخر المهام التي قام بها والوعود التي تحققت والمدى الذي وصل اليه انتشاره وشرح برامجه التي تنضج فترة بعد أخرى فكان كل مؤتمر يعقد في القاهرة يغشاها الإخوان وكذلك كان يحضره كثير من الهيئات الأخرى وما كانت هذه المؤتمرات قاصرة على الإخوان فقط ولكن كثيرا من أعضاء الأحزاب الأخرى الذين كان يدفعهم حب الاستطلاع لحضور هذه المؤتمرات ليعرفوا ما يدور داخلها وكانوا يستقبلون من جانب الإخوان بالترحاب والتقدير وكان الامام الشهيد حسن البنا يتولى الخطابة في غالب هذه المؤتمرات وحده ليشرح بدء قيام جماعة الإخوان المسلمين والتطورات التي لا زمت هذه الجماعة من وقت قيامها الى وقت انعقاد المؤتمر ويشرح لهم البرامج وما تحقق منها وما لم يتحقق ويعرض عليهم آمال المستقبل وما ينتوى أن يفعله الإخوان المسلمون .. وفكرة المؤتمرات قد أصبحت مؤتمرا للأمن الغذائي ومؤتمرا اقتصاديا وغيرها من المؤتمرات كل هذه المعاني في هذه المؤتمرات اقتبست من جماعة الإخوان المسلمين يوم أن كانوا يعقدون هذه المؤتمرات لمدارسه أحوالهم واسترجاع تاريخهم وما يعدونه للمستقبل وحتى ذلك الحين لم تكن بعد المؤتمرات في الدول الأجنبية أخذت وضعها الصحيح الذي هي عليه الآن فكان الإخوان المسلمون أسبق من غيرهم في إقامة تلك المؤتمرات ولقد كانت هذه المؤتمرات ضرورة من ضرورات نشر الدعوة وفي العصر الحديث الذي نعيشه نرى أن بعض الدول ذات الاتجاهات المعروفة تعقد مثل هذه المؤتمرات بين فترة وأخرى ويجتمع فيها الذين يؤمنون بمبدأ تلك الدولة من مشارق الأرض ومغاربها يتدارسون شئون مبدئهم ومدى انتشاره والمعوقات والأمور التي تساهم في انتشار الفكرة وكانت ضرورة للإخوان ليتبين للناس حيناً بعد حين مدى توفيق الجماعة في خطواتها وما هي المعوقات التي وقفت في طريق انتشارها . وإذا تتبع الانسان هذه المؤتمرات مؤتمرا بعد مؤتمر لتبين له الخطوات التي خطاها الإخوان المسلمون وما وصلوا اليه في المؤتمر الذي يعقد وتنشر وقائع وتوصيات المؤتمر في مجلات الإخوان المسلمين " والمباحث و " النذير وغيرها " .

ثم جاء المؤتمر السادس وهو آخر المؤتمرات العامة للدعوة وأقيم بدار المركز العام بالحلمية الجديدة في 9 يناير سنة 1941 وحضره عدد كبير من الإخوان في القاهرة والأقاليم وقد طرق الأستاذ البنا موضوعين جديدين هما : الشركات الأجنبية في مصر وكانت حوالي 230 شركة تقريبا ونبه " الإخوان المسلمون " لخطورة وجود هذه الشركات وسيطرتها على اقتصاد البلاد وامتصاصها لخيرات مصر أما الموضوع الثاني فكان عن الملك فاروق الذي كان محطاً لآمال الشعب بعد توليه العرش وذكر المحاولات التي تبذل لإيغار صدر الملك فاروق على الإخوان ونفى أن الإخوان أعداء للملك .. وهكذا كان المؤتمر السادس خاتمة هذه المؤتمرات واستغنى عن أسلوب المؤتمرات بنظام الهيئة التأسيسية والمكاتب الادارية وتسلسل القيادة .

ثم أضيفت دعامة جديدة للحركة وهي خطوة إنشاء فرق الكشافة أو الجواله وهي التي ضمت شباب الدعوة الاسلامية ويثير الكاتب صلاح عيسى شبهة حول هذه الفرق قائلا : " وفي استعراضه لملامح المساندة التي قدمتها أحزاب الأقليات السياسية الى الإخوان المسلمين في حربهم للوفد وضد أحمد حسين أن حكومة السعديين قد سمحت للإخوان بإنشاء " الجواله " التي كانت تشكلا شبه عسكري برغم أن القانون المصري كان يحرم قيام تشكيلات من هذا النوع فقد تضخمت جواله الإخوان المسلمين حتى وصلت الى عشرين ألفا كان باستطاعة الإخوان تعيبتهم في أي مكان شاءت .. " .

ويرد الأستاذ التلمساني على هذه المقولة قائلا : " هذا الكلام مسموم ومغرض لأن الكشافة نظام معروف في العالم كله وفي مصر نفسها وقبل أن تنشئ جماعة الإخوان المسلمين نظام الجواله كانت توجد في مصر كشافة ومنشآت جواله وكانت منتشرة في المدارس الثانوية فأنشئ نظام الجواله خلال الثلاثينات في ظل الظروف ولم يسمح به أحد ولم يمن به أحد على الإخوان المسلمين لأن بعض الجمعيات الأخرى كالشباب المسلمين وغيرهم كانت لهم كشافة فنظام الكشافة ليس بنظام عجيب ولا هو بنظام ممنوح للإخوان المسلمين بصفة استثنائية ولكنه كان نظاما معروفا وليس كما يقول صلاح عيسى أو د. عبد العظيم رمضان ومن هنا نحو وضع السم بين ثنايا السطور التي كتبها في مؤلفاته ليشوهوا مظاهر الإخوان المسلمين .

حقا إن جواله الإخوان المسلمين كانت تمتاز على الجوالات الأخرى فى القطر المصرى بعدة ميزات : كانت جواله نظيفة من حيث الأخلاق وكانت جواله تؤدى الواجبات الدينية فى حرص حتى أنه عندما بدىء فى تنظيم الجواله قام خلاف فقهى شديد بين أعضاء الجماعة الإخوان المسلمين فيما يختص بلبس الجواله القصير الذى يعلو الركبة فكان كثير من الاخوان يعارضون فى هذه الملابس والبعض الآخر يؤيدونها وانتهى الأمر بالاتفاق بينهم على أن هذا الأمر ليس بمستكر فى شرع الله سبحانه وتعالى وأن كشف الرجل لما فوق الركبة ليس فيه ما يخالف الشريعة الإسلامية وكانت الجواله لها مظهرها المحترم الرهيب وأراد الأستاذ البنا أن يشعر الملك فاروق بقوة الجماعة كما أراد أن يفهمه من طريق خفى أن عليه أن ينصرف عن المنكرات التى يرتكبها والاستهتارات التى يقوم بها وأن فى مصر شبابا مستعدا لحماية هذا الدين حماية فعلية ففى أعقاب عودته من الخارج عام 1937 استقبلته جواله الاخوان المسلمين استقبالا رائعا أدهشه هو نفسه وما كان الاستقبال احتراما للملك أو ترحيبا به وإنما كانت الفكرة من وراء هذا الاستقبال أن يبشعر الملك وعن رؤية واقعة بمدى قوة هذه الجماعة وأنها تستطيع ان تفعل الكثير .. وليست كما يقول ريتشارد ميتشل * إنها لعبت خلال الاحتفال باعتلاء فاروق العرش أول أدوارها الهامة كقوى " للنظام والأمن " - وحقيقة لو أراد الأستاذ البنا كما يشيع المغرضون أن يحدث حدثا لفعل ولكنه كما هو مكتوب فى رسائله أنه لا يلجأ الى العنف ولا الى الثورات وأنه يريد أن يربى الشعب تربية إسلامية حتى يتم وعى الشعب الكامل عن طريق الشعب نفسه لأنه إذا كان الشباب الذى يتخرج من الجامعة كله أو غالبية يدين بمبادئ الاخوان المسلمين فهم الرجال الذين سيتولون شئون هذا البلد ومختلف المؤسسات من قضاء الى طب الى وزارات وغيرها فما دام الاخوان أو جيل مصرى قد تربى تربية إسلامية سيتم التغيير بأسهل وسيلة ومن غير عنف أو صراع وهذه كانت الفكرة السائدة فى ذهن الأستاذ البنا وهو ما دعا يوما الى عنف أو تحريض .. "

وكانت أيضا دعامة قوية وهامة لنشاط جماعة الاخوان وهى "حديث الثلاثاء " وهو الحديث الذى ظل الامام الشهيد حسن البنا حريصا على إلقائه من أول يوم عرفت فيه دار الاخوان سنة 1936 * ولعدة مرات انتقلت دار الاخوان لعدة أماكن ومع انتقالاتها كان يكثر عدد حضور هذا الحديث أو الدرس وتحول حديث الثلاثاء لمؤتمر أسبوعى لبحث قضايا الساعة يمثل فيه شعب الاخوان وعدد كبير من أبناء الشعب وطغى حديث الثلاثاء على شعبية غيره من صور اللقاء سواء فى صورة احتفالات أو مؤتمرات وجذب اليه الكثير من الشباب والرجال ولم يجتمع أبناء الشعب حول فرد أو سلطة مثلما اجتمعوا حول آراء وأفكار وبلاغه وعطاء الشهيد الإمام حسن البنا ولقد تحول حديث الثلاثاء الى منبر وطنى وعقيدى وساحة للفكر الإسلامى ومركز للإشعاع والاستنارة وكل من عاصر هذه الفترة يعرف ما كان يمثلته هذا اللقاء الأسبوعى لدرجة كانت تضيق معه الشوارع المحيطة بالمركز بمن فيها من الناس الذين تجمعوا لسماع الأستاذ البنا وضافت معها صدور عناصر النفوذ من الانجليز والسراى والأحزاب لقدرة الإمام الشهيد على أن يجمع كل أبناء الشعب وطوائفه حوله ..

وهكذا كانت فترة الثلاثينات من أزهى عصور الدعوة التى حملت لواءها جماعة الاخوان المسلمين حيث استطاعت تكوين أرضية جماهيرية واسعة ومترامية عبر أقاليم ومديريات القطر المصرى بدءا بمدينة الاسماعيلية وانطلاقا من القاهرة لتشكيل الشعب الإخوانية التى وصلت الى حوالى ألفى شعبة فى مدن ومراكز وقرى ونجوع وكفور القطر وانتشارا من خلال البعد الاعلامى وأثره والذى أدركه وفهم أبعاده الإمام الشهيد فكانت مجلات وجراند الاخوان المتعددة كما استطاع الامام الشهيد أن يضع النظام الفكرى والحركى والتنظيمى للحركة بالمساهمة مع أفكار أعضاء الإخوان على كافة مستوياتهم التنظيمية ولم تقبع الحركة داخل الحجرات المقفلة أو داخل دور العبادة وإنما خرجت لتقول كلمتها فى المواقف والأمر والأحداث التى تحدث داخل وخارج القطر ا لمصرى فكانت جهود الاخوان فى مقاومة موجات التبشير ودورهم فى مساندة القضية الفلسطينية عام 1936 والوقوف الى جانب الفلسطينيين فى نضالهم ضد المؤامرة الانجليزية - اليهودية فى انتزاع حقوق الفلسطينيين فى الوجود والحياة فوق ارضهم ثم كان ذلك الحشد الضخم عند مقدم الملك فاروق لاعتلاء العرش واتجاه الاخوان لتنمية البعد الاقتصادى بإنشاء شركة المعاملات الإسلامية للإخوان المسلمين .

ولكن يبقى هناك سؤال على بساط البحث حول تقييم الحركة لنشاطها خلال الثلاثينات انطلاقا لتطور حركتها يقول الأستاذ التلمسانى : " الإخوان المسلمون كانوا يتبعون ولا يزالون فى تحركاتهم الأسلوب الذى يتبعه الرسول صلى الله عليه وسلم - فهم لا يدعون الى عنف أو

صدام وهم يعلمون تمام العلم أن نتيجة الصدام بين المواطنين وبين الحكومة وقيادة الجيش فيه خسارة على الوطن ومصلحة لأعداء هذا الوطن وهم حريصون على خدمة وطنهم وعلى ألا يستفيد أعداء الاسلام والوضع الطبيعي الذي أسفر عنها التاريخ منذ وجود سيدنا آدم عليه السلام وحتى اليوم أن كل شيء يولد صغيرا ثم يكبر فإذا كان الاخوان المسلمون قد بدعوا قلة وبدعوا متواضعين ثم اشتد ساعدهم شيئا فشيئا فهذا شأن كل شيء في هذه الحياة إنما ماذا نفعل للذين يريدون أن يصوروا أو يشوهوا كل تصرفات الاخوان المسلمين بأنهم كذا وكذا .. وحسبنا أننا اتهمنا بأننا شيوعيون ورأسماليون وأنصار القصر والاقطاع ولا يمكن أن يكون الإخوان أنصارا لأي طرف من هذه الأطراف لأن النفور تحقق بين هذه الهيئات وهو نفور لا يدعو إلى ونام ولا إلى اتفاق أو سلام .. فكل ما ينسب إلى الاخوان المسلمين في هذه الناحية محض افتراء ولا أساس له من الصحة لأنه يتنافى تمام المنافاه مع مبادئ هذه الدعوة التي تدعو إلى روابط الألفة والمحبة من الجماعات أو للإنسان والفرد يولد طفلا لا يستطيع أن يتحرك ثم يجلس لا يستطيع أن يسير ثم يسير متعثرا إلى أن تستقر أوضاعه ويصبح شابا يضرب في نواحي الحياة هكذا حال الجماعات تنشأ صغيرة وتكبر شيئا فشيئا ليس في هذا غرابة أبدا .

كما يتحدث عن خطة الشباب وهي من أهم الدعامات التي ارتكزت عليه دعوة الاخوان المسلمين فيقول الأستاذ التلمساني : " كل خير في هذه الدعوة كان وليد تفكير الأستاذ البنا ولكنه رضوان الله عليه إذا فكر في أمر من الأمور ما كان ينفذه من تلقاء نفسه ولكنه كان يعرضه على مكتب الارشاد ويقول : إن لديه اقتراحا فإذا أقره خرج إلى حيز التنفيذ وإن لم يقره يرجأ إلى حينه ودعوة الاخوان المسلمين أصلا تقوم على تربية الشباب ولا تقوم على تعليم الشباب - وفارق بين التعليم والتربية - فالتربية هي التنفيذ الفعلي لتعاليم الاسلام كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي وصف بأنه قرآن متنقل - قرآن يسير على قدمين - هذا ما كانت تعنى به دعوة الاخوان المسلمين وما يزالون يعنون حتى الآن بفكرة التربية يريدون أن يقيموا شبابا حرا نظيفا طاهرا مؤمنا بدينه وعقيدته كله رجوله وصراحة وشجاعة ووضوح وكانت هذه المسائل تشغل بال الاخوان المسلمين منذ قيامها إلى الآن فنحن لا نغنى بالناحية العلمية إلا بلقدر الذي يصحح تعاليم ديننا إنما الذي يهمنا فعلا أن نربي شبابا على كل المعاني التي يعنى بها الاسلام من وفاء ونتمنى أن يكون شبابنا كله في مصر على هذه الصفات " .

وهكذا ظهر الاخوان المسلمون بشكل فعلى وواقعى على خريطة الحياة السياسية وسرعان ما بدأت المواجهات والصدامات مع القوى الذي خشيت أن يهدد وجودها تلك الشعبية العارمة لجماعة الاخوان بدءا بالاحزاب والانجليز .. وهكذا جاءت الصدمات بسرعة نحو الجماعة وكان الابتلاء والاختبار .. والمحن .

الباب الثانى - عقد الصدمات

واشتعلت الحرب العالمية

إنشاء النظام الخاص

حرب فلسطين

حكايتنا مع النقراشى

مؤامرة إغتيال الشهيد

هذه هي مواقفنا

الفصل اربع

واشتعلت الحرب العالمية

دقت طبول الحرب ودوى صوت المدافع والبارود فى أجزاء متفرقة من العالم إيذانا باشتعال الحرب العالمية الثانية من سبتمبر عام 1939 بين الحلفاء ودول المحور ومع دق طبول الحرب سقطت وزارة محمد محمود باشا وألف على ماهر باشا الوزارة فى أغسطس عام 1939 وبدأت مع وزارته حرب من نوع آخر حول سؤال مصيرى هل تدخل مصر الحرب مع بريطانيا أم لا تدخل ؟ واستمرت هذه المعركة فترة طويلة انقسمت فيها الأحزاب وتششت بين مؤيد ومعارض لدخول الحرب مع الانجليز فكان هناك فريق السعديين وكان يرى دخول مصر الحرب فوراً مع انجلترا وفريق الوفد ويرى دخول مصر المشروط باستجابتها للمطالب الوطنية وفريق ثالث وهو الوزارة ورأى عدم دخول مصر الحرب .

وكان للإخوان موقفهم المحدد من تلك القضية والذي حدده الامام الشهيد حسن البنا حين بعث بمذكرة الى على ماهر باشا رئيس الوزراء بعد اندلاع الحرب بأيام حدد فيها رأى الاخوان فى موقف مصر الدولى قال فيها " يا صاحب الرفعة إن موقف مصر الدولى يجب أن يكون واضحاً صريحاً ويجب ألا تتورط الحكومة فى شئ لا شأن لها فيه ولا صلة لها به إنما أمة مستقلة تمام الاستقلال بحكم القانون الدولى وبيننا وبين انجلترا معاهدة قبلها من قبلها تحت ضغط ظروف وأحوال خاصة لا على أنها غاية ما ترجوه مصر ولكن على انها خطوة فى سبيل تحقيق الأهداف المصرية السلمية وتنص المادة (7) من هذه المعاهدة على أن مساعدات مصر لإنجلترا إنما تكون فى داخل البلاد المصرية ومحصورة فى حدود معينة .. ولقد ظلت مصر وفية كل الوفاء بهذه التعهدات وعملت فى ذلك أقصى ما يمكن أن يعمل فكل زيادة على هذا لا يمكن أن يقبلها مصرى أيا كان لونه الحزبى أو السياسى وكل زيادة على هذا تفريط وتصنيع لحقوق هذا الوطن وجناية على هذه الأمة الناهضة الوفية .

فالإخوان المسلمون وهم الذين يرون فى المعاهدة المصرية - الانجليزية إجحافاً كبيراً بحقوق مصر واستقلالها الكامل يريدون من حكومة مصر أن لا تتجاوز هذه الحدود المرسومة على ما فيها من إجحاف بأية حال ومهما كانت الدوافع اليه وأن تنتهز كل فرصة للاستفادة من الظروف الحاضرة وتكسیر قيود الاحتلال التى تقيد حريتنا واستقلالنا وحقوق نهضتنا فإن اعتدت علينا أية دولة ونحن فى ارضنا فكل شبر من مصر الغالية فداؤه الدماء والأرواح والأموال والأبناء والإخوان المسلمين حينئذ على أتم استعداد لأن يذودوا عن حياض هذا الوطن بكل ما يملكون من نفس ومال وإن الدول الأوربية يا رفعة الرئيس مهما كان لونها لا عهد لها ولا ذمة ومهما تظاهرت بالحياد والمودة فإنها تخفى غير ما تظهر ولا تتردد فى تكذيب نفسها إذا وجدت مصلحتها فى هذا التكذيب فمن واجبنا أن لا نخدع بحياد محايد بل لا بد من الاستعداد التام بكل معانيه وبكل سرعة وهمة وحتى نواجه الخطر ونحن على تمام الأهبة فلنقف موقف الحياد وسنعمل جاهدين للإستعداد " . *

كما تناولت المذكرة رأي الإخوان فى الإصلاح الداخلى وتحديد دقيقاً وشاملاً لماهية الإخوان المسلمين ودورهم ودعوتهم . وهنا نورد مقولة د. عبد العظيم رمضان حيث يقول : كان موقف حزب مصر الفتاة وجماعة الإخوان المسلمين أقل شجاعة من موقف صدقى باشا .. لقد كان موقف الإخوان المسلمين محسوباً بدقة ومشوباً بالحذر الشديد وقد تحاشوا فيه التناقض الضار الذى وقع فيه حزب مصر الفتاة فبينما أوضحوا عدم تأييدهم لمعاهدة 1936 إلا أنهم رأوا أن تعنى مصر بالتزاماتها دون زيادة ثم أيدوا دخول مصر الحرب إذا اعتدى على اراضيها " .

ويقول الأستاذ التلمسانى رداً على المقولة : " للدكتور عبد العظيم رمضان أن يقول ما يشاء فالكلام لا ثمن له ويستطيع أى انسان أن يخلق من الوقائع غير الصحيحة ما يشاء ما دام لا حساب هناك عليه والحقيقة أن موقف الإخوان المسلمين من تلك الحرب كان هو الموقف الواضح الصحيح الذى كان يجب أن يفعله كل مسلم ومواطن يعرف قيمة الوفاء بالمعاهدات الدولية ولقد كان بيننا وبين انجلترا معاهدة وقعت عام 1936 وأقرها ممثلو الشعب فى ذلك الوقت سواء كان انتخابهم صحيحاً أو مزيفاً أقرها مجلس النواب وأصبحت معاهدة دولية من الواجب الوفاء بها ولم يكن فى قدرة مصر عسكرياً أن تنتكر لهذه المعاهدة فى ذلك الحين والاسلام يأمر المسلمين بأن يفوا بالمعاهدات حيث يقول الله سبحانه وتعالى : " يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود " فكل عقد يعقده المسلم مع غيره مسلماً كان أم غير

مسلم يجب عليه الوفاء بهذا العقد فالأستاذ البنا أو ممثل الاخوان المسلمين قال : إن بيننا وبين انجلترا معاهدة ويجب أن نعنى بالتزاماتنا تجاه هذه كمعاهدة على ألا نزيد وهذا موقف سليم مائة فى المائة وموقف رجولى وبطولى ولا معاهدة ما كانت تلزمنا بأن نهاجم أعداء انجلترا ولذلك قال الأستاذ البنا : إننا لا ندخل الحرب إلا إذا هوجمت مصر بالذات فإذا لم تهاجم فلا شأن لنا بهذه المسألة ولكننا نفى بتعهداتنا فى هذه المعاهدة فالموقف كان واضحا كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولكن البعض يريدون أن يحملوا الألفاظ مالا تحتمله أو يريدون أن يعملوا من " الحبة قبة " ليعرفوا بين الناس أو يعرف الناس أنهم يكتبون فى التاريخ وأنهم يناقشون أقوى جماعات مصر والمثل الذى يقول " خالف تعرف " كان سنتهم فى تلك الكتابات فما كان واحد يكتب ضد الاخوان المسلمين إلا ليعرف فى جنبات مصر والذين يعرفون الأستاذ عبد العظيم رمضان حق المعرفة - ولم يكن لى حظ فى التعرف عليه حتى الآن - يحدثوننا عنه كثيرا ويقولون عنه : ما يعرفه هو عن نفسه بالذات "

ولا يفتأ د. عبد العظيم إلا أن يلقي بسهم آخر من جعبته المليئة بالمغالطات حول الإخوان المسلمين فيقول * حول اندلاع مظاهرات الى الأمام ياروميل " من جموع الطلبة الأزهريين وأما الإخوان المسلمين فإن نفوذ القصر وعلى ماهر باشا كان يمارس من خلال هذه الجماعة كما يقول " كيرك " وقد أشرنا الى انه كان يعزى اليهم الدور الأول فى إيجاد تيار الدعاية والكرهية ضد بريطانيا فى خريف عام 1941 وذكر أنه حينما طلب الإنجليز من رئيس الحكومة اعتقال البنا لم يلبث أن أطلق سراحه " بضغط القصر " فيما يظهر والذى قيل إنه يمدّه بمعونة سخية وواضح أن الإنجليز كانوا يهدفون من اعتقال حسن البنا وكبار أعماله الى تقليص أظافر فاروق وعلى ماهر باشا وحرمانهما من أداة يمارسان من خلالها نشاطهما بين الجماهير الشعبية العريضة ومع ذلك نلاحظ أن حسين سرى باشا لم يتهم الإخوان بأى دور فى تحريك المظاهرات .

ويرد الأستاذ عمر التلمسانى على هذه المغالطات قائلا : " هذا الكلام لا أساس له من الصحة على الإطلاق وإنما الذى دعاهم الى هذا الكلام أن العداء بين المصريين جميعا وبين الإنجليز كان عداء طبيعيا لأن الإنجليز يحتلون مصر ويستعمرونها ويستغلون مواردها ويستفيدون من قطنها ومنتجاتها فى مصانعهم ويحرمون المصريين من هذا فكان بديها وطبيعا أن يكره المستعمر وجود المستعمر هذه مسألة لا يمكن الجدل فيها سواء كنا " إخوانا مسلمين " أو غير اخوان مسلمين كل الهيئات كانت تنتظر لأنها تكره الاستعمار وتكره الاحتلال البريطانى هذه المسألة ليست جديدة والحديث فيها حديث ممجوج لأنه إن لم يكن الوضع هو كراهية الشخص المحتل للشخص الذى احتل لا يبقى إنسانا بالمعنى المعروف ولكنهم يديرون المسائل وفق أهوائهم فكان العداء بين الإخوان المسلمين والإنجليز عداء طبيعيا لدرجة أنهم حين وقعت أحداث القناة فيما بعد كان يقوم بها الاخوان .. ولا يمكن أن نطالب بأن يحل الألمان محل الإنجليز واحتلال أراضينا ونحن إذا كرهنّا أن يحتلنا الإنجليز فالمسألة تنصب على الألمان أيضا ونحن نريد حرية كاملة بعيدا عن أى احتلال أو استعمار .. فمظاهرات " الى الأمام ياروميل " لم تكن وليدة حب المصريين لروميل إنما كان واقعا كراهية المصريين للإنجليز فاتفقت كراهية المصريين للإنجليز كمحتلين مع كراهية الألمان للإنجليز كمحاربين فى وجهة نظر واحدة .. وما كان المصريون يفكرون أبدا فى أن تخرج انجلترا لتحل محلها ألمانيا فى احتلالنا وإلا كنا بلهاء وأغبياء والحمد لله لم يستطع واحد من هؤلاء المغرضين أن يتهمنا بأننا كنا دعاة الى الأمام ياروميل أو غيرها وكما قلت أكثر من مرة أن تهمة استغلال القصر لنا أو مساعدتنا للقصر تهمة مدحوضة من أساسها لأن الذى قتل حسن البنا هو القصر وعجيب أن يقتل الملك إخوانه وأنصاره كما يدعى هؤلاء .

اعتقال الشهيد الإمام :

أعادت بريطانيا دراسة حساباتها فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بعد العصيان المسلح الذى قام به رشيد على (الكيلانى) فى العراق وأحسّت أن موقف على ماهر باشا الوطنى باعتباره ذا ميول هدامة بعد استقالته وتشكيل حكومة برياسة حسن صبرى باشا فى 29/يونيو 1940 وأصدرت الحكومة المصرية قرارا بنقل الامام الشهيد الى الصعيد ثم سمح له بالعودة للقاهرة ثم ألقى القبض عليه

ويلقى صلاح عيسى ظللا من الشك حول مقابلة حامد جودة سكرتير الحزب السعدى للشهيد الامام البنا فى معتقل الزيتون حيث قال * " وفى أحد الأيام زار حامد جودة سكرتير الحزب السعدى معتقل الزيتون حيث التقى بالشيخ حسن البنا وقضى معه عدة ساعات واعتذر اليه من اعتقاله ثم ما لبث حسن البنا أن خرج من المعتقل بعدها بقليل .. وعلى الرغم من أن أحدا لم يعرف ماذا دار بين الوزير السعدى والزعيم الاخوانى إلا أن الراصدين للتطورات السياسية فى مصر لا حظوا أنه خلال سنوات الحرب وعندما كان العمل السياسى فى مصر مصادرا بقسوة فإن الاخوان المسلمين الذين كانوا حتى ذلك الوقت مجرد جمعية صغيرة لا تختلف فى وزنها عن مثيلاتها كجمعية الشبان المسلمين والجمعية الشرعية قد توسعت بشكل قاس وانطلق خطبائهم فى المساجد يهاجمون النازية .. "

ويرد الأستاذ التلمسانى على هذا الادعاء قائلا : " يؤسفنى أن يزل لسانى بكلمة .. إن هذا كلام حشاشين لماذا ؟ لأن الأستاذ حسن البنا لم يكن المعتقل الوحيد فى ذلك الوقت ولكن كان هناك الكثير من المعتقلين من المعروفين بالعمل السياسى فى مصر فليس اعتقال حسن البنا بعجيب على هؤلاء وكون خروج الأستاذ البنا قبل غيره فهذا هو الذى يحدث عادة فى المعتقلات وفى كل تاريخ أن يخرج الناس من المعتقلات أفواجا أفواجا وقد تصادف أن يخرج البنا قبل غيره وبعد غيره ليس فى هذا ما يلفت النظر أو يدعو الى الشكوك والظنون .. "

وكون حامد جودة قابل الشهيد البنا فى المعتقل فمن البديهي أن أنصار الحكم القائم يحاولون الاتصال بمن يتصورون بأنهم معارضون لهم ليحاولوا أن يجذبوهم الى صفوفهم وكون الاخوان المسلمين انتشروا انتشارا لم يصل اليه غيرهم فهذا ذكاء من الاخوان المسلمين واستغلال الفرص التى يستطيعون من خلالها أن ينشروا دعوتهم .. كلها هذه الادعاءات عيوب مفتعلة وافتعالات صغيرة ما كان يصح أن ترصد فى كتب إنما هكذا شاء بعض الناس أصحاب الأغراض " .

لقاء الإمام الشهيد بالانجليز:

ويبدو أن الانجليز حاولوا بشكل ملتبس إثراء الإمام الشهيد ورفاقه عن المضى فى مهاجمته الانجليز وأعقب لقاءه .. أى الإمام الشهيد بوثيقة موجهة لجماعة الإخوان المسلمين ويقول ميتشل فى خصوص هذه الواقعة وبعد الافراج عن البنا فى أكتوبر 1941 جرى اتصال بين السفارة البريطانية والاخوان المسلمين والواقع أن مسألة من الذى بادر بالاتصال ؟ كانت وما تزال موضع خلاف وعلى أن الواضح أن الاتصال قد تم بالفعل وأنه لم يسفر عن نتائج إيجابية والنقطة الأساسية هنا هى أن الإخوان قد رأوا فى فشل بريطانيا فى " شرانهم " سببا لمضايقات النحاس للجماعة أولا برفضه ترشيح البنا للانتخابات وثانيا موافقة العدائية المتكررة تجاههم طوال فترة بقائه فى الحكم وتأكد الاخوان بشكل قاطع من الموقف العدائى الثابت للبريطانيين تجاههم حتى ان البنا كتب رسالة وداع لأتباعه فى منتصف عام 1943 نتيجة لاقتناعه بأن المخابرات البريطانية تعمل جاهدة وتضم هذه الوثيقة - التى تحتل مكانا بارزا فى قائمة القرارات المعروفة للأعضاء من المعناه التى تنتظرهم فى مواجهة تزايد العداء الخارجى ويجدر الاستشهاد بجزء من تلك الوثيقة بوصفها انعكاسا لاتجاه فكرى أساسى فى الحركة وبوصفها ايضا نوعا من التنبؤ بما سيقع من أحداث .

العقبات فى طريقنا

" أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية وستجدون أمامكم كثيرا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم مجتهدين للدعوة وتسعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد . سيقف جهل الشعب بحقيقة الاسلام عقبة فى طريقكم وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطة وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم .

ويستكمل الامام الشهيد قائلا : أيها الأخوة المسلمون اسمعوا : أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم الى حين فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب اليكم فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجمعوا عليها وإن تحت كل كلمة لمعانى جمه .

أيها الإخوان أنتم لمستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هينة موضوعة لأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديدة يسرى في قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله وصوت داو يعلو مرددا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إذا قيل لكم : إلام تدعون ؟ فقولوا ندعو الى الاسلام لذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه فإن قيل لكم : هذه سياسة فقولوا هذا هو الاسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام وإن قيل لكم : أنتم دعاة ثورة فقولوا : نحن دعاة حق وسلام نعتقد ونعزز به . فإن ثرتم علينا ووقفتم في طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين وإن قيل لكم أنتم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا : " أمنا بالله وحده وكفرنا بما كنتم به مشركين " فإن لجوا في عدوانهم فقولوا " سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين " .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " هذه الواقعة لها نصيب من الصحة ولكن على غير الصورة التي أوردها ميتشل في كتابته عن الاخوان المسلمين فعندما قامت الحرب العالمية الثانية كان زعماء انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة قد صدرت منهم دعايات وأصوات تدعو لحماية حقوق الانسان وحماية الديمقراطية وإنكار فضيلة بعض الأجناس والواقع أن هذه الدعايات وجدت اتساعا وانتشارا ووجدت مسرى في نفوس الكثيرين وظنوا مخطئين أن هذه الدول تدافع حقا عن حقوق الإنسان وعن حريته ومن هذه الوسائل جرى اتصال من جانب السفارة البريطانية بالأستاذ البنا وطلبت منه أن يلقي محاضرات في الاذاعة عن الديمقراطية وحددت له خمسة آلاف جنيه في المحاضرة الواحدة فسألهم . هل أتحدث عن حقوق الإنسان والحريات والديمقراطية بمفهومى أنا ومفهوم الاسلام أم أن لكم غرضا آخر للحديث عن الديمقراطية فكان جوابهم : إنك تعرف أننا في حرب مع ألمانيا وأنا نريد أن ينضم الرأي العام العالمى كله الى جانبنا فإذا تحدثت عن الحريات من وجه نظرنا فيكون لذلك أثر في الرأي العام العالمى ويساعدنا في هذا الموقف فقال لهم الامام الشهيد : إن أردتم أن أتحدث في الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان فأنا على استعداد أن أتحدث عنها في الاذاعة وبلا مقابل على شريطة أن أتحدث بوجه نظرى أنا ووجهة نظر الاسلام وليس من وجهة نظركم .. هذا كل ما تم من اتصالات أو كلام أو لقاء في هذه " الشوشرة " التى يفتعلها ميتشل وأمثاله وانتهى فيها بأنه قال : إن هذه لم تسفر عن شيء .. والأستاذ البنا يوم أن فكر في هذه الجماعة ومن يوم أن قامت وانتشرت وكل الاخوان المسلمين - وليس الأستاذ البنا بمفرده - يعلمون أن أشد أعداء هذه الفكرة هم الصليبيون وأن أنصار الصليب لا يريدون أن تقوم للإسلام قائمة في أية بقعة من بقاع الأرض .. وكنا جميعا على ثقة كاملة من عدائهم لهذه الدعوة ولذلك تجد أن شعار الإخوان المسلمين أو هتافهم " الموت في سبيل الله أسمى أمانينا " كانوا يعلمون أنهم عرضة لمضايقات واعتقالات واغتيالات ولكل شيء كانوا يعدون أنفسهم لهذا فرحين مستبشرين بأنه إذا قتل إنسان منهم في سبيل الله فمأواه الجنة والنعيم الدائم عند الله سبحانه وتعالى .. ولقد كان أمرا متوقعا عند جميع الاخوان " .

الخلاف مع الوفد :

ذكرنا من قبل أن هناك إحساسا تولد لدى الوفد أن الاخوان المسلمين يسحبون البساط - وهو الشعبية والأغلبية - من تحت أقدامه وأن الاخوان ينافسونه وخاصة في مجال اجتذاب الشباب رغم محاولته الأولى تحسين صلتة بالجماعة وتزكية بعض زعمائه لجماعة الاخوان - على اعتبار أنها جمعية دينية لا تحشر أنفها في خضم السياسة ودهاليزها فلم يحاول الاخوان المسلمون في يوم من الأيام أن يدخلوا في صدام أو صراع مع أية جبهة من الجبهات السياسية المعروفة في ذلك الوقت وعلى وجه الخصوص " الوفد " صاحب الأغلبية

ال جماهيرية ولكن سرعان ما سبب الانتشار السريع لتشكيلات الجماعة وشعبها قلقا بالغاً لدى زعماء حزب الوفد وسرعان ما تحرك هذا القلق في اتجاه الحركة والصدام مع الإخوان "

ولكن حزب الوفد كان حزب الأغلبية وأحس أن الإخوان امتد نفوذهم الى الشباب واصبح الكثير من هؤلاء الشباب يتسللون من الوفد الى صفوف الإخوان وطبعاً حرص رئيس حزب الأغلبية أنتنظل أغليبيته كما هي فلا بد أن يفتعل المواقف للصدام مع الهيئة التي تنافسه الزعامة على الشعب فحدث ما حدث عندما استدعى النحاس باشا الأستاذ حسن البنا وقابله في " مينا هاوس " وألح عليه أن يتنازل عن ترشيح نفسه للانتخابات في الاسماعيلية بحجة ان موقفه هذا وتصميمه على المضي في الانتخابات أمر لا يفيد الإخوان المسلمين بقدر ما يضر البلد نفسها لأن الإنجليز لا يريدون أن يدخل البنا مجلس النواب ولأن الأستاذ البنا كان يقدر دائماً مصلحة البلد فاستجاب الى هذا الرجاء وتنازل عن ترشيح نفسه ولكن الوفد ظل على موقفه من الإخوان لأنها الهيئة الوحيدة التي كان يستجيب المواطنون لها ولم يكن لحزب الأحرار الدستوريين أو السعديين أو غيرهم أى اثر في نفوس الشعب لأنها كانت احزاب اقلية لا تنجح في الانتخابات إلا إذا كان هناك تأثير من الحكومة القائمة لتستبعد الوفد عن مجلس النواب وحلت الشعب تقريباً ولم يبق غير المركز العام وحاول الوفد بمختلف الوسائل شأنه شأن غيره في ذلك الوقت أن يشكك الناس في دعوة الإخوان المسلمين واتهمهم بأنهم يسعون الى الحكم وفي كل هذه الأطوار لم يقل الإخوان كلمة واحدة تجاه النحاس باشا أو غيره ولكنهم كانوا يستمعون الى الاتهامات والاشاعات بدون اكرثاث لأنها تموت من تلقاء نفسها ولأنها لا أساس لها من الصحة ولما عجز الوفد عن أن يحتوى الإخوان المسلمين أو أن يضمهم الى صفوفه أسفر عن حقيقة نواياه وأغلق الشعب والمركز العام ولكن لم يكن في تصرفات الوفد تجاه الإخوان ما انحدر الي غيره من الأحزاب أو القصر - حقا حصل قبض واعتقال ولكن كل هذا كان يتم في صورة بعيدة عن العنف أو لا يجرح مشاعر الناس في مجالات القبض والاعتقال وما كان يمكن أ تكون هناك علاقة مودة وصفاء من ناحية الوفد أو الأحزاب الأخرى تجاه الإخوان لأنه في الوقت يعتبرون فيه الإخوان دعاء لمصلحة هذا البلد وحمله لتعاليم دينه كان الوفد والأحزاب الأخرى تنظر لهذه المسألة من زاوية أخرى وهي أن الإخوان منافس خطير لهم على زعامة الشعب . وكان هذا الأمر لا يرضيهم بأى حال من الأحوال لأن الوفد كان يعتقد بأنه صاحب الأغلبية وصاحب الشعبية وأن الأمة كلها تثق فيه فلما رأوا إقبالاً للشباب على مبادئ الإخوان المسلمين راوا أنهم " الخطر الحقيقي " على شعبيتهم فكان ما كان من عدم وفاق واتفاق في وجهات النظر . والحقيقة أن الإخوان المسلمين كان موقفهم موحداً تجاه جميع الأحزاب ما كانوا يفضلون الوفد على الأحرار الدستوريين ولا يفضلون السعديين على الوفديين ولا شيء من هذا القبيل لأن النزاع كان على مبادئ والمبادئ لها جذور عميقة والإخوان المسلمون كانوا يريدون أن تحكم مصر بشرع الله وهذا أمر لم يكن وارد ا في أى برنامج من برامج الأحزاب بل كلها كانت راضية لتنفيذ القوانين الوضعية الأمر الذي رأى الإخوان المسلمون بأنهم لا يصح أن يقبلوه لأن حكم الله فوق كل حكم ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : " إن الحكم إلا لله " أى أن الحكم لا يجوز أن يكون إلا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم " ومن نافلة القول : أن الإخوان المسلمين لم يرسموا لأنفسهم الدخول في تحالفات سياسية أو الانضواء تحت جبهات معينة وإنما انطلقوا في دعوتهم مستقلين عن أى ضغوط يمكن أن تمارس عليهم . ولم يهدفوا كما ذكر الأستاذ البنا في مذكراته للوصول الى كرسى الحكم كما كانت تسعى الأحزاب صاحبة الأغلبية والأقلية البرلمانية أو في المستوى الجماهيرى .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " نحن رفضنا أن نكون حزباً لأن للأحزاب أسلوباً معيناً في العمل ولأن للحزب برنامجاً ونحن ليس لنا برنامج أو منهج لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو منهجنا لهذا المعنى ولأننا لا نقر الأساليب التي تتخذها الأحزاب سبيلاً للوصول الى أهدافها ومن بينها الحكم ولم نرض أنفسنا أن نكون حزباً لأننا نتبع أسلوباً يخلو من أى غرض شخصى نحن يرضينا أن يأتى أى انسان من أى حزب يطبق شريعة الله فنتبعه ولا نعارضه ونحن لسنا حريصين على أن يكون رئيس الدولة من الإخوان المسلمين .

وما دام يتبع كتاب الله وسنة رسوله فنحن لسنا ضده هذا الذى حال بيننا وبين أن نكون حزبا لأننا نعرف كيف تتعامل الأحزاب مع بعضها البعض وكيف تسلك مختلف الطرق التى لا نقرها للوصول الى المجالس النيابية " .

والغريب أن يسعى كاتب مثل صلاح عيسى للتقول على الإخوان حين يقول : وهم أى الإخوان - لا يقرون بأنهم فصيلة سياسية بين فصائل أخرى ولكنهم يرون أنفسهم " حزب الله " حيث لا يجوز مع حزب الله أن توجد أحزاب أخرى ,, ونتساءل من أين أتى صلاح عيسى بهذا التصور الغريب - إن فكرة الحزبية لم تكن واردة بشكل صريح أو متوارب فى دعوة الإخوان المسلمين وكون أنهم لا يرضون أن يكونوا جزءا من التحالفات السياسية لا يعنى أن يدخلوا ضمن ما وصفه الكاتب " بالانتهازية السياسية " .

إن حكومة النحاس باشا التى جاءت الى الحكم فى حادث 4 فبراير 1942 بمساندة الدبابات الإنجليزية أبت أن يقلق مضجعها وجود شعبية تقارب شعبيتها وأن تقلق النفوذ الإنجليزي الذى حرصت تلك الحكومة الوفدية ألا تثير قضيته وسادت موجة من التوتر وعدم استقرار العلاقات بين حزب الوفد وجماعة الإخوان ثم أغلق النحاس باشا جميع شعب الإخوان عدا المركز العام فى نهاية عام 1942 وعقب زيارة لمجموعة من كبار رجال الوفد تغيير الموقف ثم عاد للتدهور وهكذا كان " ترمومتر " العلاقة بين الإخوان والنحاس باشا مرتبطا بالانجليز .. وهكذا ظل التوتر قائما بين الجماعة والحزب وسرعان ما تحول الى صراعات عنيفة لم يكن الإخوان المسلمون بمثيريها .

الفصل الخامس

إنشاء النظام الخاص

بعد ان استكمل الإمام الشهيد بناء أركان النظام العام للجماعة وقواعده متمثلة فى مكتب الارشاد والمرشد العام - على قمة التنظيم - ونزولا فى السلم التنظيمى الى الشعب الإخوانية فى مدن وقرى القطر المصرى .. وأحس الإمام الشهيد بأن الجماعة تمضى فى تحقيق أهدافها بشكل طيب وإيجابى ولكن ثمة ما ينقص هذه الجماعة وأطال التفكير فى هذه المسألة وهى إيجاد البعد المادى للدعوة وهو أن تمثل الجماعة الى جانب أدوارها المعنوية فى إيقاظ شعلة الوعى الإسلامى بين المصريين قوة مادية قادرة أن تبطش بأعداء الدعوة الإسلامية وحماية الدعوة من هؤلاء الأعداء وكانت مجريات الأمور فى تلك الفترة تشير الى ان الإنجليز يشددون قبضتهم على البلاد مستندين الى تحالف طبيعى وتقليدى مع القصر فى حين لم تشكل الأحزاب خطرا من أى نوع على وجودهم وخاصة بعد أن أتوا بوزارة النحاس باشا الوفدية للحكم بالدبابات الانجليزية فى حادث 4 فبراير 1942 .. وفى نفس الوقت كانت تجرى مؤامرة خطيرة هدفها بيع أرض فلسطين لليهود بتواطؤ أنجليزى ولطرد أهل فلسطين من أرضهم التى عاشوا فيها آلاف السنين وشعر الأستاذ البنا أن مثل هذه الأمور تجرى دون أن تجد من يقف لها ويواجهها فالحكومات العربية فى ذلك الوقت ومنها الحكومة المصرية كانت أسيرة قوى الاحتلال متهاكة هزيلة المواقف لا تنفع ولا تضر ولا تتحرك قيد أنملة لدرء الأخطار المحيطة بدولها وشعبها .

وهذه تفكيره لآتشاء النظام الخاص للجماعة لأنه الحل الوحيد لكى يشعر المحتل الانجليزى بوجود المقاومة لوجوده غير المشروع على الأرض المصرية ولحماية الدعوة ومواجهة خطر اليهود فى فلسطين وهى الأهداف التى قام من أجلها الجهاز الخاص وليس كما يزعم عباقرة الكتاب الماركسيون من أساتذة التصنيف والتوصيف والتشويه - بأنه أنشئ للقيام بالاغتيالات السياسية وقلب نظام الحكم .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى " الإخوانا لمسلمون أعلنوا أن هذا النظام الذى أنشئ عام 1936 كان هدفه الأول هو تحرير مصر من الاستعمار البريطانى وإنقاذ فلسطين من اليهود ولكن الأغراض والأهواء كانت دائما تنكر هذا المعنى الحقيقى وتنسب الى الإخوان أن

النظام لم ينشأ في الاخوانا لمسلمين إلا سعي وراء الحكم وما من شك أن هذا النظام قام بأدوار غاية في البطولة بالنسبة للوطن والاساءة الى الضباط والجنود البريطانيين المحتلين كما قام بدورة المجيد في حرب العصابات في فلسطين ضد اليهود - والمغرضون ينسون هذه المواقف ولا يتذكرون إلا أن النظام أنشئ في الاخوان لغرض الاستيلاء على الحكم ومن المسلم به بدهاءة أن الشئون التي فيها الشكل العسكرى أو الحربى - فى كل دول العالم فإنها تأخذ صورة من السرية وليست هناك دولة فى العالم تطلع غيرها من الدول على أسرار الجيش حتى المواطنين أنفسهم لا يكونون على علم بالشئون الحربية ولا يتدخلون فيها ربما أن النظام كان الجانب الأكبر من دوره الحربى هو مقاتلة الانجليز باعتبارهم محتلين ومقاتلة اليهود باعتبارهم مغتصبين لأرض فلسطين كان هناك شئ من السرية فى عدم التصريح بأسماء الجهاز وحقيقة وقعت أخطاء من بعض أفراد النظام ولكنها فى مجملها أخطاء شخصية يجب ألا تنصرف الى الاخوان جميعا أو لا تنصب على الاخوان جميعا وهنا لابد أن نقف وقفة مع ما جاء فى مقدمة صلاح عيسى عن هذه الفقرات حيث يقول * لقد سعى حسن البنا الى بناء منظمة من الكوادر تتلقى تربية وإعدادا خاصا وتعد لتكون (ميليشيا) سرية مسلحة مهمتها أن تستولى على الحكم بتحريك إنقلابى "

ولا ندرى كيف استنتج الكاتب استنتاجه هذا وهل دلته نشاطات التنظيم السرى خلال فترات وجوده على وجود هذه النية لدى أفراد الجهاز ثم ألم يطلع الكاتب على أدوار الجهاز فى مقاومة الانجليز بدءا بإثارة الفرع والرعب فى قلوب جنود الاحتلال السكارى المعربين فى شوارع ومدن مصر وانتهاء بدورهم فى مقاومة اليهود ونحيل الكاتب الى قضايا الأوكار وسيارة الجب - التى سنعرض لها فيما بعد - لو وجد أن كل هذا من أجل فلسطين وليس سعي وراء ما يسميه الكاتب بالتحرك الانقلابى - وربما تكون هناك أخطاء قد وقعت فى هذا الجهاز وهذا وضع طبيعى لجهاز يشرف عليه بشر وطبيعة البشر الخطأ - ولقد وضع هذا الجهاز لتربية الشباب تربية جادة وإشعارهم بالمسئولية نحو أوطانهم ونحو عقيدتهم .. لقد كان الهدف الأول للنظام هو الجهاد فى سبيل الله دفاعا عن الدين.

نظام الأسر والكتائب :

ولقد واصل الأستاذ البنا إكمال عناصر البناء المتكامل للإخوان المسلمين فأنشأ نظام الكتائب ونظام الأسر . وبالنسبة لنظام الأسر يقول الأستاذ عمر التلمسانى " نظام الأسر كان الغرض منه فى الاخوان المسلمين تعارف أفراد الإخوان بعضهم على بعض فمثلا إذا كان جماعة الاخوان أسرة كل أسرة مكونة من خمسة أو سبعة أفراد فروساء هذه الأسر كانوا يكونون بدورهم أسرا جديدة ولروساء الأسر الجديدة رؤساء ومن بينهم تتكون أسر أخرى وهكذا .. فكان نظام الأسر فى الاخوان يقصد به التعارف والتعاون والتكامل والحب وإن الأسرة الواحدة كانت تتكافل فيما بينها فى جميع أوجه شئون الحياة المحتاج يعطيه من لديه والابن يعطيه المدرس فى أسرته درسا وهكذا كان التكافل بين أعضاء الأسر على وجه متكامل وبناء وكان المقصود من نظام الأسر وحدة الفهم وإيجاد نوع من التكافل بين الاخوان المسلمين جميعا ولم يقصد أن يعارض أى نظام آخر .

أما الكتائب فهى أيضا صورة من صور النظام الخاص لم يكن هناك فروق بين هذه التشكيلات وكان الهدف منها جميعا هو إيقاظ الوعى الاسلامى فى نفوس المصريين ليعودوا الى تطبيق تعاليم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .. وكان هدف الكتائب هو تحقيق أسلوب التربية العميقة وبشكل مباشر ولعل الأستاذ البنا قد اشتقه من اجتماعات دار الأرقم بن أبى الأرقم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع المؤمنين به فى ذلك الوقت المبكر ولقد كان لهذا النظام تأثيره العميق على الاخوان فافرز هذا النظام مجاهدين لا يخافون فى الله لومة لائم ودعاة مخلصين للعقيدة وعلماء على بينة من أمور دينهم .. "

أخطاء عبد الرحمن السندى :

لقد عهد الإمام الشهيد بتسيير أمور هذا النظام الى أحد الشباب بعد تزكية من بعض عناصر الإخوان وبعد مبايعة للإمام الشهيد وكان أول أعمال النظام الخاص بث الفرع والرعب فى قلوب المحتلين الإنجليز حيث تم اختيار ليلة عيد الميلاد * واختاروا النادى البريطانى حيث

يكون مكتظا بالجنود الانجليز وضباطهم وألقوا عليهم قنبلة لم تقتل أحدا ولكنها بعثت الرعب فى نفوسهم وحقت الغرض منها تماما فبدعوا يفهمون أنهم يعيشون وسط قوم يستطيعون أن يحفظوا كرامة أنفسهم وأن يلتقوا من يعتدى عليهم دروسا قاسية .. " وقد سار عبد الرحمن السندى سيرا حسنا موفقا نال به رضاء القيادات والأفراد فى النظامين الخاص والعام فى الاخوان المسلمين .. ولكن ثمة تغيرات ظهرت على شخصية عبد الرحمن السندى فى الاتجاه العكسى .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى " بانتشار وازدياد قوة النظام الخاص أحس عبد الرحمن السندى رحمه الله بقوته وسلطانه * وكان يتصرف فى بعض الأحيان تصرفات لا يقرها الأستاذ الامام وهذا ليس أمرا مقصورا على الاخوان المسلمين قد يتصرف بعض أفرادها تصرفات لا تقرها رئاسة الحزب وقد تحمل الإخوان المسلمون كل الأعباء التى حدثت بعد ذلك ولذلك عندما طلب من الامام الشهيد - أن يصدر بيانا - فى أيام النقراشى باشا رحمة الله عليه - يستنكر فيه ما حدث كان الامام على أتم استعداد ونشر فى الصحف بيانا عنوانه " هذا بيان للناس " وبيانا آخر بعنوان " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " .. أما مسألة شعور عبد الرحمن السندى أنه على مستوى الندية مع الامام الشهيد لأكبر دليل على أن قيادة الاخوان المسلمين أبعد ما تكون عن العنف لأنها لو كانت عنيفة أو تدعو الى العنف لتم الاتفاق بين الامام وعبد الرحمن السندى على العمل فى طريق واحد وتخيل عبد الرحمن السندى وصل الى مرحلة الندية مع الامام البنا فإن هذا لا يسىء الى الأستاذ البنا ولا يعيب الاخوان المسلمين .. إنما هو إحساس إنسان بلغت به القوة الى حد أنه يضع نفسه فى مستوى قائد الجماعة وهذا الانسان أغرته القوة وأغواه الشيطان ولما لم يرض رئيس الجماعة عن ذلك وقع الخلاف بينهما أما لماذا لم يفصل عبد الرحمن السندى ؟ فإن أى إنسان فى أى جماعة ينمو وتزداد قوته يوما بعد يوم قد لا يدرك خطره إلا بعد أن يصل أمره الى منتهاه وهذا ما حدث ، والسلاح الذى ضبط مع الاخوان أيام الرئيس جمال عبد الناصر فإن لهذا السلاح قصته فحين حدث حريق القاهرة وشعر الضباط الأحرار بأنهم موضع تفتيش لجنوا الى الاخوان المسلمين لتهريب الأسلحة التى كانت فى بيوتهم وكانت من اسلحة الجيش استعانوا بالاخوان المسلمين ووضع جمال عبد الناصر بنفسه التصميم للمخابىء ووضعت فيها الأسلحة بالاسمنت وهو يعرفها ولما وقعت المشاكل بين عبد الناصر والاخوان قال : إنه عثر على مخازن للإخوان تكفى لنسف القاهرة عشر مرات .

لقد نشأ الجهاز لمقاومة الوجود الأجنبى ثم انحرف عن الطريق ولو أن الحكومات اعتقدت أننا أخطأنا وأخذتنا بالحسنى وتفاوضت معنا بدل التعذيب فربما كان الحال الآن غير الحال .. "

ويضيف الأستاذ عمر التلمسانى : " ومن المسلم به بدهة وأنا أقتنع بمواقف الأستاذ البنا كنت أرى أن عبد الرحمن السندى قد تجاوز حدوده عندما شعر بطاعة أفراد النظام له باعتباره أنه رئيس هذا التنظيم وبلغ به الأمر أنه عندما حدث صدام بين فريق من هذا النظام وبين الأستاذ الهضيبي - الذى خلف الأستاذ البنا فى مركز المرشد العام - أن كنت من الساعين الى التوفيق بين وجهات النظر فالتقيت مع عبد الرحمن السندى فى مكان اسمه دار الكتاب العربى لصاحبها المرحوم حلمى المنيأوى فسألت عبد الرحمن السندى : هل أخذت رأى من معك قبل أن تقف هذا الموقف من الأستاذ الهضيبي ؟ فكان رده عجيبا جدا قال : إننى ماتعودت أن آخذ رأى أحد أبدا فتركته وانصرفت ودارت الأيام والسنون وألقى جمال عبد الناصر القبض على الأستاذ الهضيبي وبعض الإخوان فى يناير 1954 فكنا نلتقى فى مكتب المرحوم عبد القادر عودة لعلاج الموقف فحضر عبد الرحمن السندى فى ليلة من الليالى وظل هو والحاضرون يتناقشون فى الموقف وظللت أنا صامتا ولاحظ ذلك عبد الرحمن السندى فبادرنى قائلا : لماذا لا تبدى رأيك ولا تتكلم يا فلان ؟ فقلت له يا أستاذ عبد الرحمن السندى أنا سمعت منك أن لا تأخذ رأى أحد فيما تريد أن تفعل فلا داعى لأن أناقش فى أمر من الأمور فحاول جاهدا أن ينكر هذا وأنه ما قال مثل هذا القول فتأكد لى من الاحداث الواقعة أن الغرور تملك المرحوم عبد الرحمن السندى فأخذ هذا الموقف من الأستاذ حسن الهضيبي مثلما وقف نفس الموقف مع الأستاذ حسن البنا رضوان الله عليه ولمتطل أيام الأستاذ البنا حتى يتخذ إجراء معينا مع السندى فوقف عبد الرحمن السندى هذا الموقف واحتل المركز العام هو وبعض أنصاره وذهبوا الى منزل الأستاذ الهضيبي وأساءوا اليه واجتمعت هيئة مكتب الارشاد والهيئة التأسيسية وقررت فصل السندى وبعض من معه وكان من فضل الله أن الأغلبية كانت ساحقة من أفراد هذا

لنظام التزمت بكلام الأستاذ المرشد ولم تتابع عبد الرحمن السندى على أهوائه واتجاهاته وزاد الأمور وضوحا فى نوايا عبد الرحمن السندى حين عينه عبد الناصر فى شركة " شل " فى قناة السويس وأفرد له فيلا " معينه وسيارة وأثث له منزلا وأطلعه عبد الرحمن السندى - مع بالغ الأسف - على الكثير من أحوال النظام الخاص وأسماء أعضائه مما مكن لجمال عبد الناصر من أن يسعى لهذا النظام إساءة بالغه كما ثبت من التحقيقات والقضايا التى صدر فيها أحكام ضد المخابرات التى عذبت الإخوان المسلمين فى مبدأ حكم جمال عبد الناصر ولقد نجح عبد الناصر فى التأثير على عبد الرحمن السندى واجتذبه الى جانبه فاتخذ هذا الموقف مع الأستاذ الهضيبى هو وبعض الشخصيات أيضا - ولم يكن هناك كما شاع فى ذلك الوقت تنظيم سرى بالمعنى المعروف ولكنهم الشباب الذين تحالفوا على مقاومة اليهود فى فلسطين ولقد أراد عبد الرحمن السندى أن يكون له دور فى توجيه سياسة الإخوان المسلمين إلا أن الفريق الذى كان له صلة بعبد الرحمن السندى عندما تم انتخاب أعضاء مكتب الارشاد فى بدء عهد الأستاذ الهضيبى كانت الأغلبية الكبرى من أعضاء المكتب من المدنيين - أى لم يدرسوا فى الأزهر وليسوا مشايخ فعمل مثل هذا أساء البعض وأدخل فى روع عبد الرحمن السندى أنه تحول فى السياسة ومقابلة الأستاذ الهضيبى خصوصا وأن الأستاذ الهضيبى كان لديه مبدأ الحزم فى آرائه وتصرفاته بحكم عمله لفترة طويلة كقاض كان يقدر ويحكم وربما كان الأستاذ البنا أكثر تحملا وصبرا فى مواجهة الأمور ومعالجتها بالهدوء ولكن مواقف الأستاذ الهضيبى كانت تتسم بالحسم العاجل فى الأمور .."

وهكذا نخلص أن الجهاز السرى كانت بدايته طيبة ويعمل وفق النسق العام لحركة ومنهاج الإخوان - وهو مقاومة الاحتلال الإنجليزى ومقاومة التآمر اليهودى - الإنجليزى فى فلسطين ولكن هذا الجهاز انحرف عن طريقه وأصاب رئيس الجهاز عبد الرحمن السندى الغرور فظن أنه ينافس أو يضع نفسه فى مرتبة مع الامام الشهيد حسن البنا ثم مع الأستاذ حسن الهضيبى كما وقعت بعض أخطاء من الشباب المتحمس الذى انطلق من تلقاء نفسه فى ارتكاب هذه الأخطاء مثل حوادث نفس المحلات اليهودية أثناء حرب فلسطين ومقتل المستشار الخازندار ونسف شركة الاعلانات الشرقية وغيرها وكان ذلك نفكيرا لا تفرقه الجماعة مما أوجد خلافات حادة لم تنته إلا بفصل عبد الرحمن السندى وتشكيل الجهاز بأسلوب جديد بعيد عن كل مظاهر العنف والخروج من طاعة الجماعة ولكن أحدا لا ينكر أدوار هذا الجهاز فى محاربة الإنجليز والاحتلال الصهيونى لفلسطين .

الفصل السادس

حرب فلسطين

كانت قضية فلسطين مجهولة للكثير خلال فترة الثلاثينات وقد حاول الإخوان المسلمون جاهدين تنبيه الأذهان لخطورة المؤامرة التى تجرى على أرض فلسطين عن طريق الخطب والمساجد وكتبات الامام الشهيد ضد الاختلال الانجليزى لفلسطين وطبع المنشورات التى تهاجم الانجليز لتواطئهم مع اليهود كما دعا الاخوان لمقاطعة المحلات اليهودية فى القاهرة فكان لهذه الدعوة تأثير بالغ فى النفوس كما سجلت كتابات الاخوان المسلمين فضائح التواطؤ الانجليزى - اليهودى كما قاد الاخوان مظاهرات عارمة فى ذكرى وعد بلفور وحاول الانجليز فصل مصر عن الأمة العربية ولكن الاخوان وقفوا إزاء هذا التخطيط الخبيث وعقد أول مؤتمر عربى من أجل فلسطين فى دار المركز العام بالعبدة مما دفع انجلترا إزاء الضغط الشعبى الى الدعوة لمؤتمر المائدة المستديرة بلندن وأصدر المؤتمر الكتاب الأبيض الذى وضع حدا لهجرة اليهود الى فلسطين وتشكلت لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية بإيعاذ من اليهود التى طافت بمختلف مناطق الوطن العربى واستمعت ضمن جولتها لرأى الاخوان المسلمين فى قضية فلسطين ولكنها ضمنت تقريرها السماح لمائة ألف يهودى بالهجرة لفلسطين ثم جاءت الأمم المتحدة لتقرر واقعا جديدا وغريبا وهو تقسيم فلسطين بين دولتين : أحدهما عربية والاخرى يهودية فى قرارها فى 29 نوفمبر عام 1947 عمت موجة من الغضب فى سائر أنحاء مصر والعالم العربى وفى مايو 1948 وعد الشهيد الامام حسن البنا زعماء الدول العربية الذين اجتمعوا فى " عالية " ببلبنان بإرسال 10 آلاف مجاهد كدفعة أولى لفلسطين وسارع الإخوان للتطوع فى كافة

أنحاء الجمهورية ولما انسحب الانجليز من فلسطين فى مايو 1948 دخلت الجيوش العربية وكان من بينهم متطوعو الاخوان المسلمين والجيش المصرى .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " كان قرار دخول الاخوان المسلمين الحرب أمرا بديهيا ولا بد أن يكون لأن المسلم لا يرضى أن يحتل اليهود بلدا مسلما فلا بد أن يقاوموا هذا الاحتلال أما تدريب هذه الكتائب فكان يتم فى الجامعة فى معسكرات تحت إشراف الحكومة والقائمين على شئون الجامعة وكان السلاح من عند الحكومة نفسها وقد جمعوا فيما بينهم أموالا ليشتروا بها السلاح عن طريق التبرعات .. وقد أبلى الإخوان المسلمون بلاء حسانا فى هذه المعارك أو فى حرب العصابات ضد العصابات الارهابية اليهودية والصورة الواضحة فى هذه المسألة أن الانجليز واليهود كانوا يقررون أنهم على استعداد أن يقابلوا فرقا من الجيوش ولا يلتقوا بأحد من الاخوان المسلمين لأن الأخ كان إذا خرج لغزو كان يخرج وهو مستعد للموت ما كان يفكر فى العودة حيا ولقد كون الإخوان المسلمون خطورة كاملة لأن حرب العقائد أقوى وأكبر من أى حرب وأشد أثرا فى نفوس أصحاب العقائد لأنهم يعتقدون أنهم إذا قتلوا فإنهم شهداء وسيدخلون الجنة وفعلا من الاحداث الطيبة أن سبعة من الاخوان تسللوا ذات ليلة الى احدى المستوطنات اليهودية فى فلسطين وقبل الفجر بساعة تسلل أحدهم الى الجامع الذى كان فى تلك المستوطنة وأذن لصلاة الفجر من فوق منڈنة المسجد فظن سكان المستوطنة أن الاخوان المسلمين احتلوا المستوطنة ففروا هاربين ومعهم الجنود اليهود وسلم الاخوان القرية للجيش المصرى ولكن بعد أيام استردها اليهود من الجيش مرة أخرى وقد شهد قادة الجيش مثل النواوى وفؤاد صادق شهادات قيمة بالنسبة للإخوان ولتضحياتهم وشجاعتهم وقد استشهد فى معارك حرب فلسطين ما بين 30-40 من الاخوان ..

ثم كانت المفاجأة التى أذهلت مجاهدى الإخوان وهى قبول الدول العربية للهدنة الأولى وأصدرت أوامرها للجيوش العربية بوقف القتال لمدة 4 أسابيع من 11 يونية 1948 وحاول الإخوان تقديم نصيحتهم للحكومة المصرية بعدم قبول الهدنة أو المماطلة فى تنفيذها لأن الجيوش العربية كانت تواصل انتصاراتها وقد أعلن الإخوان رفضهم وعدم قبولهم هذه الهدنة المخططة وذلك فى بيان للإمام الشهيد حسن البنا فى الثالث من يونية عام 1948 وبعد نهاية الهدنة واصلا للجيش المصرى ومعه كتائب الاخوان تقدمهم داخل فلسطين ثم فرضت الهدنة الثانية ولكن اليهود ضربوا بالهدنة عرض الحائط وبدأت الموازين تختل لصالح عصابات الارهاب اليهودى وقد حقق الإخوان المسلمون بطولات خارقة لحماية الجيش عند انسحابه .. أما لإنجليز فلم يكونوا راضين عن دخول الاخوان المسلمين الحرب لأنهم أصحاب فكرة استيطان اليهود فى فلسطين ولم يوجه الإنجليز معارضة مباشرة للإخوان لأن الاخوان مصريون وللمصريين حكومة فكانت اتصالاتهم بالحكومة فلما ضاقوا بالأمر اجتمعوا فى فايد (سفراء انجلترا وفرنسا وأمريكا) وأرسلوا قرارا للنقراشى وقد أخذت صورة القرار بأسلوب معين وقدمت فى قضية سيارة الجيب وكان القرار يقضى بأن تقوم الحكومة بحل الاخوان المسلمين وإما أن تحتل الدول الثلاث الاسكندرية والقاهرة فكان عند النقراشى ما فى نفسه تجاه الإخوان فنفذ قرار حل الجماعة .

أما الكتائب التى كانت تحارب من الاخوان المسلمين فلم تكن كتائب بالمعنى الدقيق وإنما مجموعات فى حدود مائتين وكان يخفف العبء أن هؤلاء الأفراد لم يكونوا يتناولون أجرا على انتظامهم فى العصابات ولم يكبدوا الجماعة أى مصاريف وكان الاخ المجاهد ينفق على نفسه فى ميادين القتال الى جانب أن الإعاشة من طعام وشراب كانت تقدمه الحكومة وقد تم السفر بموافقة الحكومة ثم عادت تنتكر لمواقفها حينما وقع الشقاق بين النقراشى والجماعة فاستغلوا الفرصة وقبض على عدد من الاخوان المجاهدين فى حرب فلسطين وهم فى أرض القتال وأرسلوا مكبلين بالحديد من فلسطين الى مصر ..

وقد وصفت احدى الصحف الأمريكية الأستاذ حسن البنا قائلة : " إنه صار أقوى شخصية فى الشرق العربى وإن هذه الشخصية لن تهزم إلا أن تصوير الأحداث أقوى منها " وكانت إشارة وتلميحا لتدبير مؤامرات ضد الامام الشهيد وجماعة الاخوان المسلمين ولقد أشارت بطولات الإخوان وشجاعتهم النادرة قلوب الحاقدين سواء فى لسراى أم فى الوزارة السعودية وماعكسته هذه البطولات من انعكاسات شعبية عارمة مؤيدة للإخوان وانتشار ساحق لحركة الاخوان ومن هنا بدأت التريصات والمؤامرات التى تدبر فى الخفاء ولكن الله كشفها

جميعا وهكذا كان الاخوان المسلمون على مستوى الأحداث واستيعاب المتغيرات السياسية على الساحة المصرية والعربية وكانوا وراء التحرك المصرى فى حرب فلسطين ولكن مؤامرات الأنظمة العربية وضعفها إزاء طغيان المستعمر الذى كان يكبل المنطقة العربية أوقع فلسطين فريسة سهلة فى أفواه عصابات اليهود الوحشية والارهابية والتف النظام المصرى الخاضع للسراى والانجليز ليوجه ضرباته للحركة ذات الشعبية الواسعة - الاخوان المسلمين ..

الفصل السابع

حكايتنا مع النقراشى

بعد مقتل أحمد ماهر رئيس وزراء مصر ورئيس الحزب السعدى فى فبراير 1945 عقب إعلانه الحرب على المحور على يد شاب ينتمى للحزب الوطنى شكل نائبه محمود فهمى النقراشى باشا الوزارة لأول مرة وكان أهم ما يؤرق وزارة النقراشى هو كيفية القضاء على الاخوان المسلمين الذى أصبح لهم نشاط واسع المدى بين كافة الأوساط والمجتمعات على خريطة مصر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وكان دورهم فى الحركة الوطنية له مكان الصدارة وكان رأى جمهرة الإخوان أن النقراشى يصلح لكل الأعمال إلا الرئاسة لما يغمر السعديين من نوايا وأحقاد ولكن الإخوان عملوا على حث الحكومة على المطالبة بحقوق البلاد فى الاستقلال والوحدة لوادى النيل وتقدم الحكومة بمذكرة ضعيفة جعلت الانجليز لا يعنون بمجرد الرد عليها وأصدرت الهيئات المختلفة بيانا احتجت فيه على هذا الموقف وقد سجل الإخوان فى اجتماع الهيئة التأسيسية موقفهم من هذا الموقف المتخاذل لحكومة النقراشى وتردد صدق هذا البيان فى كل أنحاء مصر ولم تتحرك حكومة النقراشى الأولى خطوة واحدة فى سبيل تحقيق المطالب الوطنية المصرية وعقب هذا البيان وقعت مصادمات عنيفة بين البوليس والشباب فى القاهرة والاسكندرية وتكررت مأساة حادث كوبرى عباس للمرة الثانية فقد أصدر وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار أوامره للجنود بإطلاق الرصاص على الشباب البرىء على نفس الكوبرى وراح ضحية هذا الحادث الأثيم أكثر من 25 طالبا وجرح المئات وانطلقت المظاهرات فى كل مصر وحاصر البوليس المركز العام للإخوان المسلمين فأرسلت الجماعة بيان احتجاج على تصرفات الحكومة الى جريدة المصرى فقامت الحكومة بمصادرة الجريدة .. وتهافت وزارة النقراشى الأولى فى 14 فبراير 1946 بعد أن فشلت فى أن تحقق مطلبها وطنيا واحدا ثم جاءت وزارة اسماعيل صدقى التى هوت هى الأخرى لعجزها وخضوعها للإنجليز وفشل اسماعيل صدقى فى تحقيق الحد الأدنى من المطالب المصرية فى المفاوضات المصرية - البريطانية وعندما قامت مظاهرات ضخمة فى فبراير 1946 للمطالبة بحقوق البلاد تصدت لها قوات الجيش البريطانى وفتكت بعدد كبير منهم وقد طالب الإخوان اسماعيل صدقى باشا فى بيانهم الذى سلمه له وكيل الجماعة بمطالبة الانجليز بالجلء التام عن مصر وعرض قضية مصر على مجلس الأمن الدولى والتحقيق فى تلك الأحداث واعتذار الأنجليز عنها وتعويض أسر الشهداء وفشلت المفاوضات مع الإنجليز وأحس اسماعيل صدقى بعجزه وضعفه إزاء السخط الشعبى الذى عم مصر فقدم استقالته فى 9 ديسمبر عام 1946 ليعود للوزارة مرة أخرى النقراشى باشا ولتبدأ صفحة من الصدام مع هذا الرجل ورغم ما يعلمه الإخوان ورأوه من فشله فى وزارته الأولى فقد أرسلوا اليه بخطاب يحذون فيه خطوات إصلاح الموقف المتدهور فى البلاد بعد فشل مفاوضات الجلاء مع الانجليز وقد سافر أحد الإخوان (مصطفى مؤمن) الى الأمم المتحدة وألقى بيانا داخل مجلس الأمن عن مطالب مصر الخاصة بالاستقلال وبوحدة شطرى النيل : مصر والسودان وقامت مظاهرات فى سائر أنحاء مصر تهتف بمطالب البلاد ووقعت مصادمات عنيفة وخيب النقراشى أمل المصريين فى مسألة المفاوضات وخضع للنفوذ الإنجليزى وتحولت مصر كلها الى شعلة من الوطنية إزاء الموقف المتخاذل للنقراشى باشا ثم ظهرت كارثة قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين وقد أبلى الاخوان المسلمون بلاء حسنا فى معارك فلسطين - وسبق القول بالتعرض فى فصل سابق لهذه النقطة - وبدأ النقراشى فى تنفيذ مؤامراته ضد الاخوان بعد أن انتشروا انتشارا ساحقا بسبب بطولاتهم فى فلسطين معتمدا على جهاز البوليس السياسى فى تدبير هذه المؤامرات وتلقيحها للإخوان المسلمين واعتمد النقراشى فى تنفيذ سياسة العدائية للإخوان على نائبه إبراهيم عبد الهادى وعبد الرحمن عمار وكيل

الداخلية للأمن العام ثم كان القرار العسكرى الذى أصدره النقراشى وهو الأمر العسكرى رقم 63 لسنة 1948 بحل جماعة الإخوان المسلمين وإغلاق كل شعبها ومصادرة أموالها وقد رد الامام الشهيد بمذكرة فند فيها ما نسبته المذكرة التفسيرية لقرار الحل مما وجه الاخوان من اتهامات ومنها اتهام الاخوان بالدعاية للمحور وقد ثبت براءة الإخوان منها وحوادث الشعب التى أشترك فيها شباب من كل الأحزاب والفئات وألصقت بالإخوان وحدهم دون غيرهم .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى :

" لقد خضع النقراشى للقصر والانتليز وأى شعب لا يرضى أن يكون رئيس حكومته خاضعا لدولة أجنبية ولقصر مستبد وتاريخ النقراشى حافل بالأخطاء والجرائم لأنه فتح كوبرى عباس وعليه المئات والالاف من الشباب الجامعى منهم من غرق ومنهم من قتل برصاص الإنتليز فكان حكمه كله إرهابيا ودمويا وما من شك أن النقراشى لم يتخذ قرار الحل من تلقاء نفسه وإنما بضغط من الحلف الثلاثى (إنجلترا - فرنسا - الولايات المتحدة) ومصادرة أموال الاخوان المسلمين كان عملا ظالما ما كان يصح أن يلجأ اليه حاكم عادل أو منصف فكان هذا التصرف له أسوأ الأثر فى نفوس الاخوان "

من وراء الحل ؟

رغم أن النقراشى أعلن أنه هو الذى أصدر الأمر العسكرى ولكن كشفت أبعاد خطيرة تؤكد أن هناك مؤامرة دولية وراء قرار الحل ففى مرافعة الاستاذ شمس الدين الشناوى فى قضية "السيارة الجب " أمام محكمة الجنايات فى 21 يناير 1951 حيث قدم للمحكمة وثيقة مكتوبة باللغة الإنجليزية وسلمها للمحكمة وتلى نصها باللغة العربية وهذه عبارة عن رد من القيادة العليا للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط على إشارة وردت اليها من السفارة البريطانية تقول القيادة فى الوثيقة " لقد أخطرت هذه القيادة رسميا بأن خطوات دبلوماسية ستخذ لإقناع السلطات المصرية بحل جماعة الاخوان المسلمين فى أقرب وقت ممكن " وذيلت الوثيقة بإمضاء رئيس إدارة قوات القيادة العليا الحربية البريطانية فى الشرق الأوسط - وطعنت النيابة فى الوثيقة بأنها مزورة فقال رئيس المحكمة: إلى أن تقرر السفارة البريطانية بأن هذه الوثيقة مزورة وغير صحيحة فإنها يجب أن تعد صحيحة ولما ردت السفارة البريطانية بعد صحة الوثيقة ولكن الاستاذ الشناوى طلب أن تقدم القيادة العليا للقوات البريطانية فى الشرق الأوسط ردها على هذه الوثيقة وإنكارها ولم يصل أى رد بعد ذلك وقال الأستاذ الشناوى : إن هذه الوثيقة رسمية صادرة من موظف رسمى مختص بتحريرها وهو المستر " ماك رموث " .

اغتيال النقراشى :

ولم يكد يمضى على القرار العسكرى بحل الجماعة سوى عشرين يوما إلا وتقدم شاب من النقراشى باشا وأطلق الرصاص عليه وهو على سلم وزارة الداخلية فى 28 ديسمبر 1948 وقتله واسمه عبد المجيد حسن وكان عضوا بجماعة الاخوان المسلمين .
ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " إن دوافع هذه الجريمة كانت دوافع نفسية محضة لقد كان فردا فى جماعة ورأى النقراشى يحل هذه الجماعة ويعتقل أفرادها ويعذبهم ويصادر أموالهم ويجمد ممتلكاتهم فاندفع هو وبعض الشباب معه لارتكاب مثل هذا التصرف الذى استنكره الأستاذ البنا صراحة على صفحات الجرائد ولم يكن هناك تخطيط جماعى ولكن كان هناك تخطيط بين جماعة من الشباب فيما بينهم والواقع أن النقراشى هو الذى قتل نفسه ولم يقتله الإخوان المسلمين بسبب ما اقترفه فى حق هذا البلد وتصرفاته التى أودت بحياته وحملت بعض الشباب المتحمسين لقتله على هذه الصورة ولقد كان حل الجماعة أثر بالغ على نفوس الإخوان جميعا من أولهم لآخرهم وهذا الأثر السئ كان يختلف انعكاسه فى النفوس على قدر احتمال كل إنسان لما يصادفه من صعاب وعقبات البعض يحتمل ويطول احتماله والبعض الآخر لا يطول احتماله فكانت النتيجة ارتكاب الشباب المتحمس لهذا الفعل ؟؟ "

وهكذا جاءت نهاية حكم النقراشى على هذه الصورة وبهذه الكيفية والتى لم يخطط لها أى مستوى قيادى فى الاخوان سواء فى النظام العام أو الخاص وإنما دفع الحماس بعض الشباب للإنتقام من الشخص الذى حل جماعتهم ولقد كانت فترات حكم النقراشى من الفترات

التي تمتلئ صفحاتها بالتهاون والعجز والخضوع لسلطة القصر وسطوة الانجليز وأيضا من الفترات الساخنة على مستوى الحركة الوطنية والصدمات العنيفة والتي دفع ثمنها في النهاية النقراشى ولتغلق صفحة أخرى من صفحات العداء للإخوان وما زال الزمن يحمل للإخوان صفحات جديدة .

الفصل الثامن

مؤامرة إغتيال الشهيد

بعد اغتيال النقراشى فى 28 ديسمبر 1948 بعد عشرين يوما من صدور الأمر العسكرى بحل جماعة الاخوان المسلمين والقبض على عدد كبير من الاخوان فى ظل وزارة إبراهيم عبد الهادى الذى خلف النقراشى باشا وجاءت هذه الوزارة بإجراءات أكثر عنفا وشراسة تجاه الاخوان المسلمين وقد اتسمت صفحات هذا الرجل ومواقفه من الإخوان بالسواد وأتى بتصريفات يندى لها الجبين بحكم خضوعه للملك والانجليز وكان أداة طيعيحركونها كيفما شاءوا ولقدحاول الأستاذ تهذنة الجو وأجرى عدة اتصالات بالحكومة أملا فى أن يفيئوا الى رشدهم ويعودوا لجادة الصواب .

وأصدر الشهيد البنا " بيان للناس " ونشر فى 11 يناير 1949 وقال فى بعض فقراته : " ولقد حدث أن وقعت أحداث نسبت الى بعض من دخلوا الجماعة دون أن يتشربوا روحها أو يلتزموا نهجها مما ألقى عليها ظلا من الشبهة فصدر أمر بحلها وتلا ذلك هذا الحادث المروع حادث اغتيال رئيس دولة الحكومة المصرية محمود فهمى النقراشى باشا الذى أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقد علم من أعلام نهضتها وقائدا من قادة حركتها ومثلا طيبا للنزاهة الوطنية والفقه من أفضل أبنائها ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهوده وخلقه .

ولما كانت طبيعة دعوة الاسلام تتنافى مع العنف بل تنكره وتمقت الجريمة مهما يكن نوعها أو تسخط على من يرتكبها فنحن نبرأ الى الله من الجرائم ومرتكبيها ولما كانتبلادنا تجتاز الآن مرحلة من أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار. ومضى الامام الشهيد قائلا : لهذا أناشد إخوانى الله المصلحة العامة أن يكون كل منهم عوننا على تحقيق هذا المعنى وأن ينصرفوا الى اعمالهم ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عليهم ..

ويقل الاستاذ محمود عبد الحليم لقد أصدر الأستاذ المرشد البيان ونشر فى الصحف تحت عنوان " بيان للناس " وإن كان ممثلو الحكومة قد ألزموه بإثبات عبارات معينة لم يكن هو راضيا عنها ولكن - أملا فى تدارك الموقف المتفاقم - أجازها كارها "

وقد بدأت خيوط المؤامرة حول الامام الشهيد منذ اغتيال النقراشى باشا تتضح فقد اعتقلت مجموعة كبيرة من الاخوان المسلمين ومكتب الارشاد عدا الامام الشهيد تمهيدا لارتكاب الجريمة البشعة وتركه حرا ليجرى اتصالاته مع الحكومة حتى يكون تحت عين أجهزة الأمن " البوليس السياسى " وقد شعر الامام الشهيد بهذه المؤامرة وأنها تستهدفه هو شخصا فطلب اعتقاله مع زملائه أو أن تفرج الحكومة عنهم كما طلب الشهيد من الحكومة مغادرة القاهرة لكان آخر فلم ترد الحكومة على طلبه بينما كانت خيوط المؤامرة يتم نسجها فى أجهزة البوليس السياسى فإن عيون هذا الجهاز تراقب كل حركة وكل سكة للإمام الشهيد ولكن المفاوضات مع الحكومة انهارت بسبب محاولة نسف محكمة الاستئناف فى 133 يناير 1949 وألقى القبض على أحد أعضاء الجهاز السرى بعد أن اكتشفت أنه سلم القنبلة لأحد السعاه لوضعها داخل المحكمة ولكنها انفجرت خارجها وتأثر الإمام الشهيد بهذا الحادث أيضا واتصل به بعض المسؤولين فى الحكومة وحصلوا منه على بيان " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " ولكن بدلا من أن تنشره الحكومة كما فعلت مع البيان الأول فإنها حجت البيان حوالى شهر أى فى 12 فبراير 1949 بعد ارتكاب الجريمة البشعة واغتيال الإمام الشهيد حتى يجربوا الحقيقة عن الناس ولايهامهم أن مرتكبى حادث محكمة الاستئناف هم من الاخوان المسلمين وكان المرشد العام يلح على الحكومة أن تتيح له فرصة الالتقاء بإخوانه فى السجون والمعتقلات ليستعين بهم فى تهذنة الجو ولكن الحكومة كانت ترفض دانما ولكن بدون مقدمات وافقت - وبشكل مريب - على موعد يقوم فيه المرشد العام بزيارة الإخوان المعتقلين وبصفة خاصة أعضاء مكتب الارشاد .

وكان إبراهيم عبد الهادي قد أخبر أحد وزرائه وهو زكى على باشا وكان وزير دولة وأكده لأحد أقربائه وهو الأستاذ الناغى الذى كان عضوا مؤسسا فى جمعية الشبان المسلمين وأرسل اليه أحد أعضاء جمعية الشبان المسلمين ليخبر الامام الشهيد بالنبا السار ويطلب منه الحضور لدار الجمعية فى الساعة الخامسة يوم السبت الموافق 14 ربيع الثانى 12 فبراير 1949 وبعد مقابلة الامام الشهيد للأستاذ الناغى خرج الأستاذ حسن البنا ومعه الأستاذ عبد الكريم منصور والأستاذ الليثى - الذى أرسله الأستاذ الناغى للإمام الشهيد وركب الامام الشهيد سيارة أجرة وفجأة ظهر ثلاثة رجال مسلحون وانهالوا بمسدساتهم على السيارة فأصيب الامام الشهيد إصابة خطيرة ونقل الامام الشهيد البنا الى مستشفى قصر العينى لا سعافه .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " لقد ظنوا قتل الأستاذ حسن البنا سينهى وجود الاخوان ولقد دبروا ذهابه لجمعية الشبان المسلمين ليلتقى بمندوب من قبل ابراهيم عبد الهادي ليتحدث ويهدىء الجو ولكنهم كانوا يدبرون لقتله وانتظره ثلاثة من المخبين فى الشارع وعند خروج الامام الشهيد أظنت أنوار نفس الشارع الذى توجد فيه جمعية الشبان المسلمين وانطلقت سبع رصاصات ونقل لمستشفى قصر العينى وهو حي وصدرت الأوامر من الملك الى ادارة قصر العينى بأن لا يسعف حسن البنا وظل الامام الشهيد ينزف طويلا حتى فاضت روحه الطاهرة إنما لو كان فى أجله بقية وأدركوه بالاسعاف لما مات قبل أن يحين الأجل ولكنها إرادة الله عز وجل .. ويؤيد ذلك شهادة الأستاذ محمد الليثى الذى كان مع الامام الشهيد لحظة وقوع الجريمة - والذى لاقى تعذبا شديدا بعد ذلك بسبب شهادته - فقال الأستاذ محمد الليثى : ذهبت الى قصر العينى ورأيت الأستاذ الإمام حين أدخل غرفة العمليات وكانت حالة فى نظرى غير خطيرة بدليل أنه حينما طلب الدكتور من التومرجى خلع ملابس الشيخ البنا هب الشيخ وجلس وخلع ملابسه بنفسه وبعد ذلك وجدت شخصا يقول للدكتور : أنا جئ من قبل الحكمدار لأعرف حالة البنا وكان هذا الشخص هو الأمير لاي " محمد وصفى " ممثل الملك فى الجريمة .. والغريب أن الشخص الثانى الذى كان مع الامام الشهيد وهو عبد الكريم منصور كانت حالة خطيرة بدليل أنه لم يستطع الاجابة عن عنوانه حين سأله الطبيب وتولى الامام الاجابة عنه " ولكن بعد ساعات أعلن وفاة الأستاذ الإمام الشهيد وشفاء عبد الكريم منصور ولم تكف الأصابع الأثيمة بما فعلته وإنما نقلت جثمان الامام الشهيد وسط مظاهرة مسلحة من رجال البوليس بالبنادق والمسدسات وأرغمت السيدات على حمل الجثمان الى النعش ولم يسمح لأحد من الأسرة بالاقتراب من الجثة .. حتى القرآن حرم عليهم تلاوته ونقل الجثمان الى مسجد فيسون القريب من المنزل ولم يسمح لأحد بتشييعه ولم يستطع أحد تقديم العزاء سوى مكرم عبيد باشا وظلت الحراسة مستمرة على قبره واعتقال كل من يقترب من قبر الامام الشهيد طيب الله ثراه .

إن هذه الوقائع تكشف بشكل واضح وسافر عن الجريمة البشعة التى اشترك فيها القصر بالاتفاق مع وزارة الداخلية وجهاز البوليس السياسى ولقد حاولت هذه الأطراف إخفاء وطمس معالم الجريمة ولم تسمح لأحد بالعزاء فى الامام الشهيد والطريقة الفظة والبشعة التى أوصلوا بها جثمان الإمام الشهيد لبيتته تثير آلاف الشكوك حول المخطط الذى جرى تنفيذه فى الظلام للقضاء على داعية ما كان يدعو فى يوم من الأيام لعنف أو كراهية .. وقد مر التحقيق فى اغتيال الشهيد بعدة مراحل أولها فى عهد وزارة ابراهيم عبد الهادي وكان النائب العام وهو محمود منصور ولم يجروا أحد أن يتقدم بشهادته وعذب " محمد الليثى " بسبب إفصاحه عن رقم السيارة التى ارتكبت الحادث ضد الإمام الشهيد وقيد الحادث جنائية ضد مجهول وثانيها : فى عهد وزارة الوفد (حسين سرى باشا) وجرت التحقيقات سرية ولكن لم يتم التوصل للجناة الحقيقيين .

وثالثهما فتح التحقيق بعد قيام انقلاب يوليو قبض على بعض المشتبه فى قيامهم بالجريمة ولكن طوال المدة بين ارتكاب الجريمة والتحقيق فيها طمس الكثير من معالمها ولذا فقد قررت الحكومة التى شكلت عام 1952 أنه لا محل لإقامة الدعوى على ابراهيم عبد الهادي وعبد الرحمن عمار وكيل الداخلية فى عهده ثم توالى دائرة الجنايات برياسة الدكتور كامل ثابت نظر القضية فى 10 نوفمبر 1953 ثم أصدرت المحكمة فى 2 أغسطس 1954 حكما بالسجن على أحمد حسين جاد ومحمد محفوظ ومحمود عبد المجيد بالسجن مددا تتراوح

بين الأشغال الشاقة (25 عاما ، 15 عاما) ودفع تعويضات لأسرة الشهيد وأثبتت الحثثيات تواطؤ وزارة إبراهيم عبد الهادي والقصر في القضاء على زعيم الإخوان المسلمين الشهيد الامام ..

الجماعة تمضى رغم المحنة .

وقد كانت ردود الفعل قاسية ومريعة على أعضاء جماعة الاخوان إزاء الجريمة البشعة التي ارتكبت ضد مرشدهم ومعلمهم وإمامهم الشهيد حسن البنا لقد سادت موجة من الحزن الدفين لدى معظم أعضاء الجماعة لتكالب قوى الفساد ضد دعوتهم فلقد كان حب الاخوان للإمام الشهيد حبا لا يقبل الشك ولا الجدل وكانت الصدمة قاسية بالنسبة لهم وكان لها تأثير فيما بعد ولم يكتف إبراهيم عبد الهادي بمؤامراته ضد الإخوان وأخرها مؤامرة اغتيال الإمام الشهيد والذي ثبت ادانة اطرافها بعد قيام انقلاب يوليو 1952 - وإنما مارس من خلال أجهزته ألوانا بشعة من التعذيب ضد الإخوان المسلمين الذين اعتقلهم وثبت هذا التعذيب أيضا بأحكام من محكمة الجنايات بمصر كما اعتقل الكثير بعد استشهاد الامام حسن البنا وضاعف الحصار حول البلاد بقوات الأمن والبوليس السياسى حتى ترك إبراهيم عبد الهادي غير مأسوف عليه في 25 يوليو 1949 وكان الوزر الأكبر على ابراهيم عبد الهادي - على حد قول الاستاذ عمر التلمساني أنه حيث انتهى من التعذيب بدأ جمال عبد الناصر ومن بعده في هذه الإجراءات " .

ويضيف الأستاذ التلمساني " إن الجماعة مضت في طريقها رغم المحنة التي واجهتها وكانت محظورة بعد قرار الحل ولكننا كنا نجتمع في مكتب الاستاذ طاهر الخشاب وظلت أمور الإخوان كما هي دون وجود الشكل الرسمي والقانوني لها " فقد حفلت المحاكم بعدة قضايا أطلق عليها " قضايا الإخوان " ووقعت كل أحداثها في عهد وزارة ابراهيم عبد الهادي عدا قضية سيارة الجيب فكانت في عهد النقراشي وكانت خمس سنوات وهي قضية اغتيال النقراشي ومحاولة نسف محكمة الاستئناف وسيارة الجيب ومحاولة اغتيال حامد جودة رئيس مجلس النواب وقضية الأوكار .

أما بالنسبة لقضية مقتل النقراشي فقد سبق الحديث عنها أما قضية الأوكار يقول عنها الاستاذ التلمساني " إن الاخوان المسلمين كانوا يخفون في أماكن معينة لكيلا يقبض عليهم وكانوا يقاومون البوليس إذا ما هاجم منزلا أو شقة من الشقق فأطلقوا عليها الأوكار بدلا من شقة أو بيت وقد دفع محامو المتهمين بممارسة التعذيب ضد المعتقلين على ذمة القضية .

وظلت القضية معلقة حتى أول أكتوبر 1954 حيث تقرر إعادة عرضها من جديد على محكمة الجنايات .. أما قضية مقتل المستشار الخازندار فقد قبض على بعض شباب النظام الخاص في حوادث اعتداء على الضباط الإنجليز كما قبض على رجل أعمال كبير في الاسكندرية اسمه حسن قناوى وكان مصابا بالشذوذ الجنسي وقام بقتل اثنين من الشباب وحاول قتل الثالث ولكنه نجا من المحاولة فضبط حسن قناوى ولم تثبت عليه جريمة القتل السابقتان وحكم عليه المستشار الخازندار بالسجن 7 سنوات بينما حكم على الشباب من الاخوان بعشر سنوات والشباب لم يدرس القانون جيدا خاصة وأن جريمة حسن قناوى هي شروع في قتل فظنوا أن الخازندار يمالئ المستعمرين وينتقم منهم لأنهم اعتدوا عليهم وكان هذا الظن خاطئا ففعلوا ما فعلوا وكنا جميعا نستنكر مثل هذه التصرفات .

أما قضية سيارة الجيب فالشيء المهم هو الكراسة أو الدفتر الذي وجد مع أحد أفراد النظام الخاص عندما حصل انفجار وقبض عليه بعض المخبرين وعرفوا من الحقيقة أسماء أعضاء التنظيم والأسماء الحركية لهم " .

وقد صدرت الأحكام في سيارة الجيب ببراءة 14 متهما من 32 متهما وحكم على الباقي بأحكام تتراوح بين ثلاث سنوات وستين بسبب التعذيب الذي لاقاه المعتقلون أما قضية الأوكار فحكم فيها بالبراءة عام 1954 وامتد نظر بعض القضايا بعد قيام حركة يوليو عام 1952 .

ولكن أبرز الأحكام التي صدرت لصالح الاخوان المسلمين هو قرار مجلس الدولة في 1951/9/17 والذي قرأن جمعية الإخوان المسلمين موجودة قانونا حيث إنها سجلت أوجه نشاطها الخيرية في وزارة الشئون الاجتماعية طبقا لنص القانون رقم 49 لسنة 1949 وقام الاخوان بفتح المركز كما قضت محكمة القضاء الادارى في جلسة 1952/6/3 بالغاء الأمر الادارى رقم 63 بحل جمعية الاخوان المسلمين لأنه قرار

على أساس غير سليم من القانون ويتعين إلغاؤه .. وهكذا عادت الجماعة للنشاط الرسمي رغم كل المحاولات التي بذلها النفراشى وإبراهيم عبد الهادى للقضاء على الجماعة والمؤامرات التي دبرت وكان أخطرها على الإطلاق مؤامرة اغتيال الامام الشهيد حسن البنا وسبقها حل جماعة الاخوان المسلمين واعتقال عدد كبير من أعضائها وتعذيبهم بأسلوب وحشى .

الاستاذ حسن الهضيبي

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : “ الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله كان قديم الصلة بالاخوان المسلمين وكان شخصية يمكن أن تتولى قيادة الاخوان المسلمين وفى مثل هذه الأمور بل فى العالم كله يختلف الناس فيمن يتولى رئاسة الحزب أو الحكومة أو الدولة فريق يعطى صوته لهذا وفريق ثان يعطى صوته لذاك وعندئذ يؤخذ رأى الأغلبية وهكذا تسير الأمور بمنتهى البساطة إذ ليس هناك تعقيد ولا مؤامرات . أما من يقول بحدوث تجاوزات فى اختيار المرشد العام الجديد فنقول له : إن الحقيقة لم تكن هناك تجاوزات فى القانون ولكنها هى تنفيذ لروح منهاج الإخوان المسلمين وحصل هذا فى عهد الصحابة حين قتل سيدنا عمر بن الخطاب ووكل الأمر الى ستة من الصحابة الكبار وقيل لهم اختاروا من بينكم واحدا فاختاروا ثم جاءت الأغلبية فى صف سيدنا عثمان بن عفان فانتخب لقد كان اختيار المرشد العام الجديد فيه نوع من المرونة أما ما يقال عن دور للملك فاروق فى تسهيل تعيين الأستاذ حسن الهضيبي فهذا الكلام محض افتراء ولا أصل له من الحقيقة لأن الثغرة التي نفذ منها المغرضون عند الاخوان المسلمين هى أن “ نجيب سالم “ الذى كان ناظر للخاصة الملكية كان صهر أحد ابناء الأستاذ الهضيبي فجعلوا من هذه المصاهرة سببا لأن يفرض فاروق الأستاذ الهضيبي على جماعة الاخوان المسلمين وهذا غير صحيح بالمرّة لأن موقف الاخوان المسلمين فى كل الظروف سواء كان فى عهد الأستاذ البنا أم الأستاذ الهضيبي كان مقاومة استبداد القصر وحكم الفرد ويدعون الى تطبيق الشريعة الاسلامية ومعنى هذا أنه غير راض عن حكم فاروق وتصرفاته فى البلاد فأعداء الدعوة والذين يريدون أن يشوهوا موقفها وتصرفاتها فى كل وقت وكل تصرفات يلجئون الى مثل هذه الثغرات ويجعلون من الحبة قبة “ كما يقال ولقد كان الأستاذ الهضيبي على علاقة بجماعة الاخوان قبل اختياره لمنصب المرشد العام حيث كان المستشار القانونى للإمام الشهيد حسن البنا وكان يعمل مستشارا بمحكمة النقض والابرار وله تاريخ طويل فى المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية وكان زملاؤه يرون فيه مثالا للنزاهة والحسم والحزم وقوة الشخصية وبعد النظر أما ما يثيره أيضا المغرضون من زيارة الأستاذ الهضيبي للملك فإننى أقول : إن هذا هو خلق الاسلام فإذا حصل أمر فليس من خلال المسلم أن يستمر على حقد وضغينة أو كراهية ولكن المسلم يتصرف التصرف الذى يصلح لمفاداة الاخطار والمواقف وكان هذا موقف الأستاذ الهضيبي فقد رأى أن حسن البنا قد انتقل الى رحمة الله ولن يعود حسن البنا للحياة هذا أمر مفروغ منه ولكن كيف يكون الحال مع الاخوان ومن دعوة الاخوان ؟ لا بد أن يكون التصرف متفقا مع مصلحة الاخوان ومصلحة الدعوة الاسلامية لا مودة ولا تقرب وإلا لما حصل ما حصل بيننا وبين الملك ثم لماذا حصل ما حصل بيننا وبين الملك ؟ ثم ماذا يحصل إذا تقربنا الى الملك ما نتيجة هذا التقرب .. لا شيء لقد كنا فى موقف الناصحين للملك حتى أنه لما خرج قرر أنه بعلم أن الذى فعل هذا الانقلاب هم الاخوان المسلمون.. ”

حريق القاهرة :

فى 26 يناير 1952 اشتعلت النيران فجأة فى شارع فؤاد الأول (26 يوليو) وكان ولا يزال من أهم الشوارع التجارية فى مصر وبحث البوليس السياسى عن يوجهون له الاتهام فلم يجدوا سوى الاستاذ أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكى وذلك لمهاجمته النظام بأسلوب عنيف ولكن الاستاذ عمر التلمساني يقول : “ الحقيقة أن مسألة حريق القاهرة لم تتحدد الى اليوم بطريقة قاطعة ويمكن أن يلقي عبؤها على هيئة من الهيئات أو حزب من الأحزاب إنما الشواهد كلها التى حدثت فى هذا الوضع كدعوة الملك لجميع ضباط البوليس والشرطة للسراى فى حفلة وقطعهم عن القيام بواجباتهم والاشراف على القاهرة وأمنها وإشعال الحريق هو ليس من وسائل الاخوان أو مصر

الفتاة لأن الدين والاسلام ينهى عن مثل هذه الأفعال وهذه الأمور فى أغلب الظن ولا أقول يقينا هى من الملك ومن الانجليز ليصلوا الى ما وصلوا اليه .."

وخلاصة القول : إن المؤامرات والدسائس قد أحاطت بجماعة الإخوان المسلمين من كل جانب سواء من وزارتى النقراشى وأبراهيم عبد الهادى أو الملك أو الانجليز واتفقوا كلهم على شىء واحد هو : ضرورة التخلص من هذه الجماعة المسلحة وراح ضحية هذه المؤامرات الشهيد الإمام حسن البنا ولفقت عشرات القضايا للإخوان المسلمين ولكن الله سبحانه وتعالى قيض لهذه الدعوة وإظهار الحق فى جانبها قضاء عادلا ونزيها وقضاة مخلصين لاسلامهم ومصريتهم ولقد كانت أحكام القضاء فى تلك الفترة من الاحكام المشرفة وكانت أزهى فترات عدالة القضاء وساهم ذلك فى استمرار جماعة الإخوان فى ممارسة دورها الطبيعي ..

الفصل التاسع

هذه هى مواقفنا

خلال رحلة الدعوة الاسلامية التى سار فيها الإخوان المسلمون على مدى نصف قرن من الزمان تعاملوا وتفاعلوا مع الأحداث تلك الحقبة الطويلة من الزمن وكانت لهم مواقفهم التى يعرفها القاصى والدانى كما كانت لهم مواقفهم من القضايا الخلافية التى ثارت داخل المجتمع المصرى وعلى كل المستويات الدينية والفكرية والسياسية وقد أدركنا هذا الفصل لطرح مواقف الإخوان من هذه القضايا ومواقفهم مع بعض الشخصيات ذات الاتجاهات الفكرية وفى كل مواقف الإخوان فإنهم لم يسعوا لاستخدام العنف فى التعبير عن مواقفهم .

المسألة الحزبية :

ثار خلاف وجدل واسع حول موقف الإخوان من المسألة الحزبية وكان السؤال الذى يتردد على مدى تاريخ الإخوان المسلمين العريض: لماذا لم يشكل الإخوان حزبا ليتحرك من خلاله على الساحة ويضفى مزيدا من الشرعية على وجوده ؟ وبإدعى ذى بدء فإن الإخوان المسلمين وإمامهم ومرشدهم الشهيد حسن البنا قد شاهدوا التجربة الحزبية فى مصر ومدى ما وصلت اليه الأحزاب من صدامات ومواجهات عنيفة وطعن وتشويه الأحزاب فى ذمة ونزاهة وسمعة بعضها البعض فكانت ثمار هذه التجربة مريرة ومائلة بكل مثالبها أمام أعين الامام الشهيد وأحس وأدرك أن الأحزاب كلها بلا استثناء لا هم لها إلا التفكير فى الوصول الى الحكم والمناصب الوزارية ولم يتفق زعماء أحزاب ما قبل حركة الجيش فى 23 يوليو إلا مرة واحدة فى محاولتهم إعادة دستور 1923 ورأى الإخوان أن الأحزاب ما هى إلا لعبة استعمارية هدفها إذكاء نار الصراعات بين أبناء الوطن وتقسيمهم الى وفدين وأحرار سعيدين ودستوريين وغيرهم والفكرة الحزبية كما ذكرنا فى فصل سابق لم تأت بشكل صريح أو متوارب .

وهنا نرد على ما طرحه فاروق عبد السلام * الذى أفرد فصلا عن الإخوان المسلمين والمسألة الحزبية وقال : " إلا أنها - أى جماعة الإخوان المسلمين - وضعت نفسها موضع الشبهات بموقفها غير المدروس من قضية الحزبية وربما تعددت الأسباب وراء ذلك كله إلا أن ما يعيننا منها بالدرجة الأولى وما نعتقد أنه أهم الأسباب جميعا وراء هذا الموقف المتناقض هو اعتقاد الجماعة بأن الأحزاب السياسية لا تتفق وروح الشريعة الاسلامية وأن النظام الحزبى حرام ومرفوض من وجهة نظر الشريعة " .

والذى يقرأ مذكرات الإمام الشهيد حسن البنا يجده قد حدد موقف الاخوان من هذه المسألة فلم يكن واردا فى تخطيط الإخوان المسلمين الوصول لكرسى الحكم وهو أحد الأهداف الرئيسية لتكوين الاحزاب ونشاطها ولو كان الاخوان يريدون ذلك لدخلوا فى تحالفات سياسية أو انضوا تحت أحد الأحزاب ذات الشعبية الهائلة ولكن أمرا كهذا لم يحدث على مدى تاريخ الاخوان المسلمين .

المسألة الثانية ك أن الاخوان أعلنوا مرارا معارضتهم لتشكيل الحزب لأن معظم الأحزاب قبلت ورضيت بالقوانين الوضعية وتنفيذها الأمر الذى لم يقبله الاخوان لأن حكم الله فوق كل حكم وهم كانوا يريدون أن تحكم مصر بشرع الله ولم يكن ذلك واردا فى أى برنامج حزبى موجود فى تلك الأوقات .

وقد سبق للأستاذ عمر التلمسانى أن قال فى فصل سابق " للحزب برنامج ونحن ليس لنا برنامج أو منهاج لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله وما جاء فى كتاب الله هو برنامجنا وما جاء فى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم هو منهاجنا كما اننا لسنا حريصين على أن يكون رئيس الدولة من الاخوان المسلمين مادام يتبع كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فنحن جنده " ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : ان الاخوان المسلمين لا يقيمون حزبا ولا يرضون عن الاحزاب جميعا لأنهم لم يرضوا عن أى منهاج يخالف كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم أما مسألة دخول مجلس النواب فهذا أمر آخر ليس فيه اعتراف بالاحزاب ولا اعتراف بصواب منهاج الأحزاب .

والاخوان المسلمون ينطلقون من قاعدة أساسية وهى تربية المسلمين على المنهج الإسلامى واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وإيقاظ الوعي الإسلامى فإنها ستكون قادرة على تطبيق شريعة الله فى أرضه واختيار الحاكم المسلم الذى يتبع قواعد الشريعة الإسلامية فدعوة الاخوان المسلمين هى تربية من القاعدة للقمة وترسيخ القواعد وحين يتكون هذا الرأى العام المسلم فإنه سيكون أعم وأشمل وأكثر تأثيرا من الاحزاب فى تحقيق مصلحة الأوطان فما دام الشعب قد تربى تربية اسلامية سيتم التغيير بأسهل وسيلة ودون عنف .

ومن قال إن رفض قيام الاحزاب فى الاسلام يوقع فى حيرة شديدة عن كيفية ترشيح الحاكم ويقود الى الحكم المطلق فإنه لم يدر جيدا بدعوة الاخوان المسلمين فالحكم المطلق القائم على غير شريعة الله مرفوض من الاخوان المسلمون وليس الحكم المطلق وحده وإنما كافة أشكال الحكم التى تستند على قوانين وضعية - من عند غير الله - أما من يقول بأن عدم وضوح مسألة الحزبية لدى الاخوان قد أدت الى بطش عبد الناصر نقول لهم : سواء انضوى الإخوان تحت راية حزب يؤسسه أو ظلوا كما هم فإن النيات قد توافرت لدى عبد الناصر للتخلص منهم بأية صورة من الصور كما تأكد هذا الغرض فى قانون الأحزاب الذى أصدره السادات .

لقد حققت الجماعة انتشارا واسعا فى الثلاثينات والأربعينات خارج نطاق التجربة الحزبية رغم كل المصاعب والهجمات التى تلقته كما أثار انتشارها ضيق وحقد الأحزاب .. الموجودة التى انطلقت فى صراعات حزبية بالغة العنف فى اتجاه التنافس على كراسى الوزارة بينما دفعت مصر ثمن ممارساتهم على مدى التجربة الحزبية . لقد اختار الإخوان المسلمون ألا يضيقوا نطاق الدعوة ويحددوها فى إطار ضيق هو إطار الحزبية وأن يجدوا أنفسهم فى صراع من أجل مقاعد مجلس النواب أو كراسى الوزارة وربما يغوى ذلك البريق نفوس الكثير من الاخوان فيخرجوا عن الخط الأساسى للجماعة وهو أحد المحاذير التى تنبه لها القانمين على أمر هذه الدعوة ولذلك اتجهت الدعوة من خلال الجماعة ونصح الحاكمين والقائمين بالأمر وتكوين الرأى العام المسلم الذى يستطيع التغيير .. هذا كان طريق الاخوان المسلمين ..

القومية الإسلامية والمصرية :

برزت فى الثلاثينات دعوة الى القومية المصرية قادها كل من الدكتور طه حسين وسلامة موسى ومحاولة سلخ مصر من الاطار العربى باعتبار أن جذور مصر تمتد الى عهد الفراعنة وقد رد الأستاذ البنا على هذه الدعوة قائلا : تلك فكرة لا ينفرد بها الدكتور طه وحده بل نادى بها من قبله الأستاذ سلامة موسى وحمل لواءها كل من يحمل ضغنا على العربية وحفيظة على الاسلام إنها خطأ محض - خطأ تاريخى وخطأ اجتماعى وخطأ فى جانب القومية المصرية لا يغتفر وهى فكرة غرسها الأجانب للقضاء على قوة الشرق ووحدته .. فهل

يرى الدكتور طه وغيره أن لمصر لغة غير اللغة العربية وأن لها ديناً غير الدين الذي حمل لواءه العرب ؟ وهل يرون أننا نستطيع أن نتخلى عن اللغة العربية والقرآن العربى والشعور العربى ونحل محل ذلك كله لغة ودينا وثقافة تختص بمصر والمصريين ؟ " .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : الاسلام لا يعرف القومية وينكرها تماماً ويرأها نوعاً من أنواع التعصب وإنما يرى الذى يجمع بين الناس هو العقيدة إما مسلمين أو غير مسلمين والأستاذ البنا رضوان الله عليه كان يستمد كل آرائه وأفكاره ونظمه من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والقرآن والسنة ينكران مسألة اتلقومية ولا يقرانها لأنها مدعاة الى النفور بين القوميات المختلفة وبسبب من أسباب الخلاف والحروب وغيرها لأن الاسلام حدد المسألة فى قوله تعالى : " وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون " . معنى هذا ان المسلمين جميعاً أمة واحدة سواء فى الشرق أو الغرب ولذلك نجده ما كان يدعو الى ما يسمى " القومية الاسلامية " أو غيرها وإنما كانوا يدعو الى وحدة المسلمين فى كافة بقاع الأرض وكان يدعو الى عودة الخلافة الاسلامية باعتبارها رمزاً لهذه الوحدة الاسلامية بين المسلمين جميعاً ولذلك كان حكام البلاد الاسلامية ينشرون هذا المعنى باعتبار أنه مقلد لسلطانهم فى بلادهم وباعتبارهم سيخضعون لحاكم واحد هو خليفة المسلمين أو أمير المؤمنين وهذا الفهم فى الواقع فهم خاطيء لأن الخلافة العثمانية كان كل قطر يكاد يكون مستقلاً فى أموره مثل النظام القائم فى أمريكا بين الولايات المتحدة فكل ولاية منها مستقلة بكافة شئونها الداخلية ولا يجمع بينها إلا وحدة الدفاع عن الوطن الأمريكى والسياسة الخارجية هذه كانت فكرة الأستاذ البنا والايخوان المسلمين جميعاً فيما يختص بهذه المسألة أما القومية فإننا ننكرها جميعاً وكفى ما حدث أيام هتلر عندما دعا الى أفضلية الجنس الآرى .. وتفوقه على كافة الاجناس الأخرى وما يفعله اليهود من دعوات أنهم شعب الله المختار كل هذه أمور ليس منها خير للإنسانية باعتبار أننا كلنا فى النهاية جميعاً أبناء آدم وحواء وإن اختلفنا ديناً فيجب ألا نختلف الخلاف الذى يدعو الى القطيعة والحرب والقضاء والتدمير يجب أن نتعاون جميعاً على مصلحة الانسان وكرامته أيا كان لونه وعقيدته أو أتجاهه . طه حسين كان يدعو الى تقبل مصر للثقافة الأوروبية كما دعا فى كتابه " مستقبل الثقافة فى مصر " الى الارتقاء فى أحضان الغرب وقد جرت مواجهة بين الأستاذ حسن البنا والدكتور طه حسين وقال فيها الدكتور طه حسين للإمام الشهيد " ليت أعدائى مثل طه حسن البنا إذن لمددت لهم يدى من أول يوم " . وقد كان من نتيجة هذا اللقاء أن عدل طه حسين عن آرائه التى سجلها فى هذا الكتاب .

الصوفية والأزهر :

يقول الأستاذ عمر التلمسانى : " الإخوان فى حقيقة الأمر - من ضمن مقومات دعوتهم أنهم - دعوة صوفية ولكنها الصوفية التى كانت معروفة فى صفوف الصدر الأول من الاسلام فإن كانوا ينتقدون الصوفية الآن فإنهم ينتقدونها للمظاهر التى تبدو ليس بينها وبين الشرع صلة كالرايات والطبل والرقص فى الشوارع بمناسبة شهر رمضان وغيرها هذا ما كنا نعترض عليه وكنا ننتقده ما كنا نحرم زيارة القبور وزيارة الأولياء وإن كنا ندعو الناس ألا يتمسحوا بالقبور وأن يعلموا أن الله وحده هو الفعال وإن كان حقاً أن صاحب هذا بالطبع رجل صالح ومن أولياء الله إلا أنه لا يليق بمسلم أن يستعين بغير الله سبحانه وتعالى لأننا ليس بيننا وبين الله واسطة الا العمل الذى نقوم به ..

"

أما موقف الإخوان المسلمين من الأزهر فيقول الأستاذ عمر التلمسانى : من ناحية الأزهر كنا ولا زلنا نحس أن تعيين شيخ الأزهر قيد من القيود التى تحد من حرية تصرف الأزهر فى إبداء القرار فى المسائل الدينية وكنا نتمنى أن ينزل رجال الأزهر الى العمل فى وعظ الناس وتوعيتهم ونحن لا نطلب من رجال الأزهر أن يكونوا سلطة تنفيذية ولكن كنا نريد منهم ولا زلنا أن يقوموا بواجبهم الدعائى للإسلام على الصورة التى ترضى المسلمين جميعاً لأننا نعتقد أن كلمة حق واحدة من الأزهر لها أثرها فى نفوس العالم الاسلامى كله ولقد كنت على صلة دائمة بشيخ الأزهر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود وكلفنى فى فترة من الفترات أن ألقى دروساً تربوية على الوعاظ فى المدينة الجامعية بالأزهر التى أنشأها وحضرت معهم شهراً وساعنى أنهم ما كانوا يعنون بالوعظ قدر عنايتهم بحالتهم المادية وما يعانونه من

شظف العيش وسوء المعاملة وعدم الاحترام الكامل لهم أثناء تأدية عملهم وكانت هذه الشكوى حقيقية كما كنت على صلة بكل رجال الأزهر حتى الشيخ عبد الرحمن بيصار رحمه الله أرسل الى فى يوم من الأيام سكرتيره الخاص وقابلته لمدة ساعة وتحدثنا فى الأمور العامة ومهام الأزهر ومهام الاخوان المسلمين فى جو ودى خالص وكنت دائم الاهتمام بالازهر ورجاله " .

موقفنا من الشيوعية :

حدد الإخوان منذ نشأة الحركة رفضهم للشيوعية باعتبار أنها تنافى الفطرة الانسانية التى فطر الله سبحانه وتعالى عباده عليها وأنها تتبع تقنينا غير تقنيين الاسلام على طول الخط وقد حصلت محاورات ومناقشات واسعة داخل المعتقلات بين الاخوان المسلمين وأصحاب الفكر الماركسى ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : المعتقلون كانوا ثلاثة أصناف : الإخوان - الشيوعيين - الوفديين وغيرهم وكانوا يسمونهم النشاط المعادى ولأننا كنا قرييين من بعضنا البعض فكنا نجلس ونتناقش ونتحاور ولكن أنا بالذات لم أكن أجد فى نفسى ميلا للدخول فى مثل هذه المناقشات أو الحوارات ولكن حصل حوار طويل بين بعض قادة الشيوعيين وأخ اسمه محمد عبد الحليم وكتب كتابا أسماه " وراء الأسوار " وهو كتاب يرد بالأدلة المنطقية بأن الاسلام خير كله وأن الشيوعية لا تصل الى الخير الذى وصل اليه الاسلام ولم يستطيعوا أن يوجودوا دليلا واحدا يدحضون به مقولة الأستاذ عبد الحليم خفاجى .. والغريب ما فعله عبد الناصر بالشيوعيين حيث كان دخولهم السجن مرتبطا بترموتر العلاقة مع موسكو وعلى سبيل المثال عام 1964 عندما كنا بسجن الواحات وحدث خلاف بين " خروشوف " وعبد الناصر .. وخروشوف قال عن عبد الناصر : إنه " ولد طائش " فاشتدت نقمة عبد الناصر على الشيوعيين ظنا منه أنهم يحاولون العمل على خلعهم من الحكم فاعتقل منهم الآلاف وعذبهم ولكنه فى النهاية كان تعذيبا لا يرقى لدرجة تعذيب الاخوان وعندما تم الصلح بين جمال عبد الناصر وبينهم وعادت المياة لمجاريها أفرج عن هؤلاء الشيوعيين وبقي الإخوان داخل السجون .

ويقول الأستاذ محمود عبد الحليم * : كان الأستاذ البنا يرى أن الوقت الذى نضيعه فى مهاجمة فكرة كالشيوعية نحن أحوج اليه لنشر فكرتنا وتوضيح معالمها وأهدافها .. حتى الكتب التى ألفها بعض الآخوان عن الشيوعية لم يكن المقصود منها أكثر من تفقيه الإخوان فى الأفكار التى يضطرب بها العالم من حولهم . ومع أن الاخوان لم يتعرضوا للشيوعية تعرضا مباشرا مما يعده الناس مقاومة إيجابية فإن الشيوعية العالمية كانت تعد الأخوان المسلمين ألد أعدائها وأكبر عائق فى سبيل انتشارها .. والغريب أن الشيوعيين اتهموا حسن البنا فى نهاية الأربعينات فى منشوراتهم بأنه أكبر رأسمالى فى مصر وأنه يملك أسهما قيمتها ربع مليون جنيه (بالارقام والحروف) فى شركة الجريدة وربع مليون جنيه فى شركة الطباعة - وهى الشركات التى أنشأها الإخوان ولم يكن الإمام الشهيد يملك شيئا يذكر فى هاتين الشركتين سوى مرتبه الشهري .. ومنحته الهيئة التأسيسية أسهما فى حدود مائة سهم قيمتها أربعمئة جنيه ليكون ضمن هيئة المؤسسين كما يطلب القانون .

ويضيف محمود عبد الحليم : وقد أيقنت بعد قراءة هذه الورقة أن هناك تواطؤا بين الشرق والغرب أى بين الشيوعية والرأسمالية على إبادة هذه الدعوة الاسلامية من الوجود .. أما الغرب فأدواته هم حكامنا وأما الشيوعية فإنها تفترس الشباب الغافل خالى الذهن فى غيبة الحقائق عنه وفى ظل حكم إرهابى كمم أفواه البراء ليطلق رعاغ الشيوعيين عليهم ألسنة حدادا وألسنة كذابا آمنين من أن يعترض طريقهم من يستطيعون أن يفضحوا كذبهم ويدحضوا افتراءاتهم .

موقف عباس العقاد :

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " العقاد كان وفديا والوفد بطبيعته عادى الاخوان المسلمين لمصالح وفدية محضة ظنا منه أن الاخوان المسلمين إذا انتشروا سيكون فى هذا إضعاف لقوتهم كحزب صاحب أغلبية فى هذا البلد وطبعا هذا الأمر لا يرضى السياسيين ولا يرضى الأحزاب فنبأوا الإخوان العداء وحملوا عليهم حملة شعواء وإنما كانت مخاصمة الوفد للإخوان لا تعدو الحملات الصحفية والتشهير

والتشجيع إنما لم يتخذوا مع الإخوان الوسائل التى أتخذها إبراهيم عبد الهادى أو جمال عبد الناصر أو السادات لقد كانت خصومة كلامية لا أكثر ولا أقل " .

لقد عرضنا فى عجالة لبعض مواقف الإخوان من بعض الأطراف خلال الثلاثينات والأربعينات لنزيل الشبهات حول هذه المواقف وحتى لا يجد أساتذة التشويه فرصة للنيل من جماعة الإخوان لبعض مواقفهم والله الهادى ..

الباب الثالث - قصتنا مع إنقلاب يوليو

* علاقتنا بالضباط الأحرار .

* هكذا أيدنا الحركة .

* خلافاتنا مع الإنقلاب .

* حل الجماعة .

الفصل العاشر

علاقتنا بالضباط الأحرار

علاقة الإخوان بجماعة الضباط الأحرار التى خططت ودبرت ونفذت إنقلاب 23 يوليو عام 1952 علاقة تمتد الى الأربعينات وبدأت باتصالات للشهيد الإمام حسن البنا مع بعض القيادات والرتب فى الجيش المصرى فى إطار أنتشار دعوة الإخوان المسلمين وليس لأهداف أخرى كما يدعى بعض المغرضين وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى .

وقد اتفق كل من ميتشل وصلاح عيسى وعبد العظيم رمضان على اتصالات الامام الشهيد بالجيش وأن ذلك جاء عن طريق عزيز المصرى الذى كان على صلة وثيقة بالأستاذ البنا .

ويرد الأستاذ عمر التلمساني على هذه المقولة قائلا : " هؤلاء الناس لأنهم لا يأخذون بالمفاهيم الاسلامية فإنهم يستطيعون أن يقولوا كما يشاءون .. الذين اختلطوا بعزير المصرى يرحمه الله يعرفون أخلاقه تماما .. ولو أنه مباح لى كمسلم أن أتحدث عن عزيز المصرى لتحدثت الكثير عن أيام أن كان مديرا لكلية البوليس وما كان يقوله للطلبة فى الكلية وما يعرفه الناس عن عزيز المصرى لقلت الكثير ولكنى أقول : إن عزيز المصرى وجد أن هذه الجماعة جماعة منظمة وتدعوى الى العمل المادى الواقعى والتربية التى تنتهى بالوعى الكامل فاستهوت هذه الناحية فى جماعة الإخوان المسلمين أما الفكرة الدينية فى حد ذاتها فلم يكن لها وجود فكانت ميول عزيز المصرى مجرد إعجاب لأنه عسكرى إعجاب بتنظيم إعجاب بقوة وبشباب طاهر هذا كل ما فى الأمر . أما إن الإخوان أتصلوا ببعض ضباط الجيش فهذا صحيح وضباط الجيش أنفسهم اعترفوا بهذا وكان فى الجيش عشرات الضباط من الاخوان المسلمين واتصال الأستاذ الامام بهؤلاء الناس ليس فيه شىء مستنكر أو غريب إن الذى يدعو الشباب المدنى الى عبادة الله وترسيخ دينه ليس بعجيب أن يدعو القوات العسكرية أن تؤمن بالله وتصحح دينها .. ولكن أصحاب النوايا التى يعلم الله خفاياها يريدون أن يشوهوا هذه الحركة وعزيز المصرى لم يكن واسطة بين الإخوان والضباط الأحرار لأن هذه الصلة كانت بعيدة تماما عن عزيز المصرى إنما حدث أن ألتقى الإمام الشهيد ببعض الضباط فى بيت عزيز المصرى والذين عرفوا هذا صوروها أن عزيز المصرى هو الواسطة بين الإخوان والضباط الأحرار وعندما وقع حادث هروب عزيز المصرى من مصر ووقوع الطائرة فى قليب وكان يقود الطائرة عبد المنعم عبد الرؤوف أحد الضباط الذين كانوا يأخذون بمبادئ الإخوان المسلمين وجد أعداء الدعوة وخصومها فرصة يبنون على أساسها أن عزيز المصرى كان الواسطة وعزيز المصرى لا يصلح لدعوة إسلامية على الإطلاق لأن تكوينه لا يقبل هذا الوضع أما ما يورده أنور السادات فى جميع كتبه عن علاقة الإخوان بالضباط الأحرار فليس فيها كلمة واحدة صحيحة وإذا كان يلتقى بالأستاذ البنا فقد كان يلتقى به كتلميذ مع أستاذ ولا يستطيع أنور السادات ولا غيره أن يقول للأستاذ البنا ما قاله فى كتابه " البحث عن الذات " من أنه هو الذى أنشأ جماعة الإخوان المسلمين مع حسن البنا .. هذا الكلام لا أساس له من الصحة ولكن أنور السادات كان رئيسا للجمهورية وما كان أحد يستطيع أن يكذبه فى الوقائع التى ذكرها فى كتابه ولا يمكن أن نأخذ حرفا واحدا صادقا من كلامه فى البحث عن الذات سواء عن علاقته بالأستاذ البنا أو علاقته بجمال عبد الناصر ولو اطلع البعض منا على وثائق محاكمة اغتيال السادات لعرفوا تماما من هو أنور السادات . ز وقد جاءت فكرة إنشاء تشكيله بالضباط الأحرار بسبب عدم رضا مجموعات من الضباط الشباب عن استمرار الإحتلال الإنجليزي وتصرفات الملك ومفاسدة وكانت المبادئ الإخوان المسلمين سارية بين صفوف الضباط الشباب فبدأ نوع من التقارب فى وجهات النظر بين الاخوان والضباط الشباب والتقى الأستاذ البنا بالسادات مرة فى بيت عزيز المصرى ومرة فى المركز العام ولقد جرت إجتماعات ولقاءات فى المركز العام بيننا وبين مجموعة الضباط الأحرار لاتفاقنا على ضرورة القضاء على الأحتلال ولكن أن يتزايد أنور السادات ويقول : إنه أنشأ الإخوان مع الأستاذ البنا فهذا أمر غير مقبول منه ولم يكن الإخوان ينظرون لصلتهم بالضباط الأحرار نظرة استفادة وإنما كانوا ينظرون للصالح العام .

ولقد امتدت صلة الإخوان المسلمين مع الضباط الأحرار حتى قيامهم بتنفيذ انقلاب يوليو وكانت الصلات بين الجماعة والضباط الأحرار تتم فى صورة لقاءات منفردة أو جماعية وفى صورة تدريب بعض الضباط الأحرار لعدد من كتائب الإخوان على استخدام الأسلحة لمواجهة الإحتلال الإنجليزي وللدخل فى حرب فلسطين التى أبلى فيها الإخوان المسلمون بلاء حسنا باعتراف كثير من الضباط فى المحاكمات التى جرت حول الأسلحة الفاسدة بعد قيام الانقلاب وكانت اتصالات الاخوان بالضباط الأحرار تنبع من ابتغاء المصلحة العامة وتوسيع دائرة انتشار الدعوة الاسلامية داخل صفوف الجيش وكان الإخوان يتعاملون بنوايا حسنة مع مجموعة الضباط بينما نظر الضباط الأحرار لهذه العلاقة بمنظور هم الخاص وخاصة جمال عبد الناصر لتبدأ سلسلة غريبة من الأحداث التى تكشف الكثير عن طبيعة النظام الذى حكم ممارسات عبد الناصر بعد ان اعتلى الحكم ..

هكذا أيدنا الحركة

مع بزوغ فجر الثالث والعشرين من يوليو عام 1952 تحركت مجموعات من الضباط فى عدة اتجاهات وسيطرت على المواقع والمنشآت الحيوية معلنة قيام " حركة الجيش المباركة " - ظل هذا التعبير مستخدما حتى أضفى عليه قادة الحركة لفظ ثورة فى يناير 1953 - وتصدر هذه الحركة اللواء محمد نجيب كما عين على ماهر رئيسا للوزراء ولم يستمر سوى 45 يوما فقط من قيام الحركة وأطيح به ليحل محله محمد نجيب ورحل الملك فاروق عن مصر يوم 26 يوليو 1952 ثم أصدرت حركة الانقلاب قانونا بالغاء الألقاب فى مصر فى 12 أغسطس 1952 ودعوة الأحزاب لتطهير نفسها .

ولا يهمنا الدخول فى تفاصيل هذه الحركة بقدر ما يهمنا التعرض لموقف الإخوان من الانقلاب وقبل ذلك فهناك سؤال يطرح نفسه وهو : هل كان الإخوان على علم بموعد قيام الانقلاب ؟

يقول الاستاذ عمر التلمسانى : " هذه المسألة هم يعترفون بها - الضباط الأحرار - وكانت الصلات بين بعض الإخوان وبعض القائمين بحركة الضباط ومنهم عبد الناصر وكانوا على لقاءات مستمرة ودائمة فى تنظيم هذا الانقلاب ومدى مساعدة الإخوان للضباط الأحرار فى مثل هذه الحالة فكانت كل التصرفات تتم عن لقاءات واتفاقات من الإخوان المسلمين إنما كان الخطأ الذى ارتكبه ضباط الإخوان أنهم لم يدخلوا مجلس قيادة الثورة واكتفوا بقيادة القوات التى حاصرت قصر عابدين ورأس التين وغيرها من المنشآت وكان جديرا بهم أن يكونوا داخل هذا المجلس ليحكموا تصرفاته وفق شرع الله والذى يعرفه الكثيرون أنه قبل قيام الحركة كان هناك اتفاق بين الإخوان والضباط الأحرار على كيفية حكم مصر وتعاهد الضباط الأحرار والإخوان على ذلك أمام الشيخ محمد حسن الأودن رحمه الله عليه وصلوا المغرب جماعة خلفه على أنهم إذا تم الانقلاب يكون الوضع على صورة معينة وهى شريعة الله سبحانه وتعالى وكان هذا فى مايو أو يونيو 1952 دون أن يفكر الإخوان فى المشاركة فى الحكم لأن كل الذى بينهم هو تطبيق شرع الله بصرف النظر عن يطبقه .

وقد أعلن الإخوان تأييدهم لحركة الجيش فى جلسة استثنائية للهيئة التأسيسية عقدت يوم 26 يوليو وأعلنت بيانها فى الأول من أغسطس فى مشروع بيان أعلنته وتعرب الجماعة فيه عن فرحتها بنجاح المباركة واحتوى بيان الجماعة عرضا لآراء الجماعة فى قضايا الإصلاح الاجتماعى والأخلاقى والسياسى والاقتصادى التى تواجه الشعب المصرى مع بداية العهد الجديد وقد ذهب والد الامام الشهيد حسن البنا للمركز العام - للمرة الأولى منذ وفاة الامام الشهيد - واتجه للمسجد وقال للإخوان : " أيها الإخوان اليوم تحققت رسالتكم إنه فجر جديد بالنسبة لكم ويوم جديد للأمة فاستبقوا الفجر أيها الإخوان شدوا من أزر نجيب وأعينوه بقلوبكم ودمائكم وأموالكم وكونوا جنوده فتلك هى رسالة (حسن) التى أراد الله لها النجاح " .

ويقول الاستاذ عمر التلمسانى : أيد المصريون قيام الانقلاب وقد أيدناه بالطبع لأننا مصريون ومسلمون عانينا الكثير من ويلات الاحتلال وتحكم القصر الكل كان يرضى عن هذا الانقلاب وكنا نحن نحرس المنشآت العامة فى مصر لكيلا تمس والمعنى أننا راضون عن هذه الحركة وأننا معها ما دمنا اتفقنا على أن نطبق كتاب الله وسنة رسوله فى حكم البلاد ومثل هذه الحركات كانت لا بد أن يؤخذ رأى الجهات المسؤولة فى كل هيئة وكل حزب وكانت قيادة الإخوان المسلمين تضم (المرشد ومكتب الارشاد) فلم تكن المسألة موضع خلاف ولكنها كانت نية مبيتة قبل أن تقوم هذه الحركة والذى عرفناه فيما بعد أن عبد الناصر كان على اتصال بكل الاطراف الأخرى سواء الوفد أو الأحرار الدستوريين والشيوعية وكل الهيئات ولقد كنا فى غاية الوفاء فى حماية هذا الانقلاب وحماية المنشآت بمفردنا .

وخلاصة القول :/ أن الضباط الأحرار تعاهدوا وأقسموا على أن يحكموا بشرع الله قبل قيامهم بهذا الانقلاب وعلى رأسهم جمال عبد الناصر وأوفى الإخوان بعهدهم فى مساندة ودعم الانقلاب وكان لبيان الإخوان فى تأييد الانقلاب بالغ الأثر فى كل ربوع مصر نظرا لامتداد وانتشار شعب الإخوان فى كل بقعة من أرض مصر وكان تأييدهم دفعة شعبية وضعت حركة الانقلاب على أرض صلبة للسيطرة على مقادير الأمور فى مصر .. وحين أيد الإخوان الانقلاب فإنهم لم يؤيدوا تأييدا أجوف مفرغا من المعانى والآراء وإنما طالبوا منذ اللحظة الأولى بالإصلاح فى كافة شئون البلاد استنادا الى أساس من الشرعية الاسلامية وتطبيق شرع الله فى أرضه .

ويقول الأستاذ صلاح شادى * " لقد تنكر عبد الناصر ومعه ثمانية من مجلس قيادة الثورة لبيعته مع الامام الشهيد والصاغ محمود لبيب وعبد الرحمن السندى بعد نجاح الحركة فى الوقت الذى تأخر فيه موعد قيام الحركة فى يولييه 1952 يوما فى انتظار موافقة المرشد حسن الهضيبي الذى ذهب نفر من الاخوان الى الاسكندرية للحصول على موافقته " .

تنكر عبد الناصر لتأييد الإخوان وبعد 29 شهرا من قيام الانقلاب كان قد أطاح برؤوس عدد من الشهداء الأبرار وألقى بالمئات بل الألوف خلف أسوار السجون والمعتقلات من الاخوان المسلمين .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " أشهد الله أن ا لمرحوم حسن الهضيبي وفواد سراج الدين كانا الوحيديين فى مصر اللذين قطعوا من اول أيام الحركة أن جمال عبد الناصر رجل لا يؤمن وفاؤه بعهدده "

الفصل الثانى عشر

خلافاتنا مع الانقلاب

كانت نزعة التحمس والتأييد غالبية على كافة أعضاء الإخوان لقيام هذه الحركة بينما طالبت قيادة الاخوان مجموعة الضباط بأن يسيروا على الخط الاسلامى وقد سبق أن قطعوا على أنفسهم عهدا بذلك وقد تصور بعض الكتاب - من أصحاب الأغراض - أن فى هذا وصاية على الانقلاب وعلى زعمائه ومنهم الكاتب د. عبد العظيم رمضان .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : للأسف الشديد أن كل كتابات عبد العظيم رمضان فى هذا الموضوع كتابات مغرضة لم يقصد بها إلا تشويه وضع الإخوان المسلمين جمال عبد الناصر من أول الأمر كان يريد التخلص من كل حزب وكل هيئة وجماعة ومن كل قوة موجودة وكان هذا أسلوبه وتخطيطه حتى من قبل أن تقوم حركة الضباط الأحرار فالمسألة لم تكن مسألة نزاعات أو صراعات مع قادة الانقلاب وإنما كانت النية مبيتة ومسألة تنفيذ خطة قديمة ليصل بها جمال عبد الناصر حتى أنه تخلص بعد ذلك من زملائه فى مجلس قيادة الثورة والقصة معروفة للجميع .

* قانون الإصلاح الزراعى :

طرح موضوع تحديد الملكية الزراعية بعد قيام الانقلاب بقليل - الذى ادعت حركة يوليو أنه من بنات أفكارها وإنما جرت محاولات كثيرة فى هذا المضمار قبل قيام الحركة ولقد طرح هذا الأمر وقال الاخوان كلمتهم فيه .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " ما يثار أن إدلاء الإخوان المسلمين برأيهم فى قضية تحديد الملكية الزراعية هو بداية الصدام مع نظام الضباط الأحرار إنما هو فى الحقيقة أوهم فى رعوس البعض فكون أن الاخوان طالبوا أن يكون الحد الأقصى لملكية الأرض 500 فدان بينماأصرت الحركة على تحديدها بحوالى 200 فدان فقط هل فى هذا صدام ؟ .. نحن رأينا أن هذا الحد معقول وهم رأوا عكس ذلك فهذا مجرد خلاف فى وجهات النظر لقد أيدنا تحديد الملكيات الزراعية واختلفنا معهم فى رقم التحديد ليست مشكلة يصورها البعض على أنها الصدام الأول وغيره " .

وصدر قانون الإصلاح الزراعى فى أول اجتماع عقدته وزارة محمد نجيب يوم 8 سبتمبر عام 1952 وأصدر معه أيضا قانون تنظيم الأحزاب السياسية الذى قضى بعد ذلك على كل الأحزاب القديمة .

ثم قللت الحركة بعد ذلك الحد الأقصى فوصل الى 100 فدان عام 1961 ثم 50 فدانا للفرد و100 فدان للأسرة عام 1969 وهذا القانون الذى فاخرت به حركة يوليو وحشت به رعوس جيل الخمسينات وحتى الثمانينات ضجت الشكوى من تطبيقه بسبب ما فعله فى الكثيرين فقد تفتت الملكيات الزراعية وأهملت الارض وتناقصت رقعة الارض الزراعية حتى بعد استصلاح آلاف الفدادين وضج الملاك من تعسف القانون إزاء حقوقهم ونمت ثمار جديدة فى الريف المصرى بين صغار الملاك - على حد قول الأستاذ صلاح منتصر * - والمستأجرون هم

ثمارا لحقد والعداء وسلسلة طويلة من جرائم إحراق المنازل وسم المواشى وإتلاف المزروعات وبعد أن كان المالك هو إقطاعى ما قبل الثورة أصبح المستأجر فى نظر كثير من صغار الملاك هو الإقطاعى الجديد الذى يحتكر الانتفاع بالأرض بينما الفتات للمالك الذى وصل به الحال الى حد عدم قدرته على رؤية أرضه إلا بتصريح من المستأجر .. "

* فتح ملفات اغتيال الشهيد البنا :

وفى محاولة لاجتذاب الراى العام قرر مجلس قيادة حركة الانقلاب تصفية نفوذ البوليس السياسى وعلى رأسهم محمد الجزار الذى خطط ودبر لجريمة اغتيال الشهيد البنا كما تم الاعلان عن إعادة التحقيق فى مقتل الشهيد البنا التى حفظت دون التوصل الى شىء - أو هكذا أرادت السلطات فى ذلك الوقت مع السراى .. كما تم الافراج عن قتلة المستشار الخازندار .. ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " لم يكن هذا نوع من إظهار النوايا الحسنة من جانب قيادة الثورة بقدر ماكان أسلوبا من أساليب جمال عبد الناصر لكسب الراى العام لأن الراى العام كام مع مرتكبي الحوادث السياسية وكان يعطف عليهم وكان أسلوب جمال عبد الناصر أن يفرج عن هؤلاء اكتسابا لشعبية الراى العام فى البلاد وليس تقريبا من الاخوان ... "

والجدير بالذكر أن التحقيقات فى قضية اغتيال الشهيد حسن البنا كانت قد حفظت بأمر من النائب العام الذى أمر بحفظه وتقييد الجناية ضد مجهول وبعدها بقليل أنعم الملك فاروق برتبة البكوية على محمود عبد المجيد مدير المباحث الجنائية بوزارة الداخلية مكافأة له على التخلص من الشهيد حسن البنا ؟ !!

وبعد قيام حركة الانقلاب أمرت القيادة بالقبض على العميد محمود عبد المجيد والقبض على المتهمين الآخرين وأصدرت المحكمة حكمها بعد مداوالات طويلة (من 10 نوفمبر 1953 الى 2 أغسطس 1954 وبلغ عدد صفحات أوراق القضية أربعة آلاف صفحة) بمعاينة أحمد حسين جاد بالأشغال الشاقة المؤبدة ومحمد محفوظ ومحمود عبد المجيد بالأشغال الشاقة 15 سنة وان يدفعوا عشرة آلاف جنيه لزوجة الامام الشهيد وباحكام أخرى بالتعويض وأثبتت التحقيقات تواطؤ كل من البوليس السياسى والقصر فى مؤامرة اغتيال الشهيد البنا ..

** حكاية الوزارة ..

ثار جدل كبير حول موقف الاخوان المسلمين من مسألة الاشتراك فى الوزارة وانهالت كثير من الاتهامات للإخوان حول هذه المسألة وكان لا بد من حلها إحقاقا للحق والحقيقة .

يقول الأستاذ عمر التلمسانى : لقد طلبنا الاشتراك فى الوزارة ووافق مجلس قيادة الثورة على ترشيح ثلاثة أسماء فقط فعرض عليه الأستاذ حسن الهضيبي ثلاثة مرشحين هم حسن العشماوى ، عبد القادر عودة ، منير الدلة ، الحقيقة أن جمال عبد الناصر لم يرد أحدا من الاخوان المسلمين وقال عن الثلاثة : إن حسن العشماوى ما زال صغيرا وعن منير الدلة : إنه ما زال مساعد مستشار فى مجلس الدولة ولا يصح أن يصبح وزيرا وقال عن عبد القادر عودة إنه " ثقيل الدم " كانت النية مبيتة أما مسألة عرض الوزارة على الأستاذ أحمد حسن الباقورى فلم تكن بترشيح من الاخوان المسلمين وإنما كما قال الأستاذ الباقورى إنه حاول الاتصال بقيادة الاخوان ليأخذ رأيها فى مسألة ترشيحه فعجز عن الاتصال فقبل الوزارة وانتهى الأمر واستقال الباقورى من الاخوان وبقي فى الوزارة إلى أن خرج منها بالصورة التى يعرفها الناس وقد رشح الأستاذ الهضيبي لهم وزير العدل ولم يكن من الاخوان وإنما كان مستشارا فى فى محكمة النقض وبالفعل تولى وزارة العدل وقد قرر مكتب الارشاد بالاجماع عدم الاشتراك فى الوزارة لقد كان الاخوان يعلمون نية عبد الناصر التخلص منهم ولكن ماذا كنا نفعل ونحن لسنا دعاة عنف أو صراع أو تخريب ؟ فقط نعمل على النصح وندل على الطريق السليم لخير هذا البلد والجميع يعلمون أن الاخوان بعد رفضهم الاشتراك فى الوزارة لم يأتوا بآ رد فعل فى معاداة الانقلاب وانصرفوا لدعوتهم فى سلام .

* وقفة عند شخصية عبد الناصر :

وكان لا بد من أن نتوقف هذه الوقفة عند شخصية الرجل الذى اعتبر المحرك الرئيسى لجماعة الضباط الأحرار والذى كان يبيت النية للتخلص من الاخوان المسلمين .

ويقول الأستاذ التلمسانى : " لقد التقيت بجمال عبد الناصر كثيرا والحقيقة أنه كان فى حديثه ملفتا للنظر وكان لين الجانب بصورة عجيبة كان هادى الطبع فى لقاءاته مع الاخوان المسلمين ولكنه كان يخفى غير ما يظهر لأنه كما ثبت من كتابات السادات وغيره أن جمال عبد الناصر التقى بجميع الهيئات والاحزاب فى مصر وكذلك بالشيوخ والدستوريين ومصر الفتاة والاخوان شخص مثل هذا الانسان لا يمكن القول بأن له مبدأ من المبادئ يتمسك به وإنما كان يتسلل الى صفوف كل هذه الجماعات والهيئات والاحزاب ليعلم دخانها وليكون لنفسه مستقبلا على أساس هذه المعلومات فلما هيات له الظروف فرصة الانقلاب العسكرى الذى حصل استفاد من هذه الخبرات وتخلص من الوفد والأحرار الدستوريين أولا ولم يرض أن يضم الاخوان المسلمين فى هذا الأمر ثم انفرد بالسلطان ولم يكن أمامه غير الاخوان المسلمين فانقلب عليهم واستعمل معهم كل الوسائل غير النظيفة التى كتبت عنها الصحف والمجلات وأصدرت بشأنها محاكم الجنايات أحكامها . ولقد دعانى ذات مرة عبد الناصر فى منزله بمنشأة البكرى يوم 9 سبتمبر 1954 أنا وتسعة من الاخوان فالتقينا به هناك وأخذ يقص علينا كيف لم يرض عن رؤساء الوزارات الذين عينهم لنهم اختلفوا معه فى طريقة الوصول لأحسن السبل لحكم مصر بحرية كاملة فوصف محمد نجيب بأنه " فقر " ووصف على ماهر بأنه " خبيث " وأنه كان يميل للرأسمالية ويريد العودة للحكم القديم وأخذ يسرد كل هذه الأحداث الى أن وصل الى كلمة أنه يعانى كثيرا ويخاف من حماقات بعض الضباط الأحرار واعتبرت أنا بالذات هذا القول تهديدا للإخوان المسلمين فكان ردى عليه : إنك رئيس الوزارة وتستطيع أن تقبض وتحبس وتحاكم ولكن لا داعى للتهديد ونحن فى منزلك أنت طلبتنا للقائك فلا يليق أن تهددنا فى منزلك بحماقات الضباط الأحرار وكان يعنى أنهم يريدون الدخول على بيوت الاخوان المسلمين وتدميرها وتخريبها وقتل من فيها هذا الذى كان يريده ولكنه حاول أن يبرر هذا الكلام بأنه لا يقصد المعنى الذى استقر فى ذهنى ولعل جمال عبد الناصر كان يفكر فى إدخالى السجن مع من أدخلهم رغم علمه بأننى بطبيعتى لا أقر أعمال العنف ولاشئ من هذا القبيل .. هذا هو جمال عبد الناصر ولقد بدأ عبد الناصر فى التنصل من وعوده وكان الكثير من الاخوان يبررون تصرفاته أمام الإخوان حين يقع الشقاق بين الاخوان وعبد الناصر . "

لعبة التطهير !

وبدأ جمال عبد الناصر ينفذ ما وضعه من قواعد اللعبة الخاصة بالتخلص من كل خصومة أو قوى الضغط أو القوى التى يحسب لها حساب فى شعبيتها وتأثيرها وكانت المناورة التى اتبعها عبد الناصر فى 10 سبتمبر طلبت حركة الانقلاب من الاحزاب أن تقدم إخطارات إعادة تكوينها وتطهير نفسها وبالطبع كان جمال عبد الناصر يعرف بحكم اتصاله بهذه الأحزاب ما سيحدث وقد حدث فعلا صدامات داخل هذه الأحزاب ففرقت هذه الأحزاب فى تصفية حساباتها القديمة على حساب استمرارها .

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " لقد اكتشف الأستاذ الهضيبي هذه اللعبة من أول خطوة خطتها .. وقال : إن جمال عبد الناصر سيتخلص من الاحزاب بطلبه أن تطهر نفسها ثم يترك الإخوان المسلمين لأنه أراد أن يتخلص من الأحزاب لينفرد بالإخوان المسلمين دون ان يكون فى البلد أية هيئة أخرى هذا ما توقعه الأستاذ الهضيبي وقاله للذين يحسنون الظن بجمال عبد الناصر لا تفرحوا بحل الاحزاب فالدور آت عليكم وفعلا حصل ما توقعه الأستاذ الهضيبي رحمه الله عليه .. فعندما تخلص عبد الناصر من الاحزاب التفت للإخوان وانقلب عليهم وفعل بهم ما فعل بعد ذلك ولقد أراد جمال عبد الناصر أن تقسم الأحزاب وتنهار وأن تشتم نفسها بنفسها ثم أصدرت قيادة الانقلاب قرارا فى 17 يناير 1953 بحل جميع الأحزاب القديمة كما توقع الأستاذ الهضيبي .

وهنا نورد واقعة ذكرها الأستاذ عبد العظيم رمضان * حيث يقول " ففي صبيحة يوم الحل حضر الى مكتب جمال عبد الناصر - كما يقول بيان مجلس الثورة في هذا الشأن - كل من صلاح شادي ومنير الدلة ودار بينهما وبينه حديث مثير بدأه الإثنان بقولهما : " الآن وبعد حل الأحزاب لم يبق من مؤيد للثورة إلا الإخوان .. ولهذا فإنهم يجب أن يكونوا في وضع يمكنهم من أ، يردوا على كل أسباب التساؤل ! " وقد سألهما عبد الناصر عما هو الوضع المطلوب فأجابا بأنهما يقصدان الاشتراك في الوزارة . فرد عليهما عبد الناصر قائلا " إننا لسنا في محنة وإذا كنتم تعتقدون أن هذا الظرف هو ظرف المطالب وفرض الشروط فأنتم مخطئون " . فاقترحا عليه حلا آخر يشركهم في الحكم من وراء ستار ويقضى بأن تتكون لجنة من هيئة الإخوان تعرض عليها القوانين قبل صدورها للموافقة عليها واعتبر أن هذا الحل " هو سبيلنا لتأييدكم إن أرتم التأييد " .

ولكن جمال عبد الناصر أجابهما بأنه قد سبق أن قال للمرشد " لإننا لن نقبل الوصاية وأنه يكررها اليوم مرة أخرى في عزم وإصرار " . ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " هذه الوقائع التي رواها د . عبد العظيم رمضان رواها من جانب واحد هو مجلس قيادة الثورة وكان لزاما عليه - ككاتب موضوعي - أن يسأل الطرف الآخر ولكنه اكتفى بما حصل عليه من جانب واحد واستقى المعلومات من بيان مجلس قيادة الثورة والبيان عملة ذات وجه واحد والإخوان هم الوجه الآخر للعملة وكان عليه أن يسأل قيادة الإخوان المسلمين عن صحة ما ورد في البيان وعن مدى مطابقته للحقيقة ولكن لم يفعل سوى قراءة بيان مجلس قيادة الثورة وبنى حكمه على هذا الأساس ولا يستطيع قاض أو مؤرخ أن يحكم على الاحداث والأمور إلا بعد سماع كل أطراف المسألة " .

إنشاء هيئة التحرير :

وواصل عبد الناصر خطواته لترسيخ أقدامه في الحكم فعمل على إنشاء هيئة التحرير كتنظيم يعمل على حمايته على المستوى الشعبي وبث فكرة " الثورة " في الجماهير وكان المقصود منها أن تسحب البساط من تحت أقدام جماعة الإخوان والقضاء عليها بعد ذلك فتفقد رد الفعل الجماهيري إزاء الإطاحة بها أما ما يذكره بعض الكتاب من تعبيرات مثل الصراع الاجتماعي الذي أورده الدكتور عبد العظيم في إنشاء هيئة التحرير فيقول الأستاذ التلمساني : " كل تعبيرات والشعارات الشيوعية تأخذ نوعا ولونا من الضخامة الصراع السياسي الدموي وفوارق الطبقات كلها شعارات وألفاظ ضخمة لا حقيقة لها وفيها إضفاء من المؤلف على ما يكتب أما هيئة التحرير فإنها من تدبيرات عبد الناصر الذي كان يريد أن يقاوم بها جماعات الإخوان المسلمين ولكنه عندما أنشأ هيئة التحرير طلب منا أن نضع له قانون إنشاء هذه الهيئة فتولى الأستاذ محمد البهي رحمة الله عليه وضع أسس هذا التنظيم وسلمة لعبد الناصر وكان في رأى بعض الإخوان أن ينضموا الى هذه التشكيلة ولكن الأغلبية الساحقة رفضت أن تنضم الى أي تشكيل آخر غير الإخوان المسلمين."

الخلاف بين المرشد والسندی :

وقع هذا الخلاف بين المرشد الأستاذ الهضيبي وعبد الرحمن السندی رئيس الجهاز السرى عندما رأى المرشد تجاوزات السندی . ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " رأى بعض الإخوان - نتيجة لأخطاء الجهاز السرى وتجاوزاته - أنه لا داعي لوجوده على هذه الصورة ثم أعلن عبد الرحمن السندی خروجه على الجماعة وكنت من الداعين بعدم استمرار هذا الجهاز - لأننى بطبيعتى لا أميل للسرية - وخلافه لم يكن مع الأستاذ الهضيبي وإنما كان مع الامام الشهيد حسن البنا وإن كان الأستاذ صالح العثماوى قد اتخذ موقفا من الأستاذ الهضيبي فإنما مرجع ذلك الى أن تشكيل مكتب الارشاد فى بدء عهد الأستاذ الهضيبي كان أكثره من الحقوقيين والمدنيين ولم يكن فيه أحد من المشايخ أو علماء الدين كما يقولون هذا من أسباب الخلاف وبدأت المنازعات الى أن بلغ الأمر الى أن الفريق الذى كان يناصره الأستاذ صالح العثماوى ذهب الى بيت الأستاذ الهضيبي وقطعوا التليفون وأساءوا اليه وأخرجوه من منزله واحتلوا المركز العام فترة من الوقت وكانت خلافات داخل إطار الإخوان ويحدث مثلها كثيرا فى الهيئات والأحزاب وليست الأمور كما صورها الدكتور عبد العظيم فى السلسلة

التي نشرها في مجلة روزا ليوسف ولم أقرأها ولا أعرف عنها شيئا إلا من بعض الاخوان وكنت أطلب منهم أن يهملوها ولا يعنوا بالرد عليها .

ويضيف الأستاذ التلمساني : " أما ما قاله عبد العظيم رمضان عن ضعف سلطات الأستاذ الهضيبي على الجهاز السرى بعد تعيين " يوسف طلعت " فهذا كلام غير صحيح لأن الأستاذ الهضيبي والاخوان يفهمون أن النظام الخاص لم ينشأ إلا لأغراض معينة فلما شطح الفكر ببعض الشباب وارتكبوا بعض الأحداث لم يرض عنها الاخوان المسلمون .. اراد الأستاذ الهضيبي أن يضيق دائرة التصرفات الفردية والشخصية وأن يحكم السيطرة عليها فكان يوسف طلعت من الذين يستجيبون للأستاذ الهضيبي ولم يحدث بين الأستاذ الهضيبي ويوسف طلعت أى خلاف إطلاقا "

شبهة الاتصال بالانجليز :

ويبدو أن عبد الناصر كان يتمنى أن ينفذ شمل الإخوان في الخلاف الذى وقع خلال عام 1953 ولكن الاخوان استطاعوا أن يتفادوا امتداد تأثيرات الخلاف الى الخارج واستطاعوا توحيد صفوفهم ونبذ العناصر الخارجة فألقى عبد الناصر بورقة أخرى في سبيل خطواته للتخلص من الاخوان المسلمين وكانت الورقة الجديدة التى ألقاها عبد الناصر هي أن تحوم الشبهات حول الإخوان باتصالات لهم مع الإنجليز وإجرائهم مفاوضات سرية من وراء ظهر الحكومة ويقول الأستاذ صالح أبو رقيق في مجلة الدعوة تحت عنوان الحقيقة الكاملة فيما يدور عن الإخوان المسلمين والأسلحة والإنجليز " والحقيقة التى أشهد الله عليها وألقاه بها أن المرحوم الأستاذ حسن العشماوى لم يقابل المستر كروزول " الوزير المفوض البريطانى في مصر في ذلك الحين " لا في في بيته ولا في غير بيته .. أولا : يدعون أن الزيارة المزعومة قد حدثت في العاشر من الليل ولم يقل لنا متى بدأت ؟ والحقيقة التى تبطل كذب القوم ان الأستاذ حسن العشماوى كان معتقلا في السجن الحربى مع الكثيرين من إخوانه بأمر من صديقه جمال عبد الناصر .

والحقيقة أنه كانت هناك اتصالات بين الحكومة والاخوان من ناحية والانجليز من ناحية أخرى بخصوص الجلاء عن البلاد .. وكانت كل هذه المحادثات بالطبع تصل عبد الناصر أولا بأول وذلك بحضور كمال الدين حسين وعندما استشعر جمال عبد الناصر أن الثمرة في سبيلها الى النضوج أراد إخراج الإخوان المسلمين من الصورة فافتعل حادث جامعة القاهرة واتخذ ذريعة لاعتقال مجموعة كبيرة من الاخوان المسلمين وكنا ضمن المعتقلين في السجن الحربى في أول يناير 1954 وأصدر بيانا يتهم الاخوان المسلمين بالاتصال بالانجليز كان لقلب نظام الحكم وقلنا يا للعجب ! .. حسبنا الله ونعم الوكيل أما مسألة الأسلحة فقد أصدرت الحكومة بيانا تتهمنا بمؤامرة وباتصالات كاذبة وبحيازة أسلحة للتآمر في عزبة حسن العشماوى مع أنها أسلحة عبد الناصر نقلناها بطلب منه من مكاتب الثكنات لرفع الحرج عنه ووضعناها في عزبة حسن العشماوى بعلم وبرأى منه " .

ورد الأستاذ حسن التهامي على هذه الوقائع في شهادة للتاريخ * فيما نشر في المقال بشأن اتصال بعض قيادات الإخوان المسلمين بالسفارة البريطانية في القاهرة وذلك عام 1954 فإنه وإن كانت أمور عديدة مثل هذه الأمور في ذلك الوقت لم تكن من مسئوليتى المباشرة أثناء عملى مع عبد الناصر في تلك السنوات كما لم يشأ عبد الناصر منى أن أتدخل في سياسته الداخلية بشأن الإخوان المسلمين بالذات ولعلمة بالنظرة الإيمانية الهادفة التى آليت على نفسى منذ زمن بعيد - قبل الثورة وبعدها - أن أنتهجها خطأ أساسيا في فكرى ومعاملاتى " .

إلا أنه أمام ما نشرته المجلة - روزاليوسف في عددها 2601 في باب حوار الأسبوع تحت عنوان " هذه الحقيقة " صفحة 41 والتوجيه الصريح أن أدلى بفكرى إزاء ما نشرته المجلة فلا يسعنى إلا أن أقول بأننى سمعت عبد الناصر شخصا يتحدث في مبنى قيادة الثورة في الجزيرة عن اتصال بعض الإخوان المسلمين وأن مجموعة قيادية ومن بينهم السيد حسن عشماوى - الذى كان كثير التردد على عبد الناصر وكان الكثير يعرفون عن صلتها ولقاءاتها المتكررة وقد حضرت اليه المجموعة القيادية لتخبره بأن البريطانيين يسعون

للاتصال بالاخوان للتفاهم عن أوضاع داخلية أساسها كما سمعت من حديث عبد الناصر دخول الاخوان المسلمين في محاولة للإمساك بالحكم وأن عبد الناصر قد صرح لهم بإجراء هذه الاتصالات وإبلاغه بما يتم وإحاطته علما بمخطط الإنجليز الذين يهدفون اليه وحسب علمي وما كان يعرفه كثيرون ممن حول عبد الناصر وأبلغ الإخوان عبد الناصر بنتائج هذا الإتصال ... وهكذا شهد شاهد من أهلها بأن الاتصالات لم تكن تجرى في الخفاء ومن وراء ظهر نظام عبد الناصر وإنما كان يعلم بكل ما يجري ولكنه تنكر لذلك مدعيا وملمحا باتصال الإخوان مع جهات أجنبية .

إفتعال أحداث الجامعة :

ويبدو أن جمال عبد الناصر قد عقد النية على افتعال مواقف تكون مبررا وذريعة له لتصفية حركة الاخوان بشكل نهائي ففي 12 يناير 1954 التقى طلاب الجامعة ببعض أعضاء جماعة الإخوان المسلمين وكانت المناسبة الاحتفال بالذكرى السنوية لشهداء الجامعة ثم ظهرت مجموعة من الأشخاص ينتمون الى هيئة التحرير التي شكلها عبد الناصر لمواجهة الاخوان وحدث نوع من الصدام والذي كان واضحا أن المجموعة التي خططت له كانت تهدف لوقوعه .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " لقد أرادت مجموعة من هيئة التحرير افتعال هذا الموقف حتى يحدث الصدام بينها وبين جماعة الاخوان أمام حضور الزعيم الإيراني " نواب صفوى " الحفل فلم يكن مقصودا به استعراض القوة كما يردد بعض الكتاب وإنما دعى هذا الرجل ليحضر هذا الاحتفال في إطار دعم الصلات بين الاخوان المسلمين والشباب الإيراني ولم يكن احد من الإخوان مسنولا عن إثارة هذا التوتر أو الصدام لأنهم كانوا يرتبون لحدوث الصدام بأوامر عليا حتى يجد عبد الناصر ذريعة للتخلص من الاخوان وبأنهم مثيرون للشغب "

ومن نافلة القول أن نقول : إن الإخوان المسلمين قدموا تأييدهم ودعمهم لانقلاب يوليو دون شروط سوى الالتزام بما قطعه عبد الناصر وجماعته على انفسهم - ولا يستطيع احد منهم أن ينكر ذلك - بتطبيق شرع الله في البلاد ولكن ما كان من الواضح أن بريق القوة والسلطان الذي أصاب تشكيل الضباط الأحرار قد جعلهم يتنكرون لهذه العهود وكانت خلافات الإخوان مع أعضاء مجلس قيادة الثورة خلافات في إطار المصلحة العامة ولم تتخذ سبيلا الى الصدام أو العنف ولكن عبد الناصر كان ينوى التخلص من منافسيه في الزعامة الشعبية ولذلك فقد كان مخططه هو التخلص من بقايا العهد القديم ثم التفرغ لمواجهة الحركة التي امتدت الى الحاضر بشكل أقوى رغم المحن التي لاقتها ورغم حملات التشويه والتزييف وكل ما يقال عن فرصة الإخوان المسلمين لوصايتهم أو محاولتهم ذلك على مجلس قيادة الثورة هو اختلاق للمعاذير لما فعلته يد عبد الناصر بعد ذلك ولو كان الاخوان يسعون للسلطة لأقام الأستاذ الهضيبي الدنيا ولم يقدها يوم رفض جمال عبد الناصر الأسماء التي رشحها له .. ولكن شيئا من هذا لم يحدث .

الفصل الثالث عشر

حل الجماعة

استقر في ذهن جمال عبد النصر أن يطيح بجماعة الاخوان المسلمين بدعوى حفظ النظام العام فبعد يوم واحد من الصدام المفتعل لحماية النظام الجديد " هيئة التحرير " داخل أسوار الجامعة القاهرة قرر مجلس الوزراء حل جماعة الاخوان المسلمين بحجة أنها أعلنت نفسها " حزبا سياسيا " وصدر قرار الحل يحمل بنودا أبسط ما يقال عنها أنها جحود ونكران للوقفة التي وقفتها الجماعة مع قادة الانقلاب فقد أنكر هذا القرار تأييد الأستاذ الهضيبي للانقلاب ومناهضة قانون الاصلاح الزراعي بينما لم يفعل الأستاذ الهضيبي سوى إعلان بأن الحد الأقصى للملكية الزراعية يجب أن يكون 500 وليس 200 فدان وفي نفس الوقت فإن البيان قلب الموازين فجعل الثورة هي الحمل الوديع في مواجهه " غول " الإخوان وأنها فعلت الكثير من أجلهم مثل إعادة التحقيق في مقتل الأستاذ البنا والإفراج عن المعتقلين السياسيين "

وإنقاذ " الحكومة الإخوان من التعرض لأحكام قانون الأحزاب السياسية وأن الجماعة أرادت فرض وصايتها على شئون الدولة وأن الإخوان يتسترون خلف ستار الدين لتحقيق أغراضهم واجتماعاتهم مع الإنجليز من خلف ظهر الحكومة ومعارضتهم لأنشاء حزب التحرير وعديد من الأكاذيب والافتراءات وأن الإخوان كانوا يدبرون لقلب نظام الحكم وتم حل الجماعة والقبض على 450 من أعضاء الجماعة . ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " لم يبلغ قرار الحل لجماعة الإخوان المسلمين وإنما ذهبت قوات الشرطة لبيوت المطلوب القبض عليهم و قبضت عليهم ووضعهم في السجون والمعتقلات وفي اليوم التالي صدرت الصحف تنشر هذا الخبر وقالت : إن هؤلاء الأشخاص هم الذين كانوا سيحكمون مصر إذا فشلت حركة الضباط الأحرار لقد كان تصرفا فرديا من جانب جمال عبد الناصر بقبضه على الإخوان ولم أكن من الذين قبض عليهم في يناير ولكن في فبراير قبض على ومعى المرحوم عبد القادر عودة وبعض الإخوان الآخرين عندما رأى رجال الانقلاب أننا لا زلنا على قلب رجل واحد من الذين هم داخل المعتقلات قبض علينا وأفرج عنا بعد شهر عندما حدث خلاف بين رجال وضباط الانقلاب وبين بعض وحدات الجيش وسلاح المهندسين فأفرج عنا جمال عبد الناصر ليظهر للبلاد أنه رجل ديمقراطي ورجل حرية وأنه لا يريد أن يعاقب فلما استتب له الأمر تخلص من نجيب ومن معه وظهرت نواياه الحقيقية وتصرفاته , ولم يكتف جمال عبد الناصر بقرار الحل وإنما ذهب الى أبعد من ذلك فقد وجه صحافة مصر في الوجهة التي يريد بها وجعلها تشن حملات مكثفة من التشويه والتزيف وكان من بين هذه حملات ما نشرته الصحف في 18 يناير 1954 بعنوان " ضبط مدافع وديناميت عند الإخوان ، 219 قنبلة و 15 مدفعا و 10 آلاف طلقة ومحطتين للإذاعة والعتور على مخزن للأسلحة ومواد تنسف مدينة كاملة في عزبة حسن العشماوى ومعها كتاب عن الجرائم السياسية في القرن العشرين .

ويقول الأستاذ التلمساني : " الحقيقة التي يعرفها الكثيرون أن جمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار كانوا يشتركون في تدريب الإخوان على استعمال الأسلحة في النظام السرى من عام 45 - 1947 بقصد تدريبهم على إجادة استخدام الأسلحة لمحاربة اليهود والإنجليز وعندما حدث حريق القاهرة في يناير 1952 كان لدى جمال عبد الناصر وبعض الضباط الأحرار كثير من أسلحة الجيش في بيوتهم بغير حق وعلى صورة يؤاخذون بها عسكريا فلما أحسوا بالخطورة في حريق القاهرة طلبوا من الإخوان أن يساعدهم في إخفاء هذه الأسلحة وفعلا استخدموا سيارات بعض الإخوان في نقل هذه الأسلحة الى عزبة العشماوى باشا ووضع جمال عبد الناصر التصميم للمخابيء التي وضعت فيها الأسلحة وأخفاها فلما وقع الشقاق بين الإخوان والضباط الأحرار في بداية عام 1954 أرسل قوة من المخابرات والمباحث وضبطوها لأنه يعلم تماما بمكان الأسلحة وهو الذى وضعها بيده وصمم المخابيء التي تخفى فيها ثم أعلن أن الإخوان يخفونها وأنها تكفى لنسف القاهرة عشر مرات .. ! "

ويقول ميتشل في كتابه * : " وقد انتشرت على نطاق واسع إشاعة تقول : بأن تلك الأسلحة هي بعينها الأسلحة التي سبق أن خباها أعضاء المجموعة العسكرية قبل الثورة بأنفسهم هناك وأن هذا الإتهام جلب على الحكومة بعض السخرية كما عزز صورة الجماعة المضطهدة .. " .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني : " لما شعر جمال عبد الناصر ببعض التحركات خصوصا سلاح الفرسان وكنا وقتها في الاعتقال وأحس أن " محمد نجيب " غير راض عن بعض الضباط رأى أن مصلحته أن يفرج عن الإخوان المسلمين فأفرج عنهم بالفعل في أواخر مارس وذهب الى منزل الأستاذ الهضيبي معتذرا عما حدث ودعا الإخوان الى طعام العشاء في سلاح الفرسان في الحلمية والإخوان المسلمون دعوة للعشاء هو والضباط الأحرار وبدا الجولة بمصالحة بين الطرفين واعتذار من جمال عبد الناصر عما قام به نحو الإخوان المسلمين ولكنه - على حسب عاداته - كان دائما يستر تصرفاته بخطوات سلمية في البداية تحسبه صافيا ولا يحمل شيئا لأحد، وفجأة يتصرف التصرف الذى لا يليق ولا يصح أن يحدث مع المواطنين في هذا البلد .. " . وقبل ذلك أى قبل الإفراج عن الإخوان وفى يوم 23 فبراير زار جمال عبد الناصر قبر الأمام الشهيد حسن البنا كنوع من إثبات حسن نواياه ولكنه كعادته إنه يقول غير ما يفعل ويفعل غير ما يقول ؟...؟

على حد قول الاستاذ صلاح شادى * : ولقد ظهر الخلاف بين عبد الناصر ومحمد نجيب لدى التنافس بينهما على زيارة قبر الإمام الشهيد حسنا لبنا فى 12 فبراير سنة 1954 ففى هذا اليوم الذى ظهر فيه هذا الخلاف بين محمد نجيب وعبد الناصر كان قرار حل الجماعة قائما ودار الإخوان مغلقة وكنا فى السجن الحربى حينذاك مع المرشد نحو اربعمئة من الاخوان وذلك بخلاف المعتقلين بالسجون الأخرى ويبدو ان محمد نجيب عندما علم برغبة عبد الناصر فى هذه المجاملة ظن أن جمال أراد أن يكسب لنفسه شعبية لدى الاخوان المسلمين ينفرد بها دونه فعزم كذلك على الذهاب الى قبر الشهيد ليشركه فى هذه الشعبية وغضب عبد الناصر غضبا شديدا لأنه أراد أن يستغل وحده دعاية الذهاب الى قبر الشهيد فاستدعى إسماعيل فريد ياور محمد نجيب وسب محمد نجيب ولعنه أمامه وطلب منه أن يبلغ ذلك الى محمد نجيب نفسه محذرا إياه من الذهاب الى مقبرة الشهيد وإلا فإن العاقبة ستكون وخيمة ولذا فعندما سمعنا ونحن فى السجن الحربى سنة 1954 بذهاب عبد الناصر الى قبر الإمام الشهيد أدركت أن وراء ذهابه الى القبر محاولة جديدة منه لتقسيم الاخوان الى فريقين : فريق راض عنه وفريق آخر غاضب عليه لأنهم كما كان يقول عنهم دائما - عصاه - ويزعم أنه ليس معارضا للجماعة ذاتها وإنما هو يعارض أصحاب الأفكار المنحرفة فيها ، العصاه ، - "

الفصل الرابع عشر

أزمة مارس 1954

لكى نطلع على أبعاد الصراع الذى دار على كرسى الحكم فى أزمة مارس 1954 المعروفة فلا بد أن نعود لجذور هذا الصراع والتى بدأت بوادرها باستقالة محمد نجيب من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء والصراع الذى دار داخل مجلس قيادة الثورة بعد ذلك فقبل قيام انقلاب يوليو اتفق بعض قادة الحركة على أن يتصدر الانقلاب ضابط من أصحاب الرتب العالية ويلقى قبول الجماهير واحترامها واتفقوا على اختيار اللواء محمد نجيب ليكون على رأس الانقلاب وقد اتفقت آراؤهم على هذه المسألة فى محاكمة ثورة يوليو * ووافق محمد نجيب على ذلك وتحمل فى شجاعة عواقب ومخاطر هذه المسألة وبعد نجاح الانقلاب استطاع محمد نجيب أن يكسب شعبية كبيرة بين الجماهير بينما كان عبد الناصر يتحرك فى كل الاتجاهات ليقبض بيده على زمام الأمور باعتبار محمد نجيب فى رأيه ورأى زملائه فى مجلس قيادة الثورة مجرد خطوة فى طريقهم وأنه مجرد واجهة يمكن أن تلقى قبولا طيبا لدى الجماهير وقد كان وأثارت هذه الشعبية أحقادا دفينية لدى عبد الناصر وأحس بخطورة وضع محمد نجيب بالنسبة لأهدافه وطموحاته .

وحدث التكتل داخل مجلس قيادة الثورة ضد محمد نجيب مما أدى بالرجل الى تقديم استقالته واحتل نأ استقالة صدر الصفحات الأولى من الصحف المصرية من رئاسة الجمهورية ورئاسة الوزراء وجميع الوظائف التى يشغلها وإن يستمر مجلس قيادة الثورة بقيادة البكباشى جمال عبد الناصر فى تولى كافة سلطاته الحالية مع تعيينه رئيسا لمجلس الوزراء مع بقاء منصب رئيس الجمهورية شاغرا وجاء فى أسباب قبول الاستقالة مطالبة محمد نجيب بسلطة فردية مطلقة ومباشرة سلطته فى تعيينه الوزراء وعزلهم وترقية الضباط وبعد ذلك بأيام فى 26 فبراير قال صلاح سالم " إن إقامة محمد نجيب تحددت فى منزله بالزيتون وإن أعضاء مجلس قيادة الثورة قرروا أن ينسحبوا لمراكزهم فى صفوف الجيش تاركين محمد نجيب بمفرده ليحكم مصر وقد أبلغوا وحدات الجيش بهذا القرار ولكن ضباط الجيش لم يقبلوا هذا الوضع " - وكان واضحا أن عبد الناصر أراد أن يساعدوا بين نجيب والشعب الذى كان يميل لشخص محمد نجيب . وبعد أيام وفى 26 فبراير 1954 عادت الصحف التى هاجمت على صفحاتها محمد نجيب لتعلن عودة محمد نجيب الى رئاسة الجمهورية مرة ثانية .

(عبد القادر عودة القاضى الذى تقرر إعدامه قبل أن يحاكم)

وفى اليوم التالى لعودة محمد نجيب للحكم خرجت الجماهير مؤيدة لمحمد نجيب ومطالبة بالاقلاع عن الظلم - ويقول الأستاذ عمر التلمسانى لقد زحفت الآلاف الى ميدان عابدين وقتذاك تطالب السيد محمد نجيب بالافراج عن المعتقلين وتنحية الباطش ومعاقبة الذين قتلوا المتظاهرين عند كوبرى قصر النيل وتطبيق شرع رب العالمين وأدرك القائمون على الأمر خطورة الموقف وطلبوا من المتظاهرين الثانى أن ينصرفوا ولكن بلا مجيب فاستعان محمد نجيب بالشهيد عبد القادر عودة على تهدئة الموقف متعهدا بإجابة الأمة الى مطالبها ومن شرفة قصر عابدين وقف الشهيد يطلب من الجماهير الثائرة أن تنصرف فى هدوء وقد وعد رئيس الجمهورية بإجابة مطالبها .. فإذا بهذا البحر الزاخر من البشر ينصرف فى دقائق معدودة وبمنطق الحكم الديكتاتورى الذى كان يهيمن على البلد حينذاك كان لا بد أن يصدر قرار فى عبد القادر عودة فإذا كان الشهيد قد استطاع أن يصرف الجموع الحاشدة التى جاءت محتجة تطالب بإطلاق الحريات وإفساح المجال للحياة الدستورية السلمية الأصلية والوفاء بالوعود وتأدية الأمانات .. فهو يمثل خطورة على هذا الحكم الذى كان مفهومة لدى الحاكم أن يضغط على الاجراس فيلبى نداؤه وعلى الازرار فتتحرك الأمة قياما وقعودا .

ومن هنا كانت مظاهرة عابدين هى أول وأخطر حيثيات الحكم على الشهيد عبد القادر عودة بعد ذلك بالاعدام ولذلك لم يكن غريبا أن أعتقل هو والكثيرون من أصحابه فى مساء اليوم نفسه ووقفوا على أرجلهم فى السجن الحربى من الرابعة صباحا حتى السابعة صباحا يضربهم ضباط السجن وعساكره فى وحشية وقسوة شأنهم شأن الذين إذا خلا الميدان أمامهم طلبوا الطعن وحدهم والنزلا.. " وقد علم محمد نجيب بواقعة تعذيب عبد القادر عودة وزملانه وقال فى تصريح للأخبار * " لا يوجد مسئول يوافق على ارتكاب هذا الجرم إن صح ولا بد أن يحاسب مرتكبه بمنتهى الشدة إذا ثبت الاعتداء ولقد جرى التحقيق فور التبليغ عنه وكان بودى لو اتسع وقتى لأحضره بنفسى وهو يسير بسرعة وبكل دقة "

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " لقد وقف عبد القادر عودة الى جانب حركة 23 يوليو 1952 ظنا منه أن رئيسها سيحقق الخير الذى أعلنه على الناس ولكنه لما اكتشف أمامه النوايا وبدأت تظهر الحقائق سلك الطريق الذى ألزم به نفسه فى حياته .. طريق الحق والصدق .. قال له رئيس الجمهورية السابق - جمال عبد الناصر - إنه سيقضى بدوره على الطغاة الظالمين .. وقدم عبد القادر عودة فى تهمة لا صلة له بها ولا علم وحكموا على الشهيد بالاعدام - فى تمثيلية المنشية فيما سياتى من أحداث " .

ثم توالى الأحداث واشتعل الصراع بين محمد نجيب وعبد الناصر وصدر قرار بحل مجلس قيادة الثورة وعودة الأحزاب وأفرج عن الأستاذ حسن الهضيبى وأحمد حسين و200 معتقلا وقرر جمال عبد الناصر كنوع من الدهاء أن يعود للجيش وأن مجلس قيادة الثورة يعلن انتهاءها ثم كانت مظاهرات التأييد المفتعلة التى حركتها هيئة التحرير حامية عبد الناصر وأنه لا بد أن تستمر الثورة وما حدث من إصرار لعمال النقل وخروج المظاهرات وكانت اتحادات النقل تسيطر عليها الحكومة سيطره كاملة وبحركة تمثيلية بارعة واستجابة لرغبة الجماهير أو " الإرادة الشعبية " عاد مجلس قيادة الثورة وألغى كل قراراته السابقة وإلغاء الأحزاب عدا الاخوان المسلمين .. وقد أوضح الأستاذ الهضيبى موقف الجماعة مما حدث قائلا : * " إن الاخوان يريدون أن يكون هناك حياة برلمانية ونحن ساعون فى ذلك وسنجلس مع أولى الأمر لنقول لهم هذا خطأ وهذا صواب فإن الله قد أمر بالشورى " .

**** علاقة نجيب بالاخوان :**

لقد ألمح عبد الناصر واتهم نجيب صراحة بتواطئه مع الاخوان المسلمين وحقيقة علاقة محمد نجيب بالاخوان كما يقول الأستاذ عمر التلمسانى : محمد نجيب كان على علاقة طيبة بالاخوان وكان فى تقديرنا أنه ليس بالشخص الذى يصلح للعمل مع جمال عبد الناصر لأن عبد الناصر يخطط ويبنى منذ زمن طويل .

وكان محمد نجيب رجلا خالص النية تولى قيادة الانقلاب لإصلاح البلاد فكانت علاقتنا به طيبة وحتى علاقته بالنحاس باشا علاقة طيبة .. وعلاقاته أيضا مع كل الناس طيبة وقد قام الأستاذ الهضيبي بواسطة الصلح بينه وبين جمال عبد الناصر لكيلا يحدث صدام في الجيش لا تؤمن عواقبه " .

* مفاوضات الجلاء :

وفي 27 يوليو عام 1954 أعلنت حكومتا مصر وبريطانيا موافقتهما المشتركة على رءوس موضوعات اتفاق كأساس لمعاهدة جديدة لتسوية النزاع وجلاء القوات الإنجليزية وقد أبدى الأستاذ الهضيبي اعتراضه على بعض بنود النقاط الأساسية للإتفاقية .
ويقول الأستاذ التلمساني : لقد اعترض الإخوان كلهم من مكتب إرشاد الى هيئة تأسيسية علىا لمعاهدة ولقد كتبت مذكرة عن هذا الموضوع لأنه ساعنى أن تكون مصر حليفة أو شريكة في حرب إذا حصل اعتداء على إنجلترا نفسها وهذا لا شأن لنا به في مصر فكانت مثل هذه الأمور التي تعرض مصر للخطر لا علاقة لها بها إرضاء لإنجلترا ولقد كان موضوع استنكار منا وعدم قبول فرفضنا ذلك ولم نعارض جلاء الإنجليز وإنما عارضنا البنود التي كانت تذهب بقيمة هذا الجلاء " .

وهكذا يتضح مما سبق التناقضات الواضحة التي كان يعيشها عبد الناصر ونواياه تجاه معارضيه وخصومه والأكاذيب التي ظلت الصحف تنشرها في حملات تمهيدية لحل جماعة الإخوان المسلمين ثم حملات بعد الحل والتي تمثلت في محاولة التأثير على الرأي العام وتحويل اتجاهاته الى تأييد عبد الناصر وكانت كل لقاءات عبد الناصر مع الإخوان تتسم بنوع من الدهاء والحيلة أو ما يسمونه " التكتيك السياسى " فقد كان يتظاهر بالحرص على مطالبهم وتطبيقها بينما كان يضرهم لهم كل سوء ووجد عبد الناصر أن "محمد نجيب " بدأ برفض منطق الواجهة ليكون له دور فعال فة تسيير دفة الأمور فكانت تكتلاته داخل مجلس قيادة الثورة وأحس عبد الناصر بالضغط الشعبى بعد استقاله نجيب والتأييد الجارف له بعد عودته للحكم فعقد النية والعزم أن يتخلص من آخر أقوى الأطراف المواجهة لطموحاته ونواياه وهم : محمد نجيب - والإخوان المسلمون .. وقد كان !!

الباب الرابع - المؤامرة الكبرى

* وجاءت تمثيلية المنشية .

* جرائم وراء الأسوار

* ظهور فكرة التكفير والهجرة .

الفصل الخامس عشر

وجاءت " تمثيلية " المنشية

يوم السادس والعشرين من أكتوبر عام 1954 يوم لا بد أن نقف عنده طويلا ففي ذلك اليوم نشهد فصل الختام في ظهور نوايا عبد الناصر الحقيقية التي طالما حاول أن يظهر عكسها ولكن جمهور الإخوان قيادة وأعضاء كانوا يعلمون النيات المبيتة لدى جمال عبد الناصر تجاه من ناصروه وأيدوه من اللحظة الأولى لقيام الحركة فلم تكن المسألة كما قال الأستاذ عمر التلمساني في فصل سابق ردا على ا لكتابات المغرضه لبعض الكتاب الماركسيين حول صراعات وخلافات ونزاعات الجماعة مع عبد الناصر ونظامه . إن جمال عبد الناصر كان يبيت النية للتخلص من الإخوان بعد أن انفرد بهم بعد تخلصه من الاحزاب القديمة وأنهم - أى الإخوان - كان يعلمون ذلك وانهم كانوا على ثقة بأنه سيفعل ذلك .ز وقد فعل .

ففى هذا اليوم كان قد مر على قيام الحركة 27 شهرا وعلى علاقتهم بالاخوان المسلمين وعلى تأييد الإخوان - أقوى الهيئات والجماعات شعبية فى مصر فى ذلك الوقت ..ولقد جاء فصل الختام الذى لم يكن مسكا سريعا كما توقع الاخوان وسندع الأحداث كشرط مصور تمر أمامأذهاننا وعيوننا لعلنا نفهم أبعاد تلك الأحداث التى جرت فى ساحة ميدان المنشية بالاسكندرية فى السادس والعشرين من أكتوبر 1954 .

فى مساء ذلك اليوم توجه جمال عبد الناصر - وكان رئيسا للوزراء فى ذلك الوقت ليلقى خطابا أمام جمهور كبير من المواطنين فى ساحة الميدان ليعلن اكتمال الكفاح باتفاقية الجلاء ووقعها مع الانجليز قبل أسبوع من الحادث .. ولم تمض ثلاث دقائق حتى انطلقت رصاصات من مسدس يحمله شاب من وسط الجماهير .. ويبدو أن الرصاصات طاشت وكانت ثمانى رصاصات - كما اتضح هذا خلال التحقيق - والغريب أن جمال عبد الناصر أستأنف الحديث غير أبه بالحادث وصاح فى ا لجماهير : فليبق كل منكم فى مكانه .. أيها الرجال فليبق كل منكم فى مكانه .. دمي فداء لكم .. حياتى لكم .. دمي منكم ولكم .. دمي فداء لكم .. أنا لست جبانا .. أنا أقبل الموت من أجل حريتكم .. من أجل عزتكم .. أنا جمال عبد الناصر لا أخشى الموت .. أنا جمال عبد الناصر أتكلم بعد أن حاول المغرضون الاعتداء على وعلى حياتى .. إن حياتى فداء لكم .. دمي فداء لكم .. أيها الرجال .. أيها الأحرار ..إن جمال عبد الناصر ملك لمصر كلها .. وها هو جمال عبد الناصر يتكلم أنا لست جبانا أنا أستقبل الموت سعيدا من أجل حريتكم .. ومن أجل عزتكم ومن أجل كرامتكم واستمر يقول .. أيها الناس ، أيها الأحرار وحتى لو قتلوني فقد وضعت فى نفوسكم العزة فليقتلوني الآن فقد غرست فى ضمير الأمة الحرية والكرامة والعزة من أجل مصر حرة مصر .. سأعيش من أجل مصر وفى سبيل مصر سأموت .. " .

هذا ما أوردته الصحف اليومية * فى اليوم التالى حول وقائع هذاالحادث وتحديث الصحف عن وقائع ما جرى بين عبد الناصر ورفاقه قالت : وزاد فى كهربة الموقف أنه كان فى جيب جاكته جمال الأعلى قلمه الحبر وهو قلم أحمر وفى أثناء جذب جمال وتخلصه من أيدي زملائه انفتح صمام القلم الأحمر وسقط الحبر الأحمر على صدر جمال وظن من حوله أنه جرح وأن هذا دمه وعندما انتهى جمال عبد الناصر من كلمته أقبل زملاؤه عليه يبحثون عن مكان الجرح فقال لهم : إن الذى جرح قلمي الأحمر .

والشئ الغريب أنالصحف اليومية خرجت صباح اليوم التالى دون ذكر شئ عن سلاح الجريمة الذى استخدمه هذاالشاب باستثناء جريدة الاهرام التى قالت : إنه عثر فى المكان الذى يقف فيه الجانى على أربعة أظرف عيار 26 ملليمترا وأنها تختلف عن طلقات المسدس الذى ضبط مع المتهم إذ أن المسدس الذى عثر عليه مع المتهم من نوع " المشط " الذى لا يلفظ إلا ظرف الفارغة .. ثم اختفى ذكر سلاح الجريمة من جميع الصحف المصرية وكأنه " فص ملح وذاب " ونمضى مع رحلة المسدس المختفى ونقرأ هذه القصة اللطيفة !! والتى نشرتها الصحف أيضا حيث نشرت صورة عامل يدعى " خديوى آدم " عامل بناء حضر من الاسكندرية ليحضر الى جمال عبد الناصر المسدس الذى استخدمه المتهم فى جريمته وقالت الصحف * إن عامل البناء كان ضمن الموجودين فى السرداق وسقط على الارض مع الذين سقطوا عقب إطلاق الرصاص وجاءت سقطته على ا لمسدس " وكان لا يزال ساخنا فعرف أنه المسدس المستخدم فى الجريمة وقرر أن يسلمه بنفسه للرئيس عبد الناصر .

ولما لم يكن معه نقود ليستقل وسيلة مواصلات الى القاهرة التي عاد اليها الرئيس فى اليوم التالى للجريمة فإن هذا العامل قرر أن يسافر الى العاصمة سيرا على الأقدام . وبالفعل بدأ رحلته فجر الأربعاء 27 أكتوبر مستخدما قضبان السكة الحديد دليلا له فى المجيء الى القاهرة التي وصلها يوم الاثنين أول نوفمبر وفى خلال الطريق وبسبب أفلاسه الشديد فإنه اضطر لبيع قفطانه ليشتري بثمنه " يأكله وفور وصوله الى القاهرة أتجه الى مقر قيادة الثورة وطلب مقابلة الرئيس عبد الناصر بعد أن كشف للحرس عن المسدس الذى يحمله وبالفعل استقبله عبد الناصر وعندما عرف حكايته وأنه من الأقصر تأثر وعانقه وقال له " يعيش أبناء الأقصر " وأعطاه مكافأة 100 جنيه !!

وذكرت الصحف - فيما يتعلق بالطرف الثانى من أركان الجريمة - أن الشعب قبض على الجانى وفى يده المسدس - هذا ما ذكرته الصحف فى اليوم التالى - كما قبض الشعب على الجناه الذين كانوا معه والجانى اسمه محمود عبد اللطيف وهو سمكرى من إمبابة ومن الاخوان المسلمين وتولت النيابة التحقيق مع المتهم فى السجن الحربى بمعسكر مصطفى كامل وجاءت التحقيقات تقول : إنه يبلغ من العمر 30 سنة ومتزوج من عشر سنوات وله ثلاثة أولاد وعضو فى الاخوان المسلمين منذ 16 سنة وكما ذكرت الصحف فى اليوم التالى للحادث أن المجرم ضبط متلبسا بإطلاق الرصاص فقد هجم عليه العسكرى إبراهيم حسن الحالآتى وهو من بوليس باب شرقى وكان يبعد عن المتهم بأربعة أمتار وفى التحقيق الذى أجرى مع المتهم اعترف أنه اطلق النار ولكنه فى بادى الأمر قال : إنه أطلقه على سبيل الابتهاج باعتبار أنه محارب قديم فى فلسطين ثم عاد واعترف بأنه كان يريد اغتيال جمال عبد الناصر وأنه سبق أن حاول منذ عشرة أيام اغتيال جمال عبد الناصر فى القاهرة أثناء خطابه فى مؤتمر الموظفين بميدان الجمهورية ولكنه لم يستطع تنفيذ محاولته لأنه منع من الدخول ووقف على مسافة بعيدة من مكان الرئيس مما دعاه لتأجيل مؤامرته لفرصة ثانية وعندما سنل من الذى حرضك على هذه المحاولات ؟ قال : إن الجهاز السرى لجماعة الاخوان المسلمين دربه على إحكام إصابة الهدف فى أرض فضاء بمدينة الأوقاف بجهة إمبابة منذ أكثر من شهرين وأنه تسلم من هنداوى دوير رئيس فرع الجهاز السرى بمنطقة إمبابة المسدس الذى استخدمه فى ارتكابه الحادث وكانت محاولة الاغتيال قد جرت مساء الثلاثاء 26 أكتوبر وخلال نفس الليلة تم القبض على ما يقرب من 18 ألف شخص (على حد قول جمال عبد الناصر فى إحدى خطابهات اللاحقة) وذكر أحد الرسميين أن العدد وصل الى 24 ألف شخص خلال ليلة واحدة كما تم ضبط كميات كبيرة من الاسلحة من مختلف الأماكن وبعد أربعة أيام أعلن الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد القومى أن هنداوى دوير المحامى اعترف بمعلومات خطيرة عن الخطة التي وضعها الجهاز السرى لجماعة الاخوان لمحاربة الحكومة وكان محمود عبد اللطيف قد اعترف بأن هنداوى سلمه السلاح لقتل الرئيس وأن قتل عبد الناصر كان بمثابة إشارة يتبعها تنفيذ مخطط لاغتيال أعضاء مجلس قيادة الثورة وقتل 160 ضابطا أو خطفهم .

وبعد يومين من هذا التصريح أعلن تشكيل محكمة أطلق عليها اسم " محكمة الشعب " للنظر فى الأفعال التي تعتبر خيانه للوطن أو ضد سلامته فى الداخل والخارج وشكلت برئاسة قائد الجناح جمال سالم وعضوية القانمقام أنور السادات والبكباشى حسين الشافعى وشكل مكتب ادعاء برئاسة البكباشى زكريا محى الدين كما أعلن تشكيل ثلاث دوائر جديدة لمحكمة الشعب الى جانب الدائرة الرئيسية التي يرأسها جمال سالم وذلك للنظر فى القضايا العديدة التي كشفت لتحقيقات الواسعة والتي أدت الى اعتقال المنات واعترافهم - كما ذكرت الصحف - بسلسلة من المؤامرات الايجابية الخطيرة .

لقد أردنا بهذا العرض السريع لوقائع الحادث أن نرويها كما جاءت حرفيا بالصحف اليومية دون إضافة أو تعديل وقبل ان ننتقل الى ما وقع من أحداث المحاكمات التي جرت بعد ذلك لا بد أن نتوقف قليلا عند هذه الوقائع ونضعها تحت مجهر البحث التحليلى الهادى لما سماه صلاح سالم وزير الارشاد القومى بأبعاد المؤامرة الكبرى وما حفلت به الصحف المصرية .

إن الظروف التي سبقت الحادث لا بد أن تعكس نوعا من الاستنتاج يمكن أن نستشف منه شيئا فقد اهتزت شعبية جمال عبد الناصر بسبب الخلافات داخل مجلس قيادة الثورة وازدياد حدة الخلاف بينه وبين الرئيس محمد نجيب وازدياد شعبية الأخير خاصة بعد انتهاء أزمة مارس 1954 .

ولنسمع شهادة حسن التهامي في " شهادة للتاريخ عن حادث المنشية * يقول " ز. وقد شد انتباهنا أن خبيراً - امريكي الجنسية - في الدعاية والآعلام ومن أشهر خبراء العالم وقتها في الدعاية كان قد حضر الى مصر وكان من مقترحاته غير العادية والتي لم تتمش مع مفهومنا وقت اقتراحها هو " اختلاق محاولة لإطلاق الرصاص على عبد الناصر ونجاته منها فإن هذا الحادث بمنطق العاطفة والشعور الشعبي لتأهيله للحكم الجماهيري العاطفي أكثر من أية حملة دعائية منظمة توصله الى القيادة الشعبية في أقرب الطرق العاطفية . بالنسبة لنا كان مرادفه هذا الحادث لهذه الفكرة وحدوثها بعد الاقتراح بشهور قليلة جدا مثار دهشة كنا قد فسرنا ها وقتها " توادر أفكار عجيب ومصادفة " .

وكان حسن التهامي يرد بهذه الشهادة على دعوة الأستاذ صالح أبو رقيق في عدد سابق من هذه المجلة في باب حوار الأسبوع تحت عنوان " رسالة " صالح أبو رقيق " قال فيها : " .. كما أن هناك شاهداً أحسبه أميناً وأتعشتم أن تقوى الله التي تنزل على قلبه الآن تدعو الى أن يجلى الحقيقة في هذا الحادث " حادث المنشية المشنوم " ويظهر الحق لعباد الله وهي شهادة أطلبه بها أمام الله في الدنيا وبين يديه في الآخرة هو السيد حسن التهامي يقول فقط من أطلق الثمان رصاصات في الهواء الطلق ؟ " .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني .. " لقد سمعنا في تلك الفترة أن جمال عبد الناصر استدعى أحد الخبراء الأمريكيين في الدعاية لوضع خطة يكسب بها تأييد الجماهير وأشار عليه بفكرة اختلاق حادث إطلاق رصاص وهمي أما بالنسبة للمتهم وهو محمود عبد اللطيف " فقد غرر به واستخدم كطعم في هذه التمثيلية الواضحة التي كان هدفها التخلص من جميع معارضي جمال عبد الناصر سواء الإخوان أو محمد نجيب وقد تحقق له ما خطط ورتب له وكان يبيت النية له منذ زمن والإخوان يعلمون مسبقاً بما ينويه عبد الناصر " .

أما شهادة السيد حسين الشافعي عضو مجلس قيادة الثورة في روزاليوسف * فيقول فيها /: الحقائق التي رآها الناس تثبت أن الإخوان المسلمين قد أطلقوا الرصاص على عبد الناصر !! ولو كان المرحوم حسن البنا موجوداً عند قيام الثورة لرحب بها وتم تعاون وثيق بين الثورة والإخوان ولكن قيادة الإخوان - في ذلك الوقت - كانت لها رواية مختلفة لهذا لتعاون كان تصورهم أن الجيش قام بما عليه عندما أراح الملك وانهم الوريث الشرعي للحكم " .

ولعلنا نسأل السيد حسين الشافعي أية حقيقة تلك التي رآها الناس ؟ ولماذا هذه الشهادة المقتضبة حول الحادث ؟ وهل كانت الظروف خلال وقت الحادث وما بعده وطوال فترة حكم الضباط الأحرار تسمح للناس أن يروا الحقائق - التي طالما أضفت عليها حركة يوليو 1952 ستارا من التعقيم الاعلامي على مدى 30 عاماً ؟ ! ثم ما هذا النكران والجحود تجاه حركة الإخوان التي وقفت مؤيدة مشجعة للحركة ودافعة لمزيد من التأييد الشعبي الذي افتقدته حركة الانقلاب في بدايتها ؟ ! وماذا كان يتصور السيد حسين الشافعي صورة هذا التعاون من الإخوان الذين كان الإمام الشهيد لهم معلماً ومرشداً ومربياً ؟ لو امتد الأجل بالامام الشهيد لأيد الانقلاب يوليو بنفس الصورة وليس بصورة التعاون كما رسمها قادة الانقلاب في مخيلتهم لقد كان تعاون الإخوان في عهد الامام الشهيد ينطلق من النصح لرؤساء الحكومات والملك بتطبيق شرع الله المستند على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والإخوان في فترة الأستاذ حسن الهضيبي لم يفكروا أنهم الوريث الشرعي للحكم كما يتصور السيد حسين الشافعي وإنما اقتصرتم المسألة على مطالباتهم وحثهم لجماعة الضباط الأحرار على العمل بشرع الله - فتصور معظمهم أن هذا نوع من الوصاية وفرض أفكار ومبادئ الإخوان ولكنها العقيدة التي طالما نادى بها الإخوان بأن تأخذ مسارها في مصر وأن تحكم مصر بالشرع الالهي الذي لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها . ونعود لأحداث تلك الأمسية من ذلك اليوم - 26 أكتوبر 1954 - ونطرح على بساط البحث هذا التضارب في الوقائع - والتي طبقاً لنصوص القانون أن الشبهات تفسر لصالح المتهم - والمتهم هنا هم جماعة الإخوان المسلمين .

لقد تضاربت روايات الصحف حول المسدس أو سلاح الجريمة الذى استخدم فى محاولة الاغتيال فقالت صحيفة : إن الشعب قبض على الجانى وفى يده المسدس . كما قبض الشعب على الجناة الذين كانوا معه بينما قالت صحف أخرى : إن المجرم ضبط متلبسا بإطلاق الرصاص فقد هجم عليه العسكرى إبراهيم حسن الحالتي وهو من بوليس باب شرق وكان يبعد عنالمتهم بأربعة أمتار .

اختفاء ذكر وجود المسدس فى الصحف المصرية فى ا لأيام التالية للحادث قال حسن العشماوى * فى مذكراته بروزاليوسف مع الصباح علمنا أن ا لذى أطلق النار هو محمود عبد اتلطيف وأنه اعترف بأن محررضه هو هنداوى دوير المحامى بامبابية - وانا أعرف محمود عبد اللطيف منذ معركة قناة السويس عام 1951 وأعلم أنه انضم الى الجهاز السرى أيضا وأعرف مهارته فى إصابة الهدف بالمسدس على نحو غير طبيعى .. ويضيف حسن عشماوى كان يوسف طلعت رئيس الجهاز السرى يؤمن بأن حادث المنشية حادث مفتعل لم يحدث لم يحدث على هذا النحو وإن قام بجانب من أدواره أشخاص فى الجهاز السرى وكان يستمد إيمانه هذا - كما تصورت - من أنه لم يكلف أحدا بالاقدام عليه وأن ا لمرحوم إبراهيم الطيب الذى يليه فى الرياسة لم يأمر به أيضا .. أيضا المسافة بين مطلق النار وموقف عبد الناصر والميل الشديد فى الاتجاه ووقوف المجنى عليه وراء حاجز وذهاب محاولة القتل وحده دون شريك يسنده بمسدس أو قنبلة ثم عدم إصابة الهدف من شخص يعرف مقدرته الفارقة ز وكان يوسف يتساءل دائما عن تفسير لأن يرسل هنداوى دوير شخصا واحدا وهو يستطيع أن يرسل من عنده عشرة أشخاص .. ولأن يرسل مسدسا واحدا بدلا من عدة مسدسات وعدة قتابل .. وقد سمعت بعد ذلك من موظف عاين مكان الحادث رسميا أن ا لحائط المواجه لإطلاق النار ليس به أثر للرصاص وأنه يعتقد أن المسدس الذى سمعت طلقاته كان محشوا بالبارود فقط دون الرصاص .

التوافق الزمنى الغريب بين إطلاق الرصاص وانسكاب القلم الحبر الاحمر على صدر جمال عبد الناصر وما أداه من إلهاب مشاعر الناس الذين رأوا اللون الاحمر على صدر جمال عبد الناصر .. وإصرار عبد الناصر على الكلام وأنه لم يمت - أى انه كان واعيا تماما بما يجرى ولم يتأثر بحالة الزعر الجماعى التى أصابت الجميع فى ساحة ميدان المنشية وربما كان جمال عبد الناصر هو الوحيد الذى كان يعى ماذا يفعل .

أليس غريبا فى مثل هذه الظروف أن تجرى الأمور بعد الحادث بشكل مرتب ودقيق رغم أن هذه المحاولة تشكل حالة من الاضطراب فى كل أجهزة الدولة وقيادة الثورة ولقد قبض على الآلاف من الاخوان وصلوا فى التقديرات ما بين 18 و 24 ألف من الاخوان فى نفس الليلة !! أما تلك القصة المحبوبة والعاطفية عن ذلك العامل الذى جاء على فلنكات "السكة الحديد من الاسكندرية للقاهرة فقد قصد بها كسب المزيد من التعاطف مع عبد الناصر وقصد بها أن يذهب مواطن لعبد الناصر نفسه وليس لأحد أقسام البوليس حتى لا يقال إنه مدفوع من اجهزة الأمن لتدبير موضوع تسليم المسدس وهى قصة من تأليف البوليس على حد قول حسن العشماوى فى مذكراته *

ثم ألم تذكر الصحف اليومية أن المسدس الذى ضبط مع الجانى ظهر بعد ذلك أنه ليس من عيار الرصاص المضبوط حيث ضبط معه مسدس من نوع " المشط " وهو نوع لا يلفظ إلا الأظرف الفارغة !!

ثم هناك واقعة الرداء الواقى من الرصاص والذى يرتديه عبد الناصر فقد قال حسن التهامى فى شهادة للتاريخ .. أما بالنسبة لحادث إطلاق الرصاص على عبد الناصر فى ساحة المنشية بالاسكندرية فلم أكن معه أثناء إلقاء هذه الخطبة كما لم أصحابه فى العديد من مثل تلك المناسبات الخطابية وزياراته للمحافظات وعلمت بنبا إطلاق الرصاص على عبد الناصر وقد كان من بين إجراءات تأمين عبد الناصر وقتها محاولة إقناعه بارتداء قميص واق من الرصاص يرتديه على صدره وكانالقميص قد ورد فعلا من أمريكا قبل الحادث ببضعة اسابيع وكان مودعا عنده فى بيته بمنشية البكرى وأرسلناه إليه فى نفس الليلة فوصله فى الصباح الباكر اعتقادا منا بأن فشل المحاولة الأولى قد

يعقبه تكرار لمحاولة طالما هو مازال بالاسكندرية وعندما رآه فى الصباح وكان معه العديد من الزملاء يهنئونه على نجاته ضحك كعادته وقال “ كل شيء انتهى “ ! يقصد أن المحاولة انتهت ولا داعى للقميص “ .

ولكن هناك شاهد آخر يكذب أقوال حسن التهامى بخصوص القميص الواقى من الرصاص - فى مجلة الدعوة - كتب شوكت التونى المحامى قائلا : قام الانقلاب العسكرى عام 1952 بحجة إصلاح الفاسد من نظام الحكم وإذ بنا نرى منذ يوليو سنة 1953 الى أن انقشعت كل هذه الغمة تسلطا على كل ما هو جميل بدعوا يريقون دم العمال ليخيفوا العمال - نسفوا النظام الحزبى - نسفوا الدستور ... ثم ابتدءوا بمذبحة الإخوان المسلمين سنة 1954 . ز هناك جريمة كانت معدة اعدادا .. وهى جريمة واقعة المنشية كانت معدة اعدادا لكى يطاح بالاخوان المسلمين .. وحين أقول ذلك لا أقوله خيالا ولكن بالواقع فقد حدث أن وكلت وترافعت عن العقيد “ عبد الرحمن مخيون “ وكان مديرا لمكتب عبد الناصر سنة 1961 واتهم بتدبير انقلاب فإذا به يقول لى فى السجن الحربى : أنا الذى أعددت القميص الواقى لعبد الناصر وألبسته له فى مبنى البورصة فى الاسكندرية (قبل الحفل الذى أطلق فيه الرصاص على عبد الناصر ولما تأخر القميص فى الوصول ربع ساعة تأخر الحفل ربع ساعة عن مواعده وهكذا جاءت الرصاصة المزعومة فى قلب عبد الناصر فلماذا لم يمت ؟ لأنها كانت مدبرة - قميص واق تنشين مضبوط فلا يموت عبد الناصر !!

ان تمثيلية المنشية قد أحسن أداؤها من جمال عبد الناصر ومن حوله بعد أن وصل ترمومتر علاقته بالشعب الى درجة الصفرة قبل هذا الحادث المرسوم وما جرى بعد ذلك من حملات شنها عبد الناصر على الاخوان واستغلاله لنقابات العمال التى كانت الحكومة تسيطر عليها سيطرة كاملة وأثار هذه الحملات فى تضليل أبناء الشعب المصرى لدرجة أوصلتهم لاضرام النيران فى المركز العام للإخوان المسلمين والمقار المختلفة فى شتى أنحاء البلاد .

**** أغرب محاكمات فى التاريخ :**

الى جانب السرعة الغريبة فى تشكيل ما أطلق عليه “ محكمة الشعب “ فإن ما دار فيها وما وصلت اليه من أحكام لا يمت للقضاء أو القانون ولا يمت أيضا بالعدالة بأدنى صلة .. تشكلت المحكمة فى أول نوفمبر عام 1954 أى بعد أسبوع واحد فقط من حادث المنشية برياسة قائد الجناح جمال سالم وعضوية القانمقام حسين الشافعى والبكباشى أنور السادات ومكتب ادعاء برياسة البكباشى زكريا محى الدين .

أما المحاكمة فقد بدأت فى الحادية عشرة من صباح الثلاثاء 9 نوفمبر أى بعد أسبوعين من الحادث وفوى لجلسة الاولى التى خصصت لمحاكمة محمود عبد اللطيف وأقر فيها بأنه مذنب كان هناك موقف غريب للغاية .. فقد سألت المحكمة محمود عبد اللطيف عن المحامى الذى يحب أن تنتدبه المحكمة فذكر أسماء [3 محامين] طلب الى رئيس المحكمة جمال سالم أن يدافع عنه واحد منهم وكانوا: محمود سليمان غنام وفتحى سلامة ومكرم عبيد وفجأة جمال سالم قائلا : وإذا رفضوا ؟ ! قال محمود عبد اللطيف تنتدب لى المحكمة أى محام ثان .

وبالفعل كما رسم جمال سالم فقد رفض المحامون الثلاثة الدفاع عن محمود عبد اللطيف - وكانت كل تهمة محاولة شروع فى قتل - وقال أحدهم زهز محمود سليمان غنام لمندوب جريدة الأخبار “ لا أوافق إطلاقا على الدفاع عنه لأنى أستنكر كل الاستنكار هذه الجريمة البشعة !! وقال المحامى الثانى وهو فتحى سلامة : أرفض الدفاع عن هذا المتهم لأنى محام ولى شعور وطنى ولأنى أحتقر هذا لمجرم وقال مكرم عبيد لا أستطيع أن أدافع عن من يعتدى على جمال عبد الناصر .. مستحيل .. مستحيل !!

أية مهزلة كانت تجرى .. إن عتاة المجرمين يجدون من يدافعون عنهم وربما يجدون لهم الأعذار التى قد تؤدى لتبرئتهم مثل الخلل العقلى والدفاع عن الشرف والدفاع عن النفس والاضطراب النفسى وغيرها من الاسباب التى قد تؤدى لتخفيف الأحكام أو تبرئة المتهم ولكن أن

يرفض ثلاثة من المحامين الدفاع عن متهم كل تهمته الشروع فى قتل - إذا كان ذلك صحيحا - فهذه أولى مهازل محاكمة نظام عبد الناصر للإخوان المسلمين .

وتوالى المهازل - ويقول الأستاذ عمر التلمسانى (إن المحكمة التى أمر عبد الناصر بتشكيلها لم تكن محكمة . زل قد كانت وسيلة للوصول الى أحكام بالقتل والسجن والمحامون لم يكونوا يقدرّون أن يؤدّوا زاجيهم كما يجب أمام هذه المحكمة والمتهمون ظنّوا أنهم أمام محكمة حقيقية وأرادوا أن يعدّلوا عن اعترافاتهم الكاذبة التى أخذت منهم تحت ضغط التهديد والتعذيب فكان جمال سالم رحمه الله يرفع الجلسة ويطلب من السجين أن يعدّل عن اعترافاته فيؤخذ المتهم ليضرب مرة أخرى ليعود فيقر أن اعترافاته الأولى كانت صحيحة وفعلًا حصل أن جمال سالم طلب من المرحوم الدكتور خميس حميدة أن يقرأ الفاتحة بالمقلوب وباعتبار أن سورة " آل عمران " كانت نازلة فى إحدى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم فما كان جمال سالم يعرف أن اسمها " آل عمران " فكان يقول للمتهمين اقرءوا سورة " العنبر " وما كان يعرف الاسم الصحيح لنطقها !!

ويضيف الأستاذ عمر التلمسانى : لقد كان الضباط فى أجهزة الأمن والسجون يجمعون معلومات من هنا وهناك ثم يطلبون من الأخ المعتقل أن يكتبها بخط يده ويعترف بأنه ارتكب أفعالا معينة فمن رفض كان يعذب حتى الموت فقد مات كثيرون بل عشرات من الإخوان من التعذيب للاعتراف بمسائل لا يعلمون عنها شيئا ولا دراية لهم بها .. حقا لقد حصل تعذيب فى الحصول على الاعترافات بالغ الشناعة والبشاعة فيما يختص بالإخوان البعض استجاب والبعض الآخر لا يدرى شيئا ولا يعلم شيئا فمات من التعذيب " .

.. وامتد التخطيط المرسوم بدقة ليكمل الصورة فى الجلسات الأولى للمحكمة الصورية ورد اسم - أو أريد لاسم محمد نجيب أن يرد - فى خلال مناقشة المحكمة لأقوال هندائى دوير المحامى وأن هناك اتفاقا تم بين محمد نجيب والإخوان أن يقوم محمد نجيب بمسايرة الإخوان بعد اغتيال الرئيس عبد الناصر وأعضاء مجلس قيادة الثورة وفى نفس اليوم وفى نفس اليوم أطاح عبد الناصر بآخر وجه كان ينافس الشعبية الجماهيرية وصدر قرار مجلس قيادة الثورة بتنحية محمد نجيب من رئاسة الجمهورية وإبعاده من مجلس قيادة الثورة لينفرد عبد الناصر بحكم البلاد دون منافس أو معارض واحد !!

أما ما دار فى " كواليس " هذه المهزلة التى سميت محاكمة فهناك الكثير كانت أسئلة المحامين تستهدف إدانة المتهمين وليس الدفاع عنهم وأيجاد الثغرات والظروف المخففة لهم وجه جمال سالم من ألفاظ السباب ما يعف اللسان عن ذكره وكان يكره بعض المتهمين على الاعتراف بالتهديد ولم يكن يسمح لمتهم أن يلتقى بمتهم آخر وكان يسمح للجمهور الذى يحضر المحاكمات أن يشارك المحكمة فى ممارسة السخرية والاستهزاء بالمتهمين .

أما صحافة تلك الفترة فكانت صحافة موجهة مزيفة للحقائق فقد أفاضت فى ذكر الاتهامات وإصاقها بقيادات وأعضاء الإخوان وتبارت فيما بينها فى توجيه أفضع السباب والشتائم لجماعة الإخوان ولم تنشر سطرا واحدا من محاورات الدفاع وإنما كانت كل مساحتها مخصصة للإدعاء - والقول بأن محاولة اغتيال عبد الناصر كانت جزءا من مخطط شامل أو مؤامرة كبرى للإطاحة بنظام الحكم والقضاء على " الثورة " .

ثم صدرت الأحكام فى الرابع من ديسمبر بعد أن عقدت 19 جلسة لمحاكمة 19 متهم منتهت 7 جلسات لمحاكمة المتهم الأول محمود عبد اللطيف !! .. وعند النطق بالأحكام كان المتهم يحضر وحده ليسمع الحكم عليه ويصحبه الحراس لخارج المحكمة وكانت الأحكام تقضى بإعدام 8 هم : محمود عبد اللطيف - حسن الهضيبي - يوسف طلعت - إبراهيم الطيب - هندائى دوير - محمد فرغلى - عبد القادر عودة - والاشغال الشاقة المؤبدّة لسبعة هم : خميس حميدة ، حسين كمال الدين ، محمد كمال خليفة ، منير الدلة ، صالح أبو رقيق ، حامد أبو النصر ، أحمد عبد العزيز عطية ، والسجن 15 عاما لأحمد شريت ، عمر التلمسانى وبراعة عبد الرحمن البنا والبهى الخولى وعبد المعز عبد الستار .

وبنفس السرعة التي تمت بها المحاكمة (26) يوما تم التصديق على الاحكام بعد صدورها بخمس عشرة دقيقة فقط ؟ !! فيما عدا حكم الاعدام للأستاذ الهضيبي فقد حففت للأشغال الشاقة المؤبدة وبنفس السرعة أيضا تم تنفيذ أحكام الاعدام وصعدت أرواح الشهداء الى بارئها .. وقال الشهيد عبد القادر عودة في الدقائق الأخيرة من حياته : الحمد لله الذى أمانتى شهيدا وإنه لقادر على أن يجعل دمي لعنة تحقيق برجال الثورة .

والغريب على حد قول الأستاذ عمر التلمساني * : أن حاكم ذلك العهد جمال عبد الناصر لما رفعت اليه تقارير جواسيسه بأثر ذلك الاغتيال قال فى حديث نشرته الصحف ما معناه : عجبت لأمر هذا الشعب لا يرضى بالجريمة ولكن إذا عوقب المجرم ثار عطفه على المجرمين . " وهكذا أسدل الستار على العلاقة بين جماعة الاخوان المسلمين والضباط الأحرار وكذلك الوجود الفعلى والشرعى للجماعة وكذلك أى نشاط دينى من أى مستوى داخل مصر وبدأت أجهزة القمع والتعذيب داخل وخارج سجون ومعتقلات عبد الناصر فى تنفيذ مهامها الوحشية بتعليمات واضحة من جمال عبد الناصر وليس من وراء ظهره كما يدعى بعض المدافعين عن عبد الناصر وسواء كان يعلم - وهذا أغلب الظن - أو لا يعلم فتلك مصيبة .. فقد تخلص عبد الناصر من كل معارضيه قبل أن تمضى السنة الرابعة من قيام انقلاب يوليو تخلص من الاحزاب القديمة وتخلص من محمد نجيب والاخوان المسلمين فى ضربة واحدة مزدوجة رسم لها خطة دقيقة لينفرد بحكم البلاد وحده أما من عارضه من الضباط الأحرار فقد أقصاه عبد الناصر ولتصبح مصر فريسة فى يد حكم فرد واحد وكانت مأساة الشعب المصرى على مدى 18 عاما مع حكم الفرد .

الفصل السادس عشر

جرائم وراء الأسوار

إن ماتعرض له الاخوان المسلمون - دون غيرهم من الفئات سواء من عتاه المجرمين أو الشيوعيين أو حتى المعتقلين اليهود - كان أقصى ما يتعرض له البشر من ألوان التعذيب وكان تعذيبهم موجهالى كرامة الإنسان وجسده وعقله ونفسه وأهله وروحه فى النهاية وعادن محاكم التفتيش تطل برأسها فى سجون ومعتقلات عبد الناصر ولكن بصورة أكثر تطورا وحادثة ومهما قيل عن إنجازات "أو مكاسب لانقلاب 23 يوليو 1952 أو لجمال عبد الناصر فهى لا قيمة لها مع هدم الانسان المصرى داخل وخارج السجون . ويقول الأستاذ عمر التلمساني " لو سئلت ما هى إنجازات عبد الناصر لقلت لا شىء سوى انتهاك الحرمات وهتك الاعراض وهدم الانسان والقتل وسفك الدماء إننى فى اليوم الأول لدخول السجن لتنفيذ الحكم بالسجن 15 سنة دخلت السجن الحربى وأخذونى الى غرفة رقم 42 فى عنبر رقم "4" وقيدونى بالحبال - يدي ورجلي وظهري - ورفعونى الى سقف الحجرة وانهالوا على بالسياط وبعد ذلك - إقرارا بالحق - لم يعتد على أحد بعد ذلك الحادث أما الإخوان فكان تعذيبهم يجرى ليل نهار وكان صراخهم وتوجعهم يحطم أعصاب الإخوة الموجودين داخل السجن وبلغت قسوة التعذيب أنهم - أى أساطين التعذيب كانوا يجلسون الاخوان على مناشير من الخشب وإذا حققوا معهم معهم وهم عراة والمحققون كانوا من ضباط الجيش أو المخابرات جالسين على مكاتبهم يدخنون السجائر وغير السجائر وإذا ما حلا لأحدهم أن يطفىء سيجارة قام من على كرسيه وأطفأها فى أمكنة حساسة من جسم الأخ الواقف أمامه ذلك غير الضرب المبرح الذى ينتهى بأنه إذا أعادوه الى زنزانه بعد الضرب لم يجدوا فى جسمه مكانا يمسون به فكانوا يضعونه فى بطاطين ثم يحملونها ويلقونها بما فيها فى الزنزانة كانت آلام ووحشية فى التعذيب وكفى أن محاكم الجنايات قالت : إن ما حدث فى ذلك العهد لم يحدث فى التاريخ مثله على طول الزمن !!

أما من يقول : إن عبد الناصر كان لا يدري بتلك الوسائل الوحشية فى المعتقلات فمردود عليه بأن ذلك غير صحيح بالمرّة لأنه كانت تؤخذ أعمال صوتية ومرئية لما يجرى فى السجن الحربى من تعذيب وكانت تعرض على جمال عبد الناصر فى منزله فى سهراته مع بعض الضباط .. لقد كان يعلم تمام العلم والجميع الذين اعتقلوا يعلمون ماذا كان يفعل حمزة البسيونى رئيس السجن الحربى وكان رجلا أجوف

يتظاهر بالقوة والعظمة وهو أجبن من النعامة وأيضاً صلاح نصر ورياض إبراهيم وشمس بدران وصفوت الروبى و " سمبو " وآخرون كثيرون من أساطين الوحشية والتعذيب أما صلاح نصر الذى كتب كتاباً اسمه " الحرب النفسية " وكان كل ما ذكره كان هو يفعله لأنه كان رأس كل هذه المذابح الخسيسة وانتهى فى كتابه الى أن أصحاب المبادئ والعقائد لا يزيدهم التعذيب أو التنكيل إلا تمسكاً بمبادئهم أو عقيدتهم ولقد استمرت صور التعذيب لفترات بينما عذبنا نفسياً مثل الحرمان من زيارات الأهالى أو إرسال أشياء من بيوتنا إلينا واستمر ذلك سنين طويلة وكانت إذا جاءت بعض الأشياء من بيوتنا فى المناسبات الدينية يحجبها السجانون لأسابيع حتى تتلف ويعيدوها مرة أخرى للأهالى "

مذبحة لومان طرة

فى أول شهر يونيو عام 1957 وقعت هذه الجريمة البشعة والتى شهدتها زنازين ليमान طره وجرت وقائع هذه الجريمة بعد تدهور العلاقات بين مصر وسوريا وقال عبد الناصر : إن الإخوان المسلمين فى سوريا لهم دخل فى هذا وكانت يده لا تصل الى الإخوان فى سوريا فصب جام غضبه على الإخوان فى مصر وطلب من الضباط أن يضايقوا الإخوان أشد المضايقات داخل السجون وحدث أنه فى يوم من الايام دخل أحد الضباط العنبر الذى يوجد به الإخوان وحاول إدخالهم الزنازين فى وقت الفسحة فانتزع منه بعض الإخوان مسدسه وأدخلوه فى زنزانه من الزنازين فثارت ثائرة القائمين على السجن ووجدوا أنها الفرصة الملائمة فاستدعوا فرق المتطوعين فى الجيش بأسلحتهم ووقفوا على سطح العنبر وأخذوا يطلقون النار على من فيه ثم دخلوا الى الزنازين فقتلوا 22 فى تلك الجريمة البشعة وانتهى الأمر بحفظ التحقيق فى هذه القضية وقالوا : إنها ثورة فى سجن وانتهت المسألة .

وثيقة تصفية الإخوان :

فى الحكم الصادر من محكمة جنوب القاهرة الدائرة التاسعة المدنية يوم 30 مارس 1975 أصدرت حكماً فى إحدى قضايا التعذيب ورد فى حيثيات ودفاع المستشار على جريشة هذه الوثيقة ويقول نص الوثيقة * التى نشرها الشيخ محمد الغزالى : بناء على أمر السيد رئيس الجمهورية بتشكيل لجنة عليا لدراسة واستعراض الوسائل التى تم الوصول اليها بخصوص مكافحة جماعة الإخوان المسلمين المنحلة ولوضع برنامج لأفضل الطرق التى يجب استعمالها فى قسمة مكافحة الإخوان بالمخابرات والمباحث العامة لبلوغ هدفين :

- 1- غسل مخ الإخوان من أفكارهم
- 2 - منع عدوى أفكارهم من الانتقال لغيرهم

اجتمعت اللجنة المشكلة من

- 1- سيادة رئيس مجلس الوزراء
 - 2- السيد / قائد المخابرات
 - 3- السيد/ قائد المباحث الجنائية العسكرية
 - 4- السيد / مدير المباحث العامة
 - 5 - لسيد / مدير مكتب السيد / المشير
- وذلك كله فى مبنى المخابرات العامة بكوبرى القبة وعقدت عشرة اجتماعات متتالية وبعد دراسة كل التقارير والبيانات والاحصائيات السابقة أمكن تلخيص المعلومات المجتمعة فى الآتى :

1 - تبين أن تدريس التاريخ الاسلامى فى المدارس للنشء بحالته القديمة يربط السياسة بالدين فى لا شعور كثير من التلاميذ منذ الصغر ويسهل تتابع ظهور معتنقى الأفكار الإخوانية .

2- صعوبة واستحالة التمييز بين أصحاب الميول والنزعات الدينية وبين معتنقى الأفكار الإخوانية وسهولة فجائية تحول الفئة الأولى الى الثانية بتطرف أكبر .

3- غالبية أفراد الإخوان عاش على وهم الطهارة ولم يمارس الحياة الاجتماعية الحديثة ويمكن اعتبارهم من هذه الناحية " خام " .

4 - غالبيتهم ذوو و طاقة فكرية وقدرة تحمل ومثابرة كبيرة على العمل وقد أدى ذلك الى اطراد دائم ولملموس فى تفوقهم فى المجالات العلمية والعملية التى يعيشون فيها وفى مستواهم العلمى والفكرى والاجتماعى بالنسبة لأندادهم رغم أن جزءا غير بسيط من وقتهم موجه لنشاطهم الخاص بدعوتهم المشنومة .

5 - هناك انعكاسات ايجابية كبيرة تظهر عند تحرك كل منهم للعمل فى المحيط الذى يقتنع به .

6 - تداخلهم فى بعض ودوام اتصالاتهم الفردى ببعض وتزاورهم والتعارف بين بعضهم البعض يودى الى ثقة كل منهم فى الآخر ثقة كبيرة .

7 - هناك توافق روحى وتقارب فكرى وسلوكى يجمع بينهم فى كل مكان حتى ولو لم تكن هناك صلة بينهم .

8 - رغم كل المحاولات التى بذلت منذ سنة 1939 لفهام العامة والخاصة بأنهم يتسترون خلف الدين لبلوغ أهداف سياسية إلا أن احتكاكهم الفردى بالشعب يودى الى محو هذه الفكرة عنهم رغم أنها بقيت بالنسبة لبعض زعمانهم .

9 - تزعمهم حروب العصابات فى فلسطين سنة 1948 والقتال 1951 رسب فى افكار الناس صورهم كأصحاب بطولات وطنية عملية وليست دعائية فقط بجوار أن الاطماع الاسرائيلية والاستعمارية الشيوعية فى المنطقة لا تخفى أغراضها فى القضاء عليهم .

10- نفورهم من كل من يعادى فكرتهم جعلهم لا يرتبطون بأى سياسة خارجية سواء عربية أو شيوعية أو استعمارية وهذا يوحى لمن ينظر لماضيهم بأنهم ليسوا عملاء وبناء على ذلك رأت اللجنة أنالأسلوب الجديد فى المكافحة يجب أن يشمل أساسا بندين متداخلين وهما :

1 - محو فكرة ارتباط السياسة بالدين الاسلامى

2 - إبادة تدريجية بطينة مادية ومعنوية وفكرية للجيل القائم فعلا والموجود من معتنقى الفكرة ويمكن تلخيص أسس الأسلوب الذى يجب استخدامه لبلوغ هذين الهدفين فى الآتى :

أولا - سياسة وقائية عامة :

1- تغيير مناهج تدريس التاريخ الاسلامى والدين فى المدارس وربطها بالمعتقدات الاشتراكية كأوضاع إجتماعية وإقتصادية وليست سياسية مع إبراز مفاصد الخلافة وخاصة من العثمانيين وتقدم الغرب السريع عقب هزيمة الكنيسة وإقصائها عن السياسة .

2 - التحرى الدقيق عن رسائل وكتب ونشرات ومقالات الاخوان فى كل مكان ثم مصادرتها وإعدامها .

3 - يحرم بتاتا قبول ذوى الاخوان وأقربانهم حتى الدرجة الثالثة من القرابة من الانخراط فى السلك العسكرى أو البوليس أو السياسة مع سرعة عزل الموجودين من هؤلاء الأقرباء من هذه الأماكن أو نقلهم الى أماكن فى حالة ثبوت ولائهم .

4 - مضاعفة الجهود المبذولة فى سياسة العمل الدائم على فقدان الثقة بينهم وتحطيم وحدتهم بشتى الوسائل وخاصة عن طريق إكراه البعض على كتابة تقارير عن زملانهم بخطهم ثم مواجهة الآخرين بها مع العمل على منع كل من الطرفين من لقاء الآخر أطول فترة ممكنة لتزيد شقة انعدام الثقة بينهم .

5 - بعد دراسة عميقة لموضوع المتدينين من غير الاخوان وهم الذين يمثلون الاحتياطى لهم وجد أن هناك حتمية طبيعية وعملية لالتقاء الصنفين فى المدى الطويل ووجد أن الأفضل أن يبدأ بتوحيد معاملتهم بمعاملة الإخوان قبل أن يفاجئونا كالعادة باتحادهم معهم علينا .

ومع افتراض احتمال كبير لوجود أبرياء كثيرين منهم إلا أن التضحية بهم خير من التضحية بالثورة فى يوم علىأيديهم ولصعوبة واستحالة التمييز بين الاخوان المتدينين بوجه عام فلا بد من وضع الجميع ضمن فئة واحدة ومراعاة ما يلى معهم :

- (أ) تضيق فرص العمل والظهور أمام المتدينين عموما في المجالات العلمية والعملية
- (ب) محاسبتهم بشدة وباستمرار في أى لقاء فردى أو زيارات أو اجتماعات تحدث بينهم .
- (ج) عزل المتدينين عموما عن أى تنظيم أو اتحاد شعبى أو حكومى أو اجتماعى أو طلابى أو عمالى أو اعلامى .
- (د) التوقف عن السياسة السابقة فى السماح لأى متدين بالسفر للخارج للدراسة أو العمل حيث فشلت هذه السياسة فى تطوير معتقداتهم وسلوكهم وعدد بسيط جدا هو الذى تجاوب مع الحياة الأوروبية فى البلاد التى سافروا اليها أما غالبيتهم فإن من هبط منهم فى مكان ما بدأ ينظم فيه الاتصالات والصلوات الجماعية أو المحاضرات لنشر أفكارهم .
- (و) التوقف عن سياسة استعمال المتدينين فى حرب الشيوعيين واستعمال الشيوعيين فى حربهم بغرض القضاء على الفئتين حيث ثبت تفوق المتدينين فى هذا المجال ولذلك يجب أن تعطى الفرص للشيوعيين لحربهم وحرب أفكارهم ومعتقداتهم ومع حرمان المتدينين من الأماكن الإعلامية .
- 6 - تشويش الفكرة الموجودة عن الاخوان فى حرب فلسطين والقنال وتكرار النشر بالتلميح والتصريح عن اتصال الانجليز بالهضبيى وقيادة الاخوان حتى يمكن غرس فكرة أنهم عملاء للإستعمار فى ذهن الجميع .
- 7- الاستمرار فى سياسة محاولة الايقاع بين الاخوان المقيمين فى الخارج وبين الحكومات العربية المختلفة وخاصة فى الدول الرجعية الاسلامية المرتبطة بالغرب وذلك بأن يروج عنهم فى تلك الدول أنهم عناصر مخربة ومعادية لهم بأنهم يضرون بمصالحها وبذلك تسهل عملية محاصرتهم فى الخارج .
- ثانيا : سياسة استئصال (السرطان) الموجود الآن .
- بالنسبة للإخوان الذين اعتقلوا أو سجنوا فى أى عهد من العهود ويعتبرون جميعا قد تمكنت منهم الفكرة كما يتمكن السرطان من الجسم ولا يرجى شفاؤه ولذا تجرى عملية استئصالهم كالآتى :

المرحلة الأولى :

إدخالهم فى سلسلة متصلة من المتاعب تبدأ بالاستيلاء أو وضع الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم ويتبع ذلك فى اعتقالهم . وأثناء الاعتقال يستعمل معهم أشد أنواع الإهانة والعنف والتعذيب على مستوى فردى ودورى حتى يصيب الجميع ثم يعاد وهكذا وفى نفس الوقت لا يتوقف التكدير على المستوى الجماعى بل يكون ملازما للتأديب الفردى وهذه المرحلة إن نفذت بدقة ستؤدى الى ما يأتى :

بالنسبة للمعتقلين : إهتزاز المثل والأفكار فى عقولهم وانتشار الاضطرابات العصبية والنفسية والعاهات والأمراض بينهم بالنسبة لنسائهم : سواء كن زوجات أو أخوات أو بنات فسوف يتحررن ويتمردن بغياب عائلهم وحاجتهن المادية قد تؤدى الى انزلاقهن بالنسبة للأولاد تضطر العائلات لغياب العائل وحاجتهم المادية الى توقيف الأبناء عن الدراسة وتوجيههم للحرف والمهن وبذلك يخلو جيل الموجهين المتعلم القادم ممن فى نفوسهم حقد وثأر أو آثار من أفكار آبائهم .

المرحلة الثانية :

إعدام كل من ينظر اليه كداعية ومن تظهر عليه الصلابة سواء داخل السجون أو المعتقلات أو بالمحاكمات ثم الافراج عن الباقي على دفعات مع عمل الدعاية اللازمة لانتشار أبناء العفو عنهم حتى يكون ذلك سلاحا يمكن استعماله ضدهم من جديد فى حالة الرغبة فى العودة الى اعتقالهم حيث يتهمون بأى تدبير ويوصفون حين ذلك بالجحود المتكرر لفضل العفو عنهم .

وهذه المرحلة إن أحسن تنفيذها باشتراكها مع المرحلة السابقة ستكون النتائج كما يلى :

1 - يخرج المعفو عنهم الى الحياة فإن كان طالبا فقد تأخر عن أقرانه ويمكن أن يفصل من دراسته ويحرم من متابعة تعليمه .

- 2- إن كان موظفا أو عا ملا فقد تقدمه زملاؤه وترقوا وهو قابع مكانه ويمكن أيضا أن يحرم من العودة الى وظيفته أو عمله .
 - 3 - إن كانتا جارا فقد أفلس تجارته ويمكن أن يحرم من مزاوله تجارته
 - 4 - إن كان مزارعا فلن يجد أرضا يزرعها حيث وضعت تحت الحراسة أو صدر بها قرار استيلاء .
- وسوف تشترك جميع الفئات المعفو عنها فى الأتى :
- 1 - الضعف الجسمانى والصحة والسعى المستمر خلف العلاج والشعور المستمر بالضعف المانع من أية مقاومة .
 - 2 - الشعور العميق بالنكبات التى جرتها عليهم دعوة الإخوان وكراهية الفكرة والنقمة عليها .
 - 3 - عدم ثقة كل منهم فى الآخر وهى نقطة لها أهميتها فى انعزالهم عن المجتمع وانطوائهم على أنفسهم .
 - 4 - خروجهم بعائلاتهم من مستوى اجتماعى الى مستوى أقل نتيجة لعوامل الفقر التى أحيطت بهم .
 - 5 - تمرد نسايتهم على تقاليدهم وفى هذا إذلال فكرى ومعنوى لكون النساء فى بيوتهن سلوكهن يخالف أفكارهم وتبعاً للضعف الجسمانى لا يمكنهم الاعتراض .

- 6 - كثرة الديون عليهم نتيجة لتوقف إيراداتهم واستمرار مصروفات عائلاتهم والنتائج الايجابية لهذه الساسة هى :
- 1- الضباط والجنود الذين يقيمون بتنفيذ هذه السياسة سواء من الجيش أو البوليس سيعتبرون فئة جديدة أرتبط مصيرها بمصير هذا الحكم القائم حيث عقب التنفيذ سيشعر كل منهم أنه فى حاجة الى هذا الحكم ليحميه من أى عمل انتقامى قد يقوم به الاخوان كثار
- 2- إثارة الرعب فى نفس كل من تسول له نفسه القيام بمعارضة فكرية للحكم القائم
- 3- وجود الشعور الدائم بأن المخابرات تشعر بكل صغيرة وكبيرة وأن المعارضين لن يتستروا وسيكون مصيرهم أسوأ مصير ز
- 4 - محو فكرة ارتباط السياسة بالدين انتهى ويعرض على السيد الرئيس جمال عبد الناصر

إمضاء - السيد رئيس الوزراء

إمضاء - السيد قائد المخابرات

إمضاء - السيد مدير المباحث العامة

إمضاء - السيد شمس بدران

انتهى يعتمد

رئيس الجمهورية

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى " إن هذه الوثيقة صحيحة وكان يقصد بها أن ينخلع الإخوان المسلمون عن هذه الدعوة حتى أنهم قالوا: إنه يجب أن يحرم من كافة موارد الرزق حتى تضطر نساؤهم للبقاء والتسول فى الشوارع وقد نفذت هذه الوثيقة ضد الاخوان ولكن الله سبحانه وتعالى لم يرد أن يحبس صوت الاخوان رغم كل هذه الظروف المفزعة والبشعة والوثيقة - رغم الفكر الاجرامى الذى تحمله فى طيات سطورها - تعترف بطهارة الإخوان المسلمين وبطاعتهم الفكرية وبقدرتهم على التحمل ومثابرتهم وتفوقهم فى المجالات العلمية والعملية وقوة تأثيرهم فى المحيط الذى يخاطبونه ويسعون فيه بالدعوة وقوة الروابط التى تحكم علاقات الاخوان وتوافقهم الروحى وعدم اكتراث الشعب بما يتردد حولهم من أكاذيب وأساليب للتشويه لأنهم أصحاب بطولات فى حرب فلسطين كما أقرت الوثيقة بانتفاء صفة العمالة أو الخيانة عن الإخوان وهى التى ردها البعض طعنا فى سمعة وسلامة تصرفات زعماء الإخوان أما ما جاء فى الوثيقة من اجراءات فقد تم تنفيذها على مدى 18 سنة من حكم عبد الناصر بحرفية تامة الى درجة اتهام من يواظب على ارتياد مساجد الله للتعبد والخضوع من المتدينين الذين تجب مراقبة تصرفاتهم وربما محاربتهم فى رزقهم وحياتهم !! .. لقد استمدت هذه الوثيقة من تلك الأفكار

التي جاءت في " بروتوكولات حكماء صهيون " التي فرقت بين اليهود شعب الله المختار - كما يدعون - وسائر الأجناس أو الجويم " وهم في مرتبة الجنس الأدنى وأقرب الى الحيوانات وفرقت الوثيقة هنا بين الشعب والمتدين واعتبار التدين " سبة " في جبين المجتمع ولا بد من إزالة صاحبه ومحاربته لأنه فرد فاسد أصيب " بسرطان " التدين وانتقلت عدوى الإخوان " الارهابيين " اليه فوجب استئصاله من الجذور .

هكذا كان يفكر أفراد نظام عبد الناصر وهكذا كانوا يتعاملون لقد حكم منطق الغاب سلوكياتهم وانتزعت من قلوبهم معاني الإيمان ومعاني العبودية لله سبحانه وتعالى ونسوا أن لكل ظالم دولة وأن الله يداول الأيام بين الناس .. ولكنهم اكتشفوا ذلك بعد فوات الأوان . ولنعد الى " امبراطور " التعذيب صلاح نصر الذي ذكر في كتابه مفهوم " غسيل المخ " وقد استخدم هذا الأسلوب مع الكثيرين من الاخوان المسلمين لنقل انتمائهم وولائهم من الجماعة الى الطرف الآخر منها .

ويقول الأستاذ عمر التلمساني " كلمة غسيل المخ كلمة مخففة ولكن الواقع أن الوسيلة الوحيدة التي كانت تمارس هي التعذيب الوحشي حتى أنهم كانوا يرسلون الى السجن في أبي زعل بعض المشايخ ليهاجموا الإخوان المسلمين ويؤيدوا لحكومة ويبرروا اعمالها حتى بلغ الهوس ببعض هؤلاء المشايخ أنه اعترض على " حد السرقة " فقال لبعض الإخوان : أنتم تريدون أن نعيش في مجتمع مشوه (لقطع يد السارق) وكانت " تفاهة هؤلاء المشايخ قد وصلت الى الحد الذي كان يسخر فيه الإخوان منهم فما كان لهم من أثر أو تأثير وانتهى الأمر بأن الادارة طلبت من بعض الإخوان أن يخطبوا في الإخوان مبينين مزايا حكم عبد الناصر ومساوئ الإخوان فكان البعض يستجيب والبعض الآخر ي يستجيب وكان الذين يستجيبون معزورين لما يقع عليهم من تعذيب وإذاء " .

ويضيف الأستاذ عمر التلمساني :

" لم يقم الدكتور عبدالعزيز كامل بدور المرشد للحكومة وإنما خاشن الإخوان وانفصل عنهم وأغواه زكريا محي الدين على أن يهاجم الإخوان وعينه نائبا لوزير الأوقاف فخرج من السجن الى نيابة الوزارة مرة واحدة .. فصار أكثر مخاشنة للإخوان وكان ينتصر لجمال عبد الناصر وما كان يليق بالدكتور عبد العزيز كامل أن يشبه السيدة عائشة رضي الله عنها بحرم جمال عبد الناصر والعكس إن شاء الصحيح وكان يشبه مجتمع المدينة في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بمجتمع جمال عبد الناصر والعكس هو الصحيح إنما لم يعمل مرشدا لأي جهة من المباحث إنما كان هناك إخوة آخرون بلغ بهم الضعف الى هذا الحد أنهم كانوا يتجسسون على الإخوان ويكتبون تقارير ويقدمونها للمباحث ويقولون : إن هذا الأخ متشدد وهذا الأخ سهل وإن هذا سيؤد وهذا لن يؤيد أما على عشموى فكان في أحداث سنة 1965 ينفذ كل ما تطلبه منه السلطة مقابل تخفيف الحكم الى الأشغال الشاقة لمؤبدة والى لافراج عنه بعد فترة قصيرة وهكذا حال قدرة البشر في التحمل حين الابتلاء والبشر متفاوتون في هذه القدرة ولكن الأخطر من هذا هو أن رد الفعل العنيف الذي تحرك بين جموع الشباب تجاه هذا التطرف في الأساليب الوحشية والذي أسفر عن فكر متحمس ولكن في اتجاه عنيف لقد ظهرت فكرة التكفير والهجرة كرد فعل عنيف لما يجري داخل المعتقلات وبين أوساط الشباب .

الفصل السابع عشر

ظهور فكرة التكفير

أدت المحاورات العنيفة بين المشايخ الذين أرسلتهم الحكومة للقيام بعملية غسل المخ يكملها إقامة حلقات التعذيب المتواصلة في محاولة لإحكام الحصار حول معتققي الفكرة الإسلامية لاستسلام البعض وإصرار البعض الآخر على عدم التخلي عن عقيدته وقناعته الإيمانية متحملا الإهانة والضرب المبرح وأساليب التعذيب وربما الجنون والموت على ترك هذا الأمر .

ولكن قبل الدخول الى هذا الموضوع الشائك لا بد أن نقول : إن عبد الناصر لم يكتف بالتصفية الأولى للإخوان فقرر أن يعيد الكرة والقضاء نهائيا على هذه الجماعة فقرر القبض على الآلاف من الإخوان مرة ثانية وكان البعض منهم قد أفرج عنه قبل شهور من يوليو

1965 حيث صدر قرار سرى بالقبض على الاخوان وفاخر جمال عبد الناصر بقراره حيث أعلنه في 29 أغسطس 1965 أثناء زيارة له لموسكو وجاء هذا القبض باسم مؤامرة قلب نظام الحكم فعاد من أفرج عنه للسجن ولم يتسم عبير الحرية إلا بضعة شهور واعتقل في هذه العملية ما يقرب من 20 ألف شخص واعتبرهم متهمين حتى تثبت براءتهم ولم تثبت إلا بعد الإفراج عنهم في عام 1971 ولم يقبض على جميع قيادات الاخوان فمنهم من هرب خلال أحداث 1954 المريعة ومنهم من سافر للبلاد العربية وعاش فيها.

ويقول الاستاذ عمر التلمساني :

" كل المتهمين في عام 1965 حوكموا وعذبوا تعذيباً شديداً ولم يكن هؤلاء متهمين في قضايا إنما كان الغرض من اعتقالهم عدم تمكينهم من إقامة أي إثارة في المحيط الذي يقيمون فيه وعذب الكثير من أقارب ومعارف بعض الاخوان وكانت كل تهمة صلة القرابة والمعرفة ولم يحاكم كل العشرين ألفاً ولكن حوكم ألف تقريباً وأثبتت المحاكم إدانتهم ثم جرت المحاكمات عام 1966 وأعلن القاضي العسكري الدجوى والقاضي العسكري التميمي أن التعذيب الذي يلقيه المتهمون هو " الهيلتون " الذي أعدناه لهم .

وقد نشر المرحوم الأستاذ سامي جوهر تحقيقاً عن هذه الوقائع فكتب يقول " ولم يكن أحد يعرف أين يساق من أخذه ؟ وتمر أيام .. وأسابيع .. وأحياناً شهور .. وبعد الوساطة أو الرشوة يعرف الأب أين ابنه ؟ أو تعرف الزوجة أين زوجها ؟ أو يعرف الابن أين أبوه وأى اتهام ملفق موجه إليه ؟ "

وبنفس الطرق المتطورة في التعذيب وباستخدام آلات وحشية كان يعامل المعتقلون في أحداث 1965 واضطر الكثيرون من الاخوان تحت ضغط التعذيب البربري بخلاف الحكم الجائر الذي أصدرته محاكم الدجوى بإعدام مجموعة جديدة من الاخوان من بينهم الكاتب والمفكر الشهيد سيد قطب وعبد الفتاح اسماعيل ويوسف هباش وهكذا أجهز جمال عبد الناصر يدفعه حقه وتسلمته على الجماعة المنهكة القوى من فرط ما لاقت من بشاعات .

ولقد كان طبعياً ان يفرز هذا الجو ظهور فكرة تكفير المجتمع وحاكمه ولقد كان من العوامل التي ساهمت الى حد كبير في ظهور مثل هذا الفكر من جانب الشباب تلك الوسائل الوحشية الخارجة عن الأبعاد البشرية والانسانية والتي مارسها النظام الحاكم في مصر في عهد جمال عبد الناصر تجاه أصحاب الفكر الاسلامي أو المتدينين بصفة عامة كما رأى هذا الشباب ما انحدرت اليه الأخلاق في مجتمعهم من انحرافات واستشراء الفكر الماركسي الملحد ومن هنا ظهرت فكرة التكفير لدى بعض شباب جماعة التبليغ وبعض شباب الاخوان المسلمين واستند بعضهم لكتابات الشهيد سيد قطب عن جاهلية المجتمع وخرجوا منها بفهم خاص وهو ارتداد المجتمع المسلم وكفره .

ولقد طلب من المعتقلين ذات مرة في سجون أبي زعبل وطرة والسجن الحربي تأييد رئيس الدولة مقروناً بالتهديد بمضاعفة التعذيب والابادة ورفض الكثيرون فحل بهم ما حل من صنوف العذاب والهوان والوحشية وأعلنوا رغم ذلك كله رفضهم إعلان الولاء للحاكم وجرى عمليات غسيل المخ - المعروفة من الناحية النفسية لكثيرين من الشباب المعتقل دون هوادة وطوابير التعذيب مستمرة لانتزاع الأفكار من رءوس هذا الشباب ولكن دون جدوى ولكن في نفس الوقت فإن بعض قادة الاخوان المسلمين اختلف كثيراً على منهج هؤلاء الشباب رغم دوافعه ومسبباته ومنهم الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للجماعة والذي أصدر ردوده على هذه المناظرات التي جرت بينه وبين الشباب الداعي لفكرة تكفير وهجرة المجتمع الجاهلي في كتابه المعروف "دعاة لا قضاة "

فقد امتد أسلوب هذه الجماعات الى ابتداء قاعدة خاطئة * وهي تكفير من لم يكفر الكافر وأرادوا بها تكفير من خالفهم في الرأي وكانت حجتهم أن الإمام محمد بن عبد الوهاب وبعض شيوخه يرون كفر من لم يكفر الكافر المعين .. وهذا حق أريد به باطل فالكافر المعين المجمع على كفره لا يحل ادعاء أنه مؤمن لأن في هذا إنكار لحكم الله عليه بالكفر أما إن كان الحكم بكفر الشخص ليس محل اجماع كما هو الحال في كفر تارك الصلاة فلا يجوز استخدام هذه القاعدة في هذا الموضوع .

وبالتالى فالمسائل التى رأى هؤلاء الحكم بالكفر على المسلمين مثل كفر من لم ينخرط فى جماعتهم أو من مات ولم يبايع إمامهم أو من خالفهم فى تكفير جميع حكام المسلمين فهذه الأمور كلها الحكم فيها بالكفر ليس محل اجماع وبالتالي لا مجال هنا لتطبيق هذه القاعدة وللاستاذ سالم البهنساوى بحث مشهور فى هذه القضية وجذورها ودوافعها .

وإن ما تم ممارسته داخل المعتقلات المصرية فى السجن الحربى وأبى زعبل وطرة والواحات وغيرها من أبشع ألوان العذاب والوحشية ويكفى تدليلا على هذا القول ما جاء فى حيثيات حكم المحكمة العسكرية العليا بعد حركة مايو 1971 ونشر ذلك بالصحف المصرية والعربية جاء فيه ك إن المحكمة لتسجل بحق أن الجريمة موضوع هذه الدعوى (تعذيب) كانت سبة فى جبين الحكم المصرى يندى لها خزيا وعارا ولعل فى حكم المحكمة ما يدل على حقبة من تاريخ مصر امتهنت فيها وأهينت كرامة الإنسان الذى كفل الإعلان العالمى لحقوق الإنسان حدها الأدنى - حقبة من تاريخ مصر كانت فيها السيادة للسياسة وللإرهاب وللإلقاء فى غياهب السجون أو تقريبا وزلفى للحكام والرؤساء حقبة من تاريخ مصر تضاعلت فيها سمعة سجن الباستيل فى فرنسا وطغت عليها سمعة السجن الحربى بمصر حقبة متاريخ مصر أعادت الى الأذهان ذكرى محاكم التفتيش وما كان يجرى فيها من مخاز وفظائع حقبة من تاريخ مصر تسابق فيها الجلادون الى ابتكار وسائل التعذيب .

ولقد كان التعذيب الذى لا قاه الإخوان المسلمون والشباب المسلم كان أضعاف التعذيب الذى تعرضت له الفئات الأخرى سواء الشيوعيون أو عتاه المجرمين فى القضايا العادية أو حتى اليهود الذين اعتقلوا بعد هزيمة 1967 .

ويقول الاستاذ عمر التلمسانى لقد كان معنا اليهود اختلطوا بنا فى معتقل مزرعة ليمان طرة وكانوا فى منتهى الأدب ومنتهى كمال الصلة بالاخوان المسلمين وكانوا يقدمون كل ما يطلب منهم من خدمات وكانوا يقولون لنا إذا كنتم الآن فى راحة وبعض التسهيلات فإنما سببها وجودنا معكم وعندما نخرج ستنقلب الآية ويعودون الى مضايقاتكم كما كانوا قبل أن نحضر وحصل هذا فعلا !! وكان اليهود فى معتقل مزرعة ليمان طرة يعاملوننا معاملة فى منتهى الكمال وتأتيهم زيارات وهدايا بصورة غير معقولة ولما حصل الاعتداء اليهودى على نادى الضباط بالمعادي تجنب الطيارون ضرب المعتقل لأن هناك العشرات من اليهود كانوا معتقلين فيه

أما ظهور فكرة التكفير والهجرة فإن التاريخ يحدثنا عن ظهور أفكار وآراء مختلفة فى كل فترة من الفترات وجماعة التبليغ كانت تنتمى الى جماعات هندية كانت تكتفى بتبليغ الرسالة لا أكثر ولا أقل لا تطلب عملا ولا تطلب جهادا إنما يقال لهم اذهبوا فبلغوا الدعوة كانوا ينتشرون فى القرى والآرياف والمدن يبيتون فى المساجد فى أى مكان ليبلغوا الدعوة أما فكرة التكفير والهجرة فكانت مبنية على تكفير الناس ومقاومة الكفر كما يجب أن يقاوم الكافرون وانتهت الأحداث فيما يختص بهم الى هذا المصير .

ولقد ظهرت هذه الأفكار بسبب التعذيب الذى تعرض له الإخوان المسلمون وهى لا يمكن القول بأنها كانت انشقاقا عن الاخوان إنما الذى حصل أن هناك فريقا كان يريد أن يؤيد وفريق لا يريد أن يؤيد ذلك وكان هناك اختلاف فى الآراء ولم تحدث بينهم وبين الإخوان مصادمات أو مشاحنات وكل إنسان كان فى حالة المؤيدين فى حالهم وغير المؤيدين فى حالة ولقد طاف بأذهان البعض بعد ما رأى من ألوان التعذيب ما يعجز عن تحمله البشر وإن مسلما لا يمكن أن يتصرف مع مسلم مثل هذا لتصرف ولا يمكن أن يكون الشخص الذى ينتهك عرض سيدة أو رجل لا يمكن أن يكون مسلما فنضجت هذه الفكرة فى أذهان البعض وكانت فى رأس شكرى مصطفى زعيم جماعة التكفير والهجرة وظنوا أن فى بعض كتابات المرحوم سيد قطب من تعرض لذكر الجاهلية الأولى والثانية والمظالم والظلم والتنكيل ظنوا أن هذا معناه يكفر من يفعل هذه المسائل - هو لا يقصد هذا بالطبع - سيد قطب ما دعا يوما للتفكير والهجرة لأحد أبدا وتكونت هذه الجماعة بشكل ظاهر وكانت فى مزرعة ليمان طرة ووصلت الفكرة وانتقلت الى كل سجون القطر التى كان يوجد داخلها إخوان مسلمون وتكونت " شلل صغيرة تأخذ بهذا رأى وتدعو اليه ولما انتقل الأستاذ الهضيبى من مستشفى ليمان طرة الى معتقل مزرعة طرة استدعى القائمين على هذا الفكر وناقشهم طويلا فكان يظهرون الاقتناع بوجهة نظره فى الوقت الذى مضوا فيه على تصميمهم فى هذا لمسار واضطر الأستاذ الهضيبى لأن يصدر كتاب " دعاه لا قضاة " وعندما وجد الأستاذ الهضيبى أن المسألة استفحلت استدعى بعض الإخوان الذين كان لهم

شئ من الدراية بأحكام الشرع وطلب منهم أن يدلوا برأيهم في هذا الموضوع فكتب بعض الإخوان آراءهم في موضوع التكفير وأجمعوا على أنه من قال لأخيه المسلم " ياكافر فقد باء أحدهم بها فبدأ وضع هذا الكتاب وشاركه في كتابته [7 أفراد] شاركوا الأستاذ الهضيبي في جمع المعلومات والأسانيد والأدلة وقدموها له والاخوان المسلمون أنفسهم وأولهم المرشد الإمام الشهيد حسن البنا نفوا نفيا قاطعا التكفير والعنف والابذاء ورغم ذلك يصرا لناس على اتهام الإخوان المسلمين بأن جماعات التكفير والهجرة خرجت من جبتهم . وعند خروج هؤلاء الشباب من السجون والمعتقلات كانت الفكرة قد اشتدت ورسخت في أذهانهم وظهرت بشكل واضح وتحدث عنها رجال الأمن في وزارة الداخلية حتى أنه عندما ارتكب حادث مقتل المرحوم " الشيخ الذهبي " ألصقوا هذه التهمة بجماعة التكفير والهجرة وشكرى مصطفى كان معتقلا معنا في سجن مزرعة طرة ولكنى لم أكلمه أو أحدثه وفي الوقت الذى كان ينادى الإخوان المسلمون بمنهاج " ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن " فإن هؤلاء الشباب اتخذوا معنا أسلوبا شيعيا وهو أسلوب التقية وهو أن يتحدث معك على أنه مقتنع وهو غير مقتنع ولقد كفرونا جميعا بعد ذلك وبعد خروجهم وخروجنا من السجون وقالوا : إن الاخوان المسلمين هم أيضا في زمرة الكافرين لأنهم قعدوا عن الجهاد ورضوا بالآوضاع القائمة وكل هذا غير صحيح وإنما تراءى لهم ففعلوه " .

سيد قطب وقضية التكفير :

ربط الكثيرون بين كتابات المرحوم سيد قطب وبين نشوء فكرة التكفير والهجرة وهذا نوع من الالتباس والخلط ويقول الأستاذ عمر التلمساني : من يرجع الى كتب سيد قطب لا يجد فيها أنه كفر أحدا ولكن حملته على مظاهر الانحراف والانحلال والفساد ومجانبة تطبيق شرع الله استنبطوا منها أن هذا نوع من أنواع التكفير أما هو في كتبه جميعا ولا تزال قائمة وموجودة حتى الآن لم يكن يدعو الى تكفير انسان أبدا ..

وربما كان سيد قطب قاسيا أو شديد الوطأة على هذه المظاهر حتى ظن البعض أنه عندما كان يتكلم عن الجاهلية وأن الحكم لله أنه يكفر من لا يفعل ذلك إنما هو لم يدع في أى كتاب من كتاباته لذلك ونحن عندما نقرأ تفسير المرحوم سيد قطب لبعض آيات القرآن الكريم والتي تتعلق بمن لا يحكم بما أنزل الله لا تجد معنى للتكفير هذا الى أن بعض المفسرين يقول : إن الحاكم إذا حكم قاتلا إننى أحكم بقانون من عندى لا من عند الله فهو ليس بكافر وإنما إذا قال : إن الذى عندى هو من عند الله ويخالف حكم الله فهو كافر فبالى هذا الحد الاسلام حريص فى ناحية التكفير على أبعاد الناس فى هذا .

والشيخ النمر له رأى معلن ومنشور تعرض فيه لهذه الناحية وقال :/ إن سبب نزوع الشباب لتيار العنف ما رأوه من تعذيب لم يكن يخطر على بال إنسان نحن لم نشاهد فى العالم أيام محاكم التفتيش مثل هذا الذى شهدناه .. فالشباب له عذره فى أن يقول إن هذا ليس عمل مسلمين ومن هنا تولدت فكرة لدى بعض الناس بأن الآخرين ليسوا مسلمين .. نحن نقول : للذى يبكى لا تبك بدلا من أن نقول للذى يضرب لا تضرب إننا نعكس الآية ونقول شباب مخرب إرهابى وقد قلنا للمسئولين أكثر من مرة دعونا نحن نتحدث مع هؤلاء الشباب ونصح له الفهم الخاطيء ونقيمه على الصراط المستقيم .. لأن معالجة الأمر ليس بالعنف لأن العنف يولد العنف " .

إن ظهور فكرة التكفير والهجرة جاءت إفرازا طبيعيا لممارسات نظام عبد الناصر من تعذيب ووحشية خرجت عن الدوائر الإنسانية بينما لم تعامل الفئات الأخرى بمثل الوحشية التى عومل بها أصحاب التيار الدينى ولم يجدوا من أجهزة الدولة المختلفة من يتفهم أسباب اعتناقهم لكل هذه الأفكار بل وجدوا كل تصف واثام بالارهاب الفكرى وأدت بهم الى اعتقاد كفر المجتمع حكومة وشعبا ولو تحقق ما طالب به الشباب من تطهير البلاد من مظاهر الفساد ووقف تيار التعذيب والوحشية ضد المعتقلين السياسيين من أصحاب التيار الدينى لما وجد هذا التيار - من معتقى فكرة التكفير والهجرة - عوامل تغذى انتشار هذه الأفكار بين أوساط الشباب المسلم .

وجاءت الهزيمة في 5 يونيو 1967 :

ويبدو دائما أن الرياح لا تأتي بما تشتتهي السفن ففي الخامس من يونيو عام 1967 بدأت فصول المأساة الدرامية التي عاشها شعب مصر المسلم دافعا الثمن لممارسات نظام عبد الناصر ومفاسد إدارته فقد دخلت مصر عصر الهزيمة وبدون أن تدخل حربا حقيقية فقد جرت معركة بالراديو والشعارات واستبيحت عقول أبناء الشعب المصري وادعت قيادته بأن القوات المسلحة المصرية في طريقها الى النصر الى تل أبيب بينما كانت الهزيمة تسعى وراء جيش مصر الذي مزقت أوصاله وانقطعت أطرافه وتاه في تيه سيناء الكبير .

ويقول الاستاذ عمر التلمساني " كنا نتوقع هذا الأمر وكنا على ثقة بأن ظننا لن يدوم وأن عبد الناصر سوف ينتقم الله منه بأية صورة من الصور فلما حصلت هزيمة يونيو 1967 رأى الإخوان أن هذا انتقام من الله سبحانه وتعالى من جمال عبد الناصر وكسر شوكرته وإذلاله ولكننا كنا على حزن لأن وطننا هزم واستبيحت كرامة جيشنا وكانت فضيحة لا حد لها في العالم كله حتى أن بعض الإذاعات الأجنبية والتلفزيونات كانت ترافق الطيارين اليهود في سيناء أثناء مطارتهم الجيوش وترسم الصور للجنود والضباط الفارين بصورة مزرية حتى المصريين في الخارج كانوا منكسرى الرؤوس عندما تعرض هذه الصور لقد كانت فضيحة وهزيمة جعلتنا نعيش الأحزان لسنوات طويلة " والغريب ان تلك الأيام لم تجرؤ القيادة المصرية على الاعتراف بالهزيمة وأطلقت عليها " نكسة " ولكنها كانت قمة الهزائم لأننا هزمنا دون أن نحارب وتلك كانت المأساة ولقد دفعت مصر ثمن ديكتاتورية عبد الناصر منذ انفرد بالحكم وتخلص من كل معارضيه بغض النظر عن الاسلوب الذي تخلص به منهم ولقد عاشت مصر سنوات ما بعد الهزيمة سنوات حالكة السواد يتذكرها الكثيرون وبقي الحال كما هو داخل السجون - موجات تلو موجات من التعذيب والمعتقلات ظلت تعج بالآلاف من المعتقلين دون أمل في الحرية . "

الباب الخامس - أسرار الخلاف مع انور السادات

* بداية طيبة .. ولكن ؟

* خلاف بسبب المعاهدة

* لعبة الفتنة الطائفية

* وعادت المعتقلات

* إغتيال السادات

الفصل الثامن عشر

* بداية طيبة .. ولكن ؟

يمكن أن يؤرخ لبداية السادات رئيسا وحاكما - باليوم العاشر بعد وفاة عبد الناصر - بعد انتهاء دوامات الحزن الغريبة التي غرق فيها أبناء شعب مصر على زعيمه الشعبى على مدى 18 عاما كانت لهذا الشعب خلالها أذن واحدة أو هكذا أريد أن يفقد السمع فى أذنه الثانية التى وهبها له الله الى جانب الأولى لتكتمل نعمة السمع ولتستمع لصوت الحق الذى أريد له أن يخبو ولكن الأيام دول .

فى ذلك اليوم - السابع من أكتوبر عام 1970 عقد مجلس الشعب المصرى جلسة لإعلان خلو منصب رئيس الجمهورية وترشيح انور السادات - الذى كان نائبا لعبد الناصر خلفا له على كرسى الرئاسة .

ولعل الكثيرين من أصحاب رأى والفكر والعقيدة قد تنفسوا الصعداء - خاصة من هم خارج الوطن وخارج وداخل السجون السوداء لهذا العهد - لانتماء العصر الذى حوربت فيه الكلمة والعرض والشرف والعقل وسحق فيه كل معارض ينبس ببنت شفة مجرد بنت شفة وجرى ذلك كله تحت شعارات زائفه ترضى أذواق الحكام فى دول متخلفة منها حماية مكاسب الثورة والقضاء على أعداء الثورة أو الثورة المضادة وبدأ هذا العصر بمصر والسودان كيان واحد وانتهى بمصر ناقصة أو فاقدة السيادة على ثلث أراضيها بعد أن سلمت سيناء لقمة

سائغة يسيرة الهضم والابتلاع لدولة إسرائيل الانزراعية فى المنطقة العربية كجسر للصهيونية وأحلام هرتزل فى " فى بال " فى نهاية القرن الماضى ومطامع الغرب فى احتواء المنطقة العربية والاسلامية وبعد أن راح ضحية هذه الحرب مئات الألوف من الأرواح الطاهرة والجرحى و المفقودين وفاقدى النطق والعقل وهى حرب دخلتها مصر ووصلت الى تل أبيب " عاصمة الكيان الصهيونى عن طريق ماسبيرو " أو الإذاعة المصرية وكان مذيعى هذه الإذاعة هم القادة الذين يعلمون أين تتحرك القوات المصرية ومواقع انسحابها أما مطربو الأمة المصرية فهم طبول الحرب وآلاتهم تدوى كالمدافع والصواريخ بينما تاه جيش مصر المغلوب على أمره فى صحراء القرارات المتضاربة وأوامر التقدم والانسحاب فى آن واحد وكما كانت خيبة الأمل كبيرة لدى أبناء الشعب وإحساسه بالهوان من جراء هذه الهزيمة النكراء التى دلوها وقالوا : إنها نكسة يونيو وهى قاسية للشعب الذى هز فى سالف العصور جحافل التتار وحملات الصليب وغيرهم .

وبدا الصراع حول الكراسى :

بعد اعتقال السادات كرسى الحكم واجه مصاعب جمة عقب اعتقاله من أهمها :
- فقدان رصيد التأييد الشعبى له خاصة فى مجال المقارنة بينه وبين عبد الناصر
- إحساس الشعب المصرى بأنه - أى أنور السادات - لم يكن له وجود فعلى وملموس فى ساحة السياسة أو فى صنع القرار السياسى فى عهد عبد الناصر باستثناء دوره المحدود فى عملية 23 يوليو وبعض المناصب التى تولاه فى الستينات .
- وجود العديد من المؤامرات حوله وخاصة من جانب من أسمو أنفسهم بورثة الناصرية ومن أنصار الكرملين فى مصر .
- الجو العام الذى كان يسود الشعب المصرى كان مشبعا بخيبة الأمل واليأس بعد هزيمة يونيو وما أورثته من ازمات اقتصادية وكوارث اجتماعية ووسط هذه الظروف المتعددة ووسط جو من النكات اللاذعة حول أنور السادات التى كانت تشير لعدم تهيو الشعب المصرى لقبول هذا الوضع الجديد وهو تولية السلطة فى البلاد وحاولت مجموعة تيار موسكو المعروفة بولائها للتيار الماركسى أولئك الذين حاولوا زرع فى صفوف وتنظيمات الشباب المصرى خلال فترة الستينات قلب نظام أنور السادات فيما سمي بمؤامرة مايو أو حركة التصحيح فى 15 مايو 1971 وكان من الواضح أن ميول السادات قد اتضحت مبكرا حيث بدأ مشواره فى التقارب مع الغرب باستقباله بعد شهور قليلة من توليه الحكم وزير الخارجية الأمريكى " وليام روجرز " وفشل مبادرته للسلام بين مصر وإسرائيل وكانت البداية التى أنتهت لتوقيع معاهدة السلام واتفاقية كامب ديفيد وقد فشلت مبادرة روجرز بسبب تعنت الإسرائيليين الذين كانوا يتحدثون من مواقع القوة والنصر ولم يرضوا إلا بالتنازل عن مواقع الشرف والكرامة حتى يوافقوا على السلام
وحاول السادات على المستوى الداخلى أن يكسب أرضية شعبية عن طريق بعض الخطوات الإيجابية فأصدر قراراته الخاصة بإغلاق المعتقلات والإفراج عن المعتقلين السياسيين الذين ظل بعضهم جزءا من عهد عبد الناصر أو طوال عهده خلف أسوار السجون والزنازين وأعلن السادات أنه لن يبقى معتقل سياسى وأن المواطن سيكون آمنا على نفسه وأولاده فى ظل ما أسماه " دولة المؤسسات " التى تعتمد على الحكم بالقانون والعدل رغم أنه تراجع عن ذلك كلية فى نهاية عهده وقبيل اغتياله - واستقبلت هذه الممارسات بنوع من القبول لدى أبناء شعب مصر بعد كل ما عاناه من كبت واضطهاد فيما مضى .

كان من بين المفرج عنهم المئات من قيادات وأعضاء جماعة الإخوان المسلمين سواء ممن

1- اعتقلوا بعد " مذبة المنشية " أو الذين اعتقلوا فى المذابح الثانية فيما أطلق عليه مؤامرة قلب نظام الحكم عام 1965 .

وبعد 17 عاما خلف أسوار السجون غادر عمر التلمسانى زنزانته وعندما سئل عن علاقته بأنور السادات * قال : " حين خرجنا من

السجون عام 1971 كان أول شىء فعلته هو ذهابى الى قصر عابدين لتسجيل شكرى للرئيس السادات بإفراجه عنا .

وهكذا نجد أن الإخوان مثلهم مثل باقى الطوائف وفئات الأمة استقبلوا هذه الخطوة استقبالا حسنا إلا أن الإخوان استوعبوا الدروس السابقة جيدا وتعاملوا مع واقع الأمور بروية فيها درجة من الاختلاف عن تعامل الآخرين كان تعاملهم بشكل حذر ويقتضيه أيضا .
وقد حكمت علاقة الإخوان بأنور السادات ونظامه عدة اعتبارات وبشكل أدق محاذير ضبطت هذه العلاقة على مدى السنوات الإحدى عشرة من بينها :

- لم ينس الإخوان - ولهم كل العذر فى ذلك - أن أنور السادات رئيس الجمهورية هو نفسه - جسدا وشخصا هو القائم مقام أنور السادات عضو محكمة الشعب التى أصدرت أحكامها - بعد محاكمات صورية ومزورية لا تمت لأى أشكال الحكم بالقانون بصلة - بالسجن والاعدام على أقطاب وأعضاء الجماعة عقب حادث المنشية المدير فى نهاية عام 1954 والتى عصفت ولأبد بعلاقات جماعة الإخوان وجماعة لضباط الأحرار كما أطاحت هذه المحكمة برعوس عدد من الشهداء الأبرار الطاهرة أرواحهم وسجن الآلاف من الإخوان لفترات تراوحت بين شهور وسنين طويلة امتدت حتى بداية حكم السادات نفسه وهو شىء علمه السادات جيدا وأحس بأنه لن يكون هناك صفاء فى العلاقة بينه وبين جماعة الإخوان وإن حاول أن يقترب إليهم بشتى الطرق .

2 - أن الإخوان المسلمين رأوا بعد استيعابهم بالطبع لدرس الضباط الأحرار خاصة بعد إعلان السادات بشكل غير متوار : أنه جاء على طريق عبد الناصر محافظا على نهجه وعلى مكاسب الثورة وأنه يتحمل المسؤولية كاملة فيما أصدره عبد الناصر من قرارات - وإن كانت جمهرة الإخوان يرون أن قرارات عبد الناصر كانت أحادية البعد وهو بعد عبد الناصر فقط ولم يكن يسمح لأى من المقربين منه من صفوة رجال الحكم بإبداء رأيه سواء بشكل صريح أو متوارب ويعلم الإخوان تمامات كيف كانت طبيعة العلاقة بين عبد الناصر والسادات وعبد الناصر وبقية جماعة الضباط الأحرار والذين اختلف معهم عبد الناصر واختلفوا معه وأطاح بهم فى النهاية الواحد تلو الآخر عدا السادات ..

3- أن جماعة الضباط الأحرار الذين اتفقت آراؤهم على الاطاحة والتخلص نهائيا من جماعة الإخوان المسلمين صاحبة الثقل السياسى والشعبى الخطير الذى هدد شعبية الضباط الأحرار ومن بين هؤلاء أنور السادات والذى رأى الإخوان أن الخلاف معه سوف يؤدى الى نفس الطريق المسدود والمعتقالات وهذا ما حدث بعد ذلك بكل دقة .

هذه - بعض من كل الاعتبارات التى حددت الخطوط العريضة لتعاملات الإخوان مع النظام الساداتى الجديد وحددت ايضا الأرضية التى تعامل الإخوان عليها مع السادات طوال فترة حكمه التى امتدت 11 عاما كاملا .

وربما تجدر الإشارة الى أن الإخوان كانوا خلال تعاملاتهم مع أنور السادات اختلفوا مع السادات فكريا ولم يسعوا للصدام أو إثارة الشغب أو الفتن أو القلاقل وهو أمر اعترف به السادات فى ثورة غضبه إبان أحداث الاعتقالات التى وقعت فى نهاية عهد السادات والاختلاف فى الرأى لا يفسد للود قضية فلم يكن الإخوان على مدى 11 عاما دعاة عنف أو تطرف وإنما انطلقوا كعهدهم دعاة للإسلام دون الدخول فى جبهات أو أحزاب لأن هدفهم الأول والأخير كان ابتغاء إعلاء كلمة الله فى الأرض ويحد الأستاذ عمر التلمسانى موقف الإخوان منالسادات قائلا : " الإخوان المسلمون لم يؤيدوا أنور السادات فى يوم من الايام ولكنهم كانوا يلتزمون جانب الحيدة وبما أنه بدأ عهده سهلا هينا لم يكن هناك داع من مخاشنه الإخوان له لأن قاعدة الإخوان الأساسية فى مناهجهم تطبيق الشريعة الله فى مصر فكل من لا يطبق هذه الشريعة يقفون منه موقف الحيدة ما دام يحسن المعاملة فإن أساء التصرف تظاهروا عليه ونحن لم نخاشنه فى أول عهده وكان موقفنا طوال مدة حكم السادات من أيام مبادرة القدس الى أن انتقل الى رحمة الله هو موقف المعارضة والدعوة تشهد بموقفنا منه " (وهذا يناقض ما كتبه الكاتب الماركسى صلاح عيسى " فى دراسته عن الإخوان فى مقدمة دراسة " ريتشارد ميتشيل " * " وربما يكون هذا البيان أو الإعلان شبه رسمى بأن الإخوان المسلمين يعتبرون أنفسهم كيانا سياسيا قائما ينشط فى ظل تأييد كامل لسياسة الرئيس أنور السادات ")

(أما هذا الإعلان الذى يقصده صلاح عيسى فهو مواقف بعض الإخوان فى أعقاب استيلاء " صالح سرية " على الكلية الفنية العسكرية بالقاهرة عام 1974 حيث نشرت فى الصحف فى أعقاب ذلك بيانا للسيدة زينب الغزالى - إحدى العضوات البارزات فى الإخوان وحكم عليها بالاشغال الشاقة المؤبدة عام 1965 - تنفى فيه ما قاله صالح سريه من أنه اتصل بها بشأن تنفيذ عملية الاقتحام وقالت زينب الغزالى فى البيان : ليس أنور السادات هو ذلك الرجل الذى تقبل زينب الغزالى أن تلتقى برجل تعلم أنه ضده - إننى أقول : إن أنور السادات جاء لحكم جمهورية مصر العريضة المسلمة وبحار من دماء الظلم تجرى فعمل على أن يوقفها وأوقفها فعلا . . وإن أنور السادات رجل مؤمن ابن رجل مؤمن وأنا أعرف أباه وأعرف إيمان أبيه وتقواه كما صدرت بيانات استنكار مشابهة من الأستاذ صالح أبو رقية والشيخ محمد الغزالى (ويقول عمر التلمسانى عندما وقعت أحداث صالح سرية الخاصة بمهاجمة الكلية الفنية العسكرية ذكر اسم زينب الغزالى والأستاذ صالح أبو رقية وطبعا الجريمة كانت جريمة خطيرة فكل منهم كان يحاول الدفاع عن نفسه فسلخوا هذا المسلك أما الإخوان المسلمون فى مجموعهم فلم يؤيدوا أنور السادات ..)

(هذه هى صورة موقف الإخوان المسلمين منذ بداية وخلال عهد أنور السادات وحتى لا يذهب الكثيرون مناحى شتى فى الاعتقاد بأن الإخوان كانوا يؤيدون أنور السادات - ولو كحركة تكتيكية - ثم انقلبوا عليه واصطدم بهم .)

(ويروى عمر التلمسانى كيف أفرج عنه ومشاعره لحظة الإفراج قائلا : استقبلت هذا الخبر كأى خبر أقل من عادى : لم أشعر بغرح ولم أشعر بتغير فى عواطفى أو مشاعرى .. لقد قابلته بمنتهى الفتور .. حتى أننى عندما بلغنى الخبر عند صلاة المغرب وطلب منى مدير السجن مغادرة السجن فطلبت منه أن أبيت تلك الليلة فى السجن فأين سأذهب فى تلك الساعة فتعجب منى قائلا : ألم تشبع من السجن ؟ ابحت عن مكان آخر أنا لا أستطيع أن أسمح لك بأن تبتي فى السجن لأن الأوامر صدرت بإطلاق سراحك ولو حدث لك فى السجن الليلة سأحاسب عليها طلبت منه أن يطلب لى سيارة أجرة وعدت بها لمنزلى .. كان أمرا عاديا لأنى أعتبر أن الحبس والسجن والإفراج كلها قضاء من الله سبحانه وتعالى يتقبلها المسلم بكل رضاء وطمأنينة .. أما نبأ تولى السادات فلم يكن يعنى لى شيئا لأنه فى أول خطبه له فى مجلس الشعب قال : أنا جنت ومعى الميثاق وساسير على أثر جمال عبد الناصر .. واعتقدت أنه سيسير كما سار جمال عبد الناصر وبعد ذلك رأى ضمن تخطيطه أن يفرج عن الإخوان المسلمين وغيرهم لعله يكتسب بذلك تأييدا وشعبية وفعلا عندما أفرج عن جميع الإخوان المسلمين المعتقلين أحس الناس بنوع من الراحة واكتسب هو فعلا شعبية لها قيمتها .. ولكن بعد ذلك دلت تصرفاته على أن هذا التخطيط له ما وراءه فيما ظهر بعد ذلك من أفعال والى انتهت بإحداث (3 سبتمبر - 1981) ويضيف عمر التلمسانى : لقد أحسست بتغير كبير بعد خروجى من المعتقل فأدهشنى ما رأيته تغير كامل فى كل شىء فى العلاقات فى الاخلاق فى المعاملات - كان شيئا غريبا جدا فمصر بلد لا يزال فيه جانب كبير من القيم مراعى ومحترما ومتبعها فلما خرجت وجدت أن كل هذا قد انتهى وقضى عليه ولم يبق منه الا أقل القليل للذين يتمسكون بتقاليدهم وتقاليد دينهم)

* عودة جماعة الإخوان :

وقد ثار الجدل على الساحة السياسية والشعبية عقب الإفراج عن الإخوان المسلمين حول احتمال وإمكانية عودتهم نشاطهم السابق وأنهم يسعون لذلك ويقول عمر التلمسانى : بعد خروجى 1971 لم يكن هناك عودة فى التفكير لاعادة الجماعة لأن التفكير فى الجماعة لم ينقطع ي داخل السجن ولا خارجه .. الذين دخلوا السجن دخلوا وهم على عقيدة وخرجوا وهم على نفس العقيدة وأن عليهم أن يستمروا فى العمل لدعوة الإخوان المسلمين وفعلا ظلوا على هذا طوال فترة حكم السادات وكان لهم نشاطهم الذى يعرفه الشعب كله من الحفلات والمواسم الدينية وإصدار المجلة والنشرات وغيرها من الأنشطة ..)

*** وعادت مجلة الدعوة :

(فى شهر رجب عام 1396 (يوليو 1976) بدا ظهور الدعوة فى شكلها الجديد كمجلة والمتتبع لمجلة الدعوة على مدى 25 عاما يرى أنها لم تتوقف كمجلة عن الصدور وإن اتخذت عدة أشكال .. وكان ظهورها فى ثوبها الجديد فى عام 1976 كامتداد لها ولكن فى شكل جديد فقد تصدر العدد رقم 375 - العام الخامس والعشرون) ويقول الأستاذ عمر التلمسانى *صدرت الدعوة فى الاربعينات وليس للرئيس السادات فضل فى إعادة صدور المجلة لأن الأستاذ صالح العشماوى كان حريصا على صدور المجلة بصفة مستمرة ولكنها كانت تصدر متواضعة فكان يصدرها فى صفحتين وثلاث محافظة على التصريح والرخصة وحين خرجنا من السجن كانت مجلة الدعوة تصدر حتى عام 1971 .. ولم ينقطع صدور المجلة وكانت تصدر وفيها إعلانات المحاكم للمحافظة على الرخصة .. أى بصورة متواضعة فليس لأحد فضل فى إصدار هذه المجلة ولا يمكن أن يقال إننا متواطئون مع الرئيس أنور السادات إنما للأسف الشديد لم نقل هذه الحقائق فى كثير من الخطب وبالتالي فهى ليست دليلا على أن بيننا وبينه شيئا الذى يرصد حركة الأحداث يستطيع القول إن مجلة الدعوة كانت محورا هاما وأساسيا فى الكشف عن مسار العلاقات بين أنور السادات والإخوان المسلمين كما أنها كانت منبرا لطرح أفكار وتصورات قيادة الحركة وأيضا كشفت المجلة الكثير عما دار بين الحركة وقوى الصراع قبل وبعد حركة يوليو 1952 وقد كانت أول مقالة فى المجلة للأستاذ عمر التلمسانى وكانت بعنوان " الدعوة على الطريق "

حيث طرح الخطوط العامة لدعوة الإخوان واللبس والغموض حول أهداف الحركة .. كما خصصت المجلة على مدى أعدادها الخمسة والستون حتى إغلاقها وسحب ترخيصها صفحات لشهداء الحركة وأدوارهم كما طرحت المجلة استفتاء لعلماء الدين وقادة الفكر حول عودة حركة الإخوان المسلمين .. ولكن فى الوقت نفسه رفض الإخوان تسجيل حركتهم كجمعية .(ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : لقد كنت أرفض أن تكون الإخوان المسلمين مجرد جمعية خيرية وعندما قال لى الرئيس السادات توجه الى الدكتوراة آمال عثمان (وزيرة التأمينات والشنون الاجتماعية) قلت للرئيس السابق : وقد جعلت ذلك حتى .. مجرد حجة إننى مع إحترامى الكامل للسيدة آمال عثمان فأنا أرجو أن ترسلنى الى النبوى اسماعيل أو الى منصور حسن ولكن لا داعى للسيدة آمال .. ومن نافلة القول : أن الإخوان المسلمين لم يسعوا لعودة الجماعة فى شكلها القديم .. ولم يرضوا أن يكونوا محل شبهات فى الوجود غير القانونى أو أى شكل من أشكال مخالفة القانون حيث يقول الأستاذ عمر التلمسانى فى حديث لجريدة السياسة الكويتية * الإخوان المسلمون تنظيم غير معترف بوجوده قانونا فى مصر ونحن قوم نلتزم بالقانون فإن ادعت أننى رئيس للإخوان المسلمين سأكون قد تجرأت على القانون لأننا غير موجودين فى نظر القانون ..

ولكن دورهم الحقيقى تمثل فى استمرار دعوتهم للمناهج الإسلامية والسعى لتطبيق الشريعة الإسلامية . وبث الروح الإسلامية فى الشباب المسلم وأن ينحوا بعيدا عن تيارات التطرف والعنف الذى يشجبه الإسلام الحنيف وكشف الستار عن الكثير من الحقائق التى خيم عليها ضباب كثيف وربما عاشت كثيرا فى ظلام دامس تحت وطأة التعقيم الاعلامى المكثف وحجب الجانب الآخر من الحقيقة مثل الذى قرأ قوله عز وجل " ولاتقربوا الصلاة " واكتفى دون أن يكمل الآية " وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ..") وهكذا نخلص الى أن جماعة الإخوان لم تفكر بشكل كبير فى عودة الحركة فى نظام السادات لطبيعة النظام وخلفياتهم عنه وما يراود لهم من ذلك الوجود واقتصرت الحركة على طرح آرائها فى مجلة الدعوة ومن خلال الندوات والمؤتمرات وغيرها ..

الفصل التاسع عشر

خلاف بسبب المعاهدة

لم تسر الأمور بين أنور السادات والإخوان سيرا هادئا ففى نوفمبر استقل السادات طائرة من مطار " أبو صوير " قاصدا مطار " اللد " الاسرائيلى ورافعا شعار السلام وما يعنيه من الاعتراف الرسمى المشهور امام المجتمع الدولى بدولة اسرائيل التى يعلم المسلمون كيف جاءت الى الوجود واستمدت شرعيتها من عام 1948 بفضل تعاون القوى الاستعمارية على زرعها كشوكة فى ظهر السلام .

وزار السادات القدس والمسجد الأقصى ويقول هو نفسه فى كتابه البحث عن الذات " وفى الصباح خرجت لصلاة العيد ودخلت القدس لثانى مرة منذ 22 عاما كاملة وكانت المرة الأولى عندما كنت وزير دولة وسكرتيرا عاما للمؤتمر الاسلامى وتبين لى على الفور أن المسجد الأقصى قد ساءت حالة إذ ما تزال آثار الحريق الذى اجتاحه عام 1969 قائمة .. وجدت منبر صلاح الدين قد احترق تماما وأن عملية إصلاحه تسير بصورة بالغة البطء ولهذا أمرت ببناء المنبر من جديد إن المصريين هم الذيم بنوا منبر صلاح الدين .. "

وأضاف أنور السادات " عدت من إسرائيل بعد أن اتفقت هناك على شينين أساسيين

أولا : أن تكون حرب أكتوبر آخر الحروب .

ثانيا : أن نتناقش حول مائدة المفاوضات فى موضوع الأمن لهم ولنا .

وقد تباينت ردود الفعل لهذه المبادرة بين شعوب العالم غربه وشرقه وكانت نوعا من المفاجآت التى لا يمكن هضمها بسهولة وخاصة للشعوب الاسلامية خاصة وأنهم تعاملوا خلال التاريخ لآلاف السنين مع اليهود ويعرفون طبيعتهم جيدا .. واستقبل الشعب المصرى هذه المبادرة استقبالا طيبا فقد طال به أمد الحروب لأكثر من ثلاثين عاما راح ضحيتها مئات الآلاف من الشهداء والجرحى وتوالت الأحداث - مع وجود التصلب اليهودى المعروف ووقعت اتفاقيات كامب ديفيد فى البيت الأبيض الأمريكى فى سبتمبر 1978 وتبعها توقيع معاهدة فى مارس 1979 .

موقف الإخوان :

منذ ذهاب أنور السادات فى مبادرته للقدس وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام مع اسرائيل فإن موقف الإخوان حدد بوضوح تجاه الخطوات وعبر عنه أقطاب الإخوان بصراحه على صفحات مجلة الدعوة وهو المعارضة التامة لهذه الخطوات ولكنهم - أى الإخوان - أبدوا معارضتهم بأسلوب يتسم بالصراحة والموضوعية بعيدا عن الاسفاف والدخول فى معارضة جانبية .. وحرص عمر التلمسانى على طرح هذا الموضوع مرارا فى افتتاحيات الدعوة وعبر بوضوح عن وجهة النظر الاسلامية تجاه هذه الخطوات قائلا فى حديث لجريدة السياسة الكويتية *

" إن السادات كان يجب أن يرى فى مصر من يعارض المعاهدة مع اسرائيل ويعتبر أن هذا شدا لأزره ضد المفاوض اليهودى .. فنحن جميعا عارضنا المعاهدة عن عقيدة لأن هذا عمل ينكره الاسلام .. وحينما اشتدت معارضتنا ووجدنا الاستقبال الشعبى للمعاهدة وخاصة بعد تلاعب الاسرائيليين بالمعاهدة ومواقفهم فيما يعنى الحكم الذاتى قلب ظهرة وتنكر لنا خاصة بعد أن وجد أن رأى العام تجمع حول رأى الإخوان المسلمين .. "

ويقول عمر التلمسانى : عندما علمنا بنبأ حرب أكتوبر 1973 وانتصار الجيش المصرى أرسل الأستاذ حسن الهضيبي رحمة الله عليه تلغرافا يهنئ فيه الرئيس أنور السادات بالنصر وطبعا أى مواطن كريم يسعده أن جيشه ينتصر على جيش آخر بأية وسيلة من الوسائل وكنا نظن أننا سنجنى ثمار هذا النصر فوائد كثيرة تعود على مصر ولكن انتهى الأمر .. بمعاهدة السلام " كامب ديفيد " ومبادرة القدس ووقفنا منها موقف المعارضة من أول الأمر الى الآن ونحن لا نقرها لأنها اعتبرت وجود اسرائيل فى هذه المنطقة وجودا شرعيا وهذا أمر لا يقره الإسلام بأية صورة من الصور .. قد يظن البعض أنه لا وسيلة إلا هذه المعاهدة وإلا فماذا كنا نفعل ونحن ضعاف ولا نستطيع أن نقاوم أمريكا أو اسرائيل ؟ لأنهم كانوا جميعا متآمرين على زرع اسرائيل فى هذه المنطقة لتقطع اوصال العالم الاسلامى .. نحن كنا لا نأمن من رحمة الله وكنا نظن أن صمودنا على رفض أى خطوة تعطى لإسرائيل شرعية فى هذا المكان هو قوة وتضحية وأن الله سبحانه وتعالى لا بد أن يحدث لنا فرجا نتمكن معه من إجلاء إسرائيل من هذه المنطقة لأن الغيب لا يعلمه إلا الله ولا ندرى ماذا سيحدث فى الغد ؟ إنما الناس وعامة الناس الذين يستجيبون الى الأمن والسلام والدعة يمكن أن تكون المعاهدة قد أرضتهم لأنها جنبتهم الأحداث والحروب

الى آخره .. ولكن لو علموا ما عاناه المسلمون وقاسوه فى أول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكونوا ليقبلوا هذا الوضع ولكن بعدهم عن تعاليم الله ورضاؤهم بالعيش على حساب العقيدة والدين جعلهم يميلون الى هذا الرأى .
ويقول الأستاذ عمر التلمسانى فى مكان آخر فى افتتاحية الدعوة :

ورضى بعض الشعب بما حدث طلبا للسلامة المفترضة والأمن المزعوم ظانين أن ما حدث هو نهاية ما بيننا وبين اسرائيل ومن وراءها غافلين عن الهدف الذى غرست إسرائيل من أجله وهو الفصل بين العقيدة وبين الشريعة عند المسلمين هذا إن كفاهم ما نقول متجاوزين .
ولعل هذا البعض الذى رضى بما تم سيظل على هذا الرضا حتى يفيق على خاتمة سريعه ترده الى الاستبصار حين لا تنفع هذه الاستفاقة ففى هذا الرضا ما يقضى على كل شىء ونسأل الله جلت قدرته ألا يكون ما نحن واثقون منه لأننا نراه رأى العين لا ذكاء منا ولكن إيماننا بأن النتائج كلها فى تقدير البشر وليدة هذه المقدمات ولهذا دللناه .. ""

فى افتتاحية أخرى يقول عمر التلمسانى بعنوان " البديل موجود لمن يريد " الضعف الذى نستشعره فى أنفسنا والقوة التى يهولنا أمرها عند خصمنا هو السبب الوحيد الذى يجعل ساستنا وكتاب صحافتنا يبحثون عن بديل للسلام مع إسرائيل فيخيل اليهم أنهم لا يجدون :
الوهن الذى أصبح يملأ قلوبنا التى ترهبها القوة المادية هو الذى يحير ساستنا وكتابنا عند البحث عن بديل للسلام فلا يجدون .. التهافت على السلام المضيع لكثير من الحقوق دفعا لأثقال النضال وتبعات الكفاح وأعباء الجهاد هو الذى يجعلنا نضرب أسداسا فى أ خمس للوصول الى حاصل ضرب يجنبنا الحرب حتى مع الفئران فلا نجد ؟ ألم يعلم ساستنا أنه كان إذا أسر جندى اسرائيلى كان يبكى وينحنى على قدم العسكرى المصرى ألا يقتله لأنه خرج الى الحرب رغم أنفه مكرها ؟؟

ياسادة .. يا ساسة .. يا أبطال .. يا رجال .. البديل موجود لمن يريد أن يراه والبديل قائم أمام من يريد أن يلجأ إليه ولكننا نغض أعيننا فلا نرى البديل ونبحث بأفقيتنا لا بوجوهنا فنضل السبيل !

ويستطرد عمر التلمسانى : البديل أيها السادة هو عودتكم الى شعوبكم وتوثيق ما بينكم وبينها حتى تشعر أنها شريككم فى السراء والضراء فى ميسور العيش وقسوته فى التمتع بخيرات بلادها لا بحرمانها منها البديل أيها السادة فى وحدتكم ونبذ الشقاق فيما بينكم وعودة الوفاق والتعاون وخير لكم ألف مرة أن يرأسكم واحد منكم أيا كان خير لكم ألف مرة من أن يسودكم عدوكم .. "

وفى افتتاحية أخرى بعنوان يا حكام المسلمين انصروا الله ينصركم :

قال عمر التلمسانى : لا يعارض عاقل فى أن السعى الى الحلول السلمية أمر يرضاه كل الناس الذين يحبون السلام أما أن يكون الحرص على السلام نتيجة ما نرى من إضعاف روح المقاومة فى الأمم الاسلامية والتمكين القهرى لليهود حتى يحققوا أمانهم وتصبح خرائطهم المعلقة على جدران الكنيست حدودا واقعة فى عالم الأرض والحدود الدولية أما كل هذا فشئ لا اجد له فى اللغة وصفا يمكن أن يوصف به : وأهم وصف فى تقديرى أن حكام المسلمين أصبحوا لا يعلمون البديهة السافرة التى يعرفها كل من له أبسط المام بالسياسة العالمية :
بديهة أن الدول لا تقيم وزنا للقيم والعواطف عند التعامل مع بعضها البعض ولكنها تنظر الى مصالحها ولو ضحت فى سبيلها بكل شىء حتى شرف الكلمة أو شرف المعاهدات ..

نحن مسلمون هذا صحيح .. والمسلم إذا وعد أوفى وإذا قال صدق وإذا عاهد أنجز .. كل هذه أخلاق إسلامية عرفها العالم فى عالم السياسة يوم أن كانت السيادة للمسلمين أما اليوم والعرف السياسى كما نرى ونعلم فلم يعد لنا إلا أن نتذأب لهم ومن لم يتذأب فى عالم الذناب تأكله الذناب .

إن المسلم يجب ألا يكون خبا ولا يرضى أن يخدعه الخب .. إن المسلم لا يجب أن يكون أبله يستغله البلهاء والأغبياء وغيرهم لقد حان - وربى - أن يتغير حال حكام المسلمين الى غير ما هم عليه وإلا فهم أول ضحايا هذا التوانى والتخاذل لا بيد شعوبهم ولكن بيد أعدائهم الذين يحسنون بهم الظن .. "

وتحت عنوان " يوم أغبر " قال عمر التلمساني :

يوم قاتم الغبرة من الأيام الحزينة التي تجثم على الشعوب المبتلاه في أيام محنتها يوم الأحد 26 من أكتوبر سنة 1980 يوم زار نافون مصر يوم وطئت أقدام أشد الناس عداوة للذين آمنوا أرضهم الطاهرة .لقد أعتصر الحزن المكتوم أهل مصر وهم يرون ضباط جيشهم يرفعون أيديهم * تحية لممثل سفاحي دير ياسين ومغتصبي بلاد المسلمين لقد عارضنا محالفة هؤلاء الناس وما زلنا نعارض ولكن هذا المنظر أدمى قلوبنا وحز في نفوسنا إننا ننكر هذه الزيارة وننكر مظهرها الذي بدأ في مطار القاهرة ورجالنا يمدون أيديهم مبتسمين يصافحون يد ممثل دولة ما تزال أيدى رجالها ملطخة بدماء الفلسطينيين الأبرار المغلوبين على أمرهم غنه سوء الطالع وكم لهذه الدنيا من نكد . لا أهلا ولا سهلا ولا مرحبا ولكن بعدا بعدا ورفضاً رفضاً وسحقاً سحقاً . وماذا نملك اليوم إلا الاسترجاع . إنه من نكد الدنيا على الحر أن يرى صداقة عدو ما من صداقته بد وبد ..

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم إنك تعلم أننا لا نملك اليوم إلا هذا ولكن أملنا في عافيتك واسع فسيح سنترقب يوم الخلاص يوم استرداد الحق المغصوب والمال المنهوب مهما طال زمان المحن ولن يقرب منا هذا اليوم إلا بقدر ما تقترب من تعاليم الاسلام . هيا يا شباب المسلمين إقبالا على ربكم وتمسكا بدينكم .. فعلى أيديكم سيفرح المؤمنون بنصر الله في يوم يظنونه بعيدا ونراه قريبا " والله من ورائهم محيط "

وهكذا أعلن الاخوان رأيهم بوضوح لا لبس فيه وهو معارضتهم التامة لمعاهدات واتفاقيات السلام من منظور إسلامي محض لا يصادره الواقع ولا تجبره الظروف على الالتواء .. والذين يعرفون أنور السادات يعلمون تماما أنه كان على عكس ما صورته وأبداه في خطبه كان يضيق بالمعارضة حتى ولو كانت بين صفوف رجاله في السلطة التنفيذية .. وكثيرا ما غضب وأرغى وأزبد عند سماعه رأيا معارضا لمعاهدة السلام وخطواته للصالح مع اليهود .

وخلاصة القول ك إن الإخوان المسلمين لم يحاولوا الطعن في أنور السادات شخصا كما فعلت الأنظمة العربية وأجهزة إعلامها من المحيط الأطلسي وحتى الخليج العربي وإنما أنطلقوا في معارضتهم الى لب القضية وهي تخاذل العالمين العربي والاسلامي عن واجب الجهاد المقدس وأن أنور السادات - على حد قول عمر التلمساني في إحدى مقالاته - قد فعل ما في استطاعته وفي حدود إمكانياته ولكن ما ذا فعل قادة وزعماء العالم العربي والاسلامي ؟ وأين هذا الجهاد المقدس الذي يتغنون به في إذاعاتهم وصحفهم ؟ ولكن رغم سلوك الاخوان في معارضتهم فإنه لم يرض أنور السادات من قريب أو بعيد وبدأت بوادر الصدام تظهر في الأفق !!

واقعة ميتشل والمخابرات الأمريكية

بدأت أولى بوادر الصدام - فالسادات لم يرضيه موقف الإخوان من خطواته للصالح مع اليهود وفي أحد أعداد الدعوة * نشرت رسالة بعث بها ريتشاردميتشل أستاذ تاريخ مصر والعرب في جامعة ميتشجن الأمريكية المتخصصة في الشرق الأوسط وله دراسة عن الاخوان المسلمين الى رئيس هيئة الخدمة السرية بالمخابرات المركزية الأمريكية قال فيها

" بناء على ما أشرت اليه من تجمع المعلومات لديكم من عملاءنا ومن تقارير المخابرات الاسرائيلية والمصرية التي تفيد أن القوى الحقيقية التي يمكن أن تقف في اتفاقية السلام المزمع عقدها بين إسرائيل ومصر هي التجمعات الاسلامية وفي مقدمتها جماعة الاخوان المسلمين بصورها المختلفة في الدول الغربية وامتداداتها في أوروبا وأمريكا الشمالية ، وبناء على نصح مخابرات إسرائيل من ضرورة توجيه ضربه قوية لهذه الجماعة في مصر قبل توقيع الاتفاق ضمانا لتوقيعه ثم لاستمراره وفي ضوء التنفيذ الجزئي لهذه النصيحة من قبل حكومة السيد ممدوح سالم باكتفائها بضرب جماعة التكفير والهجرة .. " وتمضى الوثيقة في شرح وسائل القضاء على جماعة الاخوان على غرار وثيقة ضرب جماعة الاخوان في عهد جمال عبد الناصر وقد ردت السفارة الأمريكية في القاهرة وكذلك ريتشارد ميتشل ينفيان صحة هذه الرسالة وأنه لم تصدر منه رسالة للمخابرات كما لا توجد هيئة بهذا الاسم في جهاز المخابرات ولكن بعد عامين كتب عمر التلمساني في افتتاحية الدعوة قائلا : وعندما نشرنا وثيقة منذ عامين أو أكثر أو أقل ترسم الخطة التي تؤدي الى القضاء على

الإخوان المسلمين ثارت ثائرة البعض فى الداخل والخارج .. ولم نضف على أصحاب الشأن بنشر تكذيبهم لتلك الوثيقة وتجرى الأيام تباعا حافلة بكل ما يثبت أن ما جاء فى هذه الوثيقة تلك إنما هو جزء من كل اعد إعدادا دقيقا ومدرسا للتخلص من الإخوان المسلمين بكافة الطرق .. وإننى أعتقد أن هذه الوثيقة رغم تكذيبها صحيحة ..

ويكشف عمر التلمسانى عن حقيقة نوايا الغرب ضد الاسلام قائلا : فقد أذاعت وكالة أ. ش. أ. لندن فى 13 فبراير 1981 ما نصه (ذكرت مجلة الايكونوميست البريطانية فى دراسة لها عن التهديد الذى تواجهه مصر من قبل الجماعات الاسلامية ما يلى : إن جماعة الاخوان المسلمين تعتبر حتى الآن البديل الوحيد الممكن لنظام حكم السادات فى مصر وقالت المجلة : إن الجماعات الاسلامية ظهرت كمنظمة قوية منذ ثلاث سنوات وأنها تضم نخبة طلابية اسلامية وهى تعمل علانية فى المدارس العليا والجامعات وأن عدد أعضائها نحو مائة ألف عضو وأن أعضاء الجماعة يتميزون بالاخلاص والنظام الشديدين وهم موزعون فى خلايا جيدة التنظيم حيث يستطيعون أن يحشدوا عشرة آلاف رجل وامرأة فى شوارع أية بلدة أو مدينة مصرية خلال ساعات وأنهم متعصبون وضيقوا الأفق وغير متسامحين وهم على استعداد لاستخدام القوة ضد معارضيههم على الرغم من أنهم لا يظهرون أسلحتهم وأوضح المجلة أن الجماعات تتمتع بتأييد علنى بين رجال الشرطة ومن بينهم بعض الضباط ذوو الرتب المتوسطة ومن المشكوك فيه قيام البوليس باستخدام قوته الكاملة ضدهم وعن مصادر تمويل تلك الجماعات قالت الايكونوميست : إنه من المحتمل أن الأموال تأتى إليهم من السعودية ومن رجال الأعمال الذين يتسمون بالتقوى والورع ونوهت المجلة بالقوة المتزايدة للإخوان المسلمين فى السودان وذكرت أنه لدى الرئيس السادات ونميرى القوى لوقف الفيضان الاسلامى وإن كان الرئيسان يحاولان فى نفس الوقت استرضاء الميليشيات الاسلامية والمزايدة عليها وأشارت المجلة كذلك الى أن السادات تحدث كثيرا عن تغيير القانون المصرى لجعله موافقا للشريعة الاسلامية إلا أنه لم يجد بدا فى حقيقة الأمر من تأجيل تنفيذ ذلك وير الأستاذ عمر التلمسانى قائلا إن كل كلمة فى هذا المقال تقطر سما وتحمل تحريضا سافرا وتدعوهز الى اسلوب معين وتنبه الى أخطار وهمية وتسرد وقائع كاذبة لا أساس لها ولا وجود إلا فى مخيلى أعداء الاسلام الكارهين ليقظة أبنائه والمقاومين لمداه. إن المقال يقرر أن الإخوان المسلمين هم البديل الوحيد لنظام السادات فى مصر وهى القرية الكبرى التى يلوح بها أعداء الاسلام للفرقة بين كل حاكم لبلد اسلامى وبين دعاة الاسلام فى تلك البلاد وللأسف المخزى فقد أفلحت هذه الأكاذيب فى بعض بلاد المسلمين التى لا يستطيع داعية مسلم أن يباشر فيها مهمته فى نشر الدعوة الاسلامية .. إن الإخوان المسلمين لن يفكروا يوما من الأيام فى استبدال حاكم بحاكم " فالكل فى الهوى سواء " ولكنهم يعملون ويصرحون وينادون باحلال حكم الله محل حكم البشر لأن فيه الخير والصلاح " ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " : ولو أراد الإخوان المسلمون الحكم لنالته أيديهم ولتسمنوا غاربة منذ أمد بعيد ولكنهم عن زهو الدنيا فى شغل وما أرادوا إلا حكم الله وتطبيق شريعته على أية يد وأيا كانت هذه اليد التى تطبق هذه الشريعة السماعاء وما من شك أن كل حاكم لبلد إسلامى يعلم عن طريق جواسيسه ومخابراته أن الإخوان المسلمين لا يتآمرون ولا يخربون لأن أساس دعوتهم الحكمة والصراحة والوضوح " ادع الى سبيل ربك بالحكمة " وهم لو لجئوا الى الاستخفاء لما علم أحد بدعوتهم ..

(ونعود الى رسالة ميتشل للمخابرات المركزية الأمريكية والتى أحدثت ردود فعل غاضبة لدى السادات واستدعى كبار الأقطاب من الإخوان المسلمين للتحقيق فى هذه الرسالة .. ووجد أنور السادات فى هذه الوثيقة فرصته الذهبية للنيل من الإخوان والتشهير بهم وكان ذلك فى الملتقى الأول بمدينة الاسماعيلية)

البداية فى الاسماعيلية

(فى ليلة 27 رمضان 1399 (21 أغسطس 1979) التقى أنور السادات بعلماء الأزهر والمفكرين الاسلاميين ودار حوار شدة انتباه الناس فى ذلك الوقت بعد فترة من جمود فى الاتجاهات والمواقف وبعد أن كان الناس ينسون مسألة تعارض وجهات النظر والمعارضة (ويقول عمر التلمسانى : بدأت معرفتى بأنور السادات حين استدعانى السيد منصور حسن وكان وزيرا للإعلام فى ذلك الوقت وألح على أن أحضر

هذه الندوة ولم يسعنى إلا القبول وكانت تلك هى المرة الأولى التى أتقابل فيها مع أنور السادات وقد تأكدت بعد ذلك أنه كان مطلوباً بالحاح حضورى هذا اللقاء لأنه عندما وصلت جلست فى الصف الأخير فإذا أحدهم ينقلنى من الصف الأخير الى الصف الأول فى مواجهة السادات . وقال عمر التلمسانى فى الكلمة التى القاها فى بداية الندوة * يتابع المواطنون هذه اللقاءات فى اهتمام ويسألون الله أن يفتح منها النفع على هذا الوطن وهم فى هذا محقون كل الحق لولا عتب يسير على الذين حضروا هذه اللقاءات السابقة فى أن يطلبوا فى هذه المناسبات طلبات خاصة فهى لقاءات تهم الأمة كلها ولذلك لن تسنع سيادتكم من حملة رسالة الدعوة الإسلامية طلباً خاصاً وإنما مطالب عامة تعود على الوطن بالنفع . جنت الى الحكم وكانت السجون والمعتقلات تعج بالآلاف فتحت السجون والمعتقلات وأبحت حرية وأبحت للصحف ان تتحدث كل هذا جميل ومقدر كل التقدير وانطلق الذين خرجوا من السجون يربطون بين الحاكم والمحكوم بالمحبة لأن عاطفة الود والوئام هى الأساس الوطيد لدوام كل حكم ولمحبة كل حاكم وما دامت أوامر القلوب مرتبطة فهى التى نمت وتحرس وتؤبد .

بقى - ولا أطيل - أن نقول كل من يحضر هذه اللقاءات يطلب بإصلاح كل شئ فى هذا البلد وكنا فى غنى عن هذه التفصيلات بأن يطبق شرع الله فينطلق الناس بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله فى ذلك أكبر الضمان بين الشعب قلباً واحداً ويوم أن ترتبط قلوبنا بهذا المعنى ستجد الشعب يسير ورائك يقول : لبيك وحتى نضحى بكل غال لكى نفتدى هذا الوطن لكى نكون جميعاً قلباً واحداً ويدا واحدة بدون حقد)

(إن الداعية الى الله خير كله كلنا نريد بك ولك الخير وأن يوفقك اللهم فيه خير هذا الوطن والله يراكم لهذا البلد تقيمون فيه شرع الله وتطبقون فيه حكم الله والشعب كاه خلف السادات يوم أن يقول الله وحكم الله وكتاب الله خذ بكتاب الله وسترى منا ما يرضيك ويرضى الله .. نحن مخلصون ولا نكره ولا يجتمع الإيمان والكرهية .. على بركة الله سر بأمتك والله يحفظك ويرعاك .

وبدأ أنور السادات بعد أن انتهى علماء الأزهر من إلقاء كلماتهم فى خطابه لهم الذى وضع منذ البداية أنه يحمل نوعاً من الغضب المكتوم والحنق تجاه المعارضين وخاصة من أصحاب التيار الدينى ولعله ركز - وأشار هو بنفسه لذلك - على الاخوان ومواقفهم وأنه يقدر الاطاحة بهم بجرة قلم .. !!

قال أنور السادات : وهنا أنتقل لأعتب .. كان لعمر التلمسانى عتب .. ولى أيضاً عليه عتب .. أرسلت جماعة لـ اخوان المسلمين بواسطة محاميه لرئيس الوزراء السابق ممدوح سالم إنذاراً أو إعلاناً بأن قرار حل الجمعية أنها لا تعترف به أو أنه غير قائم .. أنا لم أعلم بهذا أبداً إلا بعد استئصال ممدوح سالم ولو علمت لقلت آسف .. لا القرار قائم وحقيقى أقولها أمامكم جميعاً ويكتب افتتاحيتها الأستاذ عمر التلمسانى على أساس أن الجمعية مسجلة فى الشئون الاجتماعية نعم .. مسجلة ولكن قرار إلغائها قائم ومع ذلك لا أظن أنى أرسلت اليكم ووضعكم فى المعتقل من أجل هذا .. ويزيد الأمر مرارة فى نفسى يوم أن أكتب لشبابنا الذى أ تحدث عنه لكم عن تكوينه ليقابل هذا ل لتحدى من حولنا تحدى أولئك الذين يظنون أن المال هو كل شئ السعوديون وغيرهم والذين يحاولون أن يعلقوا عضوية مصر فى العالم الإسلامى بكل بذاءة وبكل وقاحة وتجرو على مصر يخرج عمر وفى صدر المجلة بمقال من خطاب وصله أن الحكومة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أرسلته لممدوح سالم رئيس الوزراء بتقول له فيه أنه اوعوا خدوا بالكم من الجماعات الإسلامية لأن دول خطر جداً واضربوهم واخلصوا منهم أنا شاهد وأنت تعلم (موجهها حديثه لعمر التلمسانى) والجميع والشيخ عبد الرحمن (الشيخ عبد الرحمن البنا شقيق الشهيد حسن البنا) أن يدى كانت فى يد الشيخ البنا الله يرحمه .. التنظيم السرى أمامى وبأشخاصه وبما كان فيه من أسلحة أمامى .. ولكن ماذا فعلت أنا برغم كل هذا ؟ لم يتعرض لكم أحد ولم أقفل الجريدة وإنما أرسلت لوزير الداخلية لكى يقول لك عيب وقالك فعلاً .. كما تحدثت عمر بالذات فى النفس المسلمة لا يكون الحقد ولا يعيش الحقد ..

وفى جزء آخر من الخطاب قال أنور السادات لما قلت لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين كان سببها إيه أنا أرسلت لك يا عمر برضه فى معركة نقيب من نقيب للنقابات المهنية تصادف شئ غريب جداً فوجئت بأن الإخوان الشيوعيين الوفديين القدامى الانتهازيين شوفوا

المفارقات العجيبة جميعا يتكتلوا وراء مرشح معين لأنه ييشتم فى الدولة وبعثت لعمر وقلت لا يا عمر عيب إيه هو الدين من يشتم فى الدولة أو ننتخب من كل مؤهلاته هى البذاءة . ويضيف : هل يعقل فى تركيبة واحدة من الاخوان الشيوعيين الوفد الجديد اللى هم بقايا الفساد القديم اللى قبل 23 يوليو على الانتهازيين يبقى دى كله مع بعضه .. هل هذا يصح ؟ حزنى أن هذا السلوب كان لا بد أن ينتهى بعد كل ما جرى يا عمر فى الماضى .. كما تحدثت أنت تماما فتحت السجون والمعتقلات أعدت لكم اعتباركم أعطيت سيادة القانون وحرية كاملة بدليل أنه لكم كل اعتباركم أعطيت سيادة القانون وحرية كاملة دليل أنه تصدر مجلة فلا يتعرض لك أحد مع أن إصدارها قائم على أساس غير قانونى ولا بد أن توقف فى الحال أبدا .. بقى لى شىء واحد بس أرجو من جماعاتنا الدينية ألا تقبل أموالها من أولئك الأقزام لأن عندى البيان وإذا كان الأمر مقصودا به خدمة الاسلام على العين والراس وليكن علنا أما بالاساليب الأخرى لا .

وهنا نهض عمر التلمسانى بعد أن فاض به الكيل مما كاله أنور السادات من هجمات على الإخوان وطلب أن يتكلم وهنا قال السادات: عمر عايز يدافع وله الحق أنا يمكن ركزت عليه شوية هو كان طالب مقابلتى وأنا رفضت الى أن قابلهته النهاردة لكى نتكلم أمام الشعب لأن هذا هو أسلوبى لن أتكلم إلا أمام الشعب ليعرف الحقيقة الكاملة فليس لى حقد مع أحد وإلا كنت اتخذت إجراءات من يومها وخلصت اتفضل يا عمر قال عمر التلمسانى : أرسل زعماء الحزب الشيوعى أكثر من مرة يدعوننى لحضور هذه الندوات عندهم فكنت أرفض كل مرة لأنى أعلم ما بين الاسلام والشيوعية من عداة وأن الإثنىين لا يمكن أن يجتمعا فى ركب واحد أو أن يسيرا فى طريق واحد .. أعلم تماما أنهم أرسلوا الى لأحضر ندوات لا لأنهم يتعاونون أو يريدون أن يشاركوا فى اتجاه .. إنما يريدون أن ينشروا أن عمر التلمسانى جالس مع زعماء الشيوعية ويصدر هذا للشعب ويقال : إن الإخوان والشيوعية مع بعض ولن يكون الإخوان والشيوعية فى يوم من الأيام مع بعض .. أرسل الى من الأحزاب التى تحدثت سيادتكم عنها للزيارة قلت من جهة الزيارة للتحية والسلام والسؤال عن الأمور العادية أهلا وسهلا .. إذا كانت الزيارة للكلام فى سياسة فى جبهات .. الإخوان المسلمون لن يسيرا فى جبهة مع أحد .. لأن طريقهم إسلامى محدد معروف .. أرسلت الى السفارة الإنجليزية تخبرنى أن أحد كبار وزارة الخارجية الإنجليزية سيزور مصر وسيزورنى فى يوم 6/12 الساعة 12 وأرسلت الخطاب الى وزير الداخلية وأرسلت لرد بتاعى وقلت أنا ليه أسمح بزيارة إلا إذا أستاذت ؟ أما أنه كانت الزيارة لمعان صحفية أهلا .. إن كانت سياسة أنا لن أتحدث لأجنى فى سياسة مصر .. لو أن غيرك اتهمنى كنت أرفع الأمر اليك .. إنما اليوم الى من أرفع أمرى ؟ الى الله أنا برىء من كل ما قلت .. أنا طاهر من كل ما قلت .. أنا نظيف .. أنا مسلم .. أنا مخلص غاية الاخلاص ويسمعنى الكثيرون أننى دعوت الله أن يديم حكم السادات الى أطول عهد ممكن لأننا نستمتع فيه بحريتنا وإن كان هذا جزائى عند أنور السادات الحمد لله والسلام عليكم ورحمة الله .

**** الرئيس :** أخشى أنك عايز تطلعنى أننى استغليت موقفى ووجهت لك هذا الكلام يا عمر .. لا أنت استدعاك وزير الداخلية كام مرة يا عمر ؟

**** عمر التلمسانى :** تعلم سيادتكم أن فترة الانتخابات كنت فى السعودية وأبلغ ذلك أحد الإخوان الوزير أنى كنت أحج ..

**** الرئيس :** لا الانتخابات بتاعة النقابة .

**** عمر التلمسانى :** انتخابات أحمد الخواجة وعبد العزيز الشربجى (نقابة المحامين طالع فى الجرايد أسماء إخوان محامين وذهلت وسألت أحدهم وأجيبه لسيادتكم يزورك ويقول لك .. قال لى هؤلاء كتبوا أسماءنا بغير إذن وهذه شئون انتخابية ولنا دخل لنا مع هؤلاء ولا هؤلاء وإذا قال إنسان إنى أمرت أو كلفت فلانا أنا أستحق كل ما قلته عنى

**** الرئيس :** يا عمر علشان نجلو الأمر وحتى لا أكون متجنيا أخبرت وزير الداخلية بهذا وبهذا أخبرك وزير الداخلية أيضا فى شأن المقال .. إذن أنا لم أذكر وقائع تجنيت فيها عليك .. لم يحدث ولم أتخذ إجراء ولن أتخذ إجراء .. وإلا كان ما يكونش السبيل هو الكلام اللى احنا بنقوله النهاردة .. إذن لا حق لك فى شكوتى الى الله لأنى أنا أخافه .. أخافه فعلا فأنا بعثتك وقد حكيت ما حدث أنا أحكيه .. وأقول يا عمر لو أن هناك نية مسبقة أو رؤيا كونته ما تركت مجلتك تسير على أساس غير قانونى ولو أننى كونت لاتخذت الاجراءات والقانون معى لا ..

وأنا باكملك النهاردة كبير العائلة الذى أراد الله له أن يجلس فى هذا الكرسي ويعلم الله أننى أريد أن استريح من كل هذا حقيقة والله ولكنى فضلت أن أوجل الكلام ده اللي بقاله شهور الى أن نلتقى وكان اللقاء اليوم ولعلك لا تذكر ولا تعرف أنى كلفت منصور حسن أننى عايز عمر ييجى لأنه لم يكن فى التخطيط أنك تحضر قلت أنا عايز عمر ييجى للمعنى اللي أنا بأقوله هو أننا كعائلة نقعد ونتناقش بمنتهى الصراحة وبعد ذلك يبقى اللي يخطيء عليه أن يتحمل تبعته ولو أننى كونت رأيا مسبقا أو إدانة مسبقة لا تأخذت الاجراء ولما كان هناك داع أن تأتى اليوم .. وعلى اسحب شكواك أمام الله ..

**** عمر التلمسانى :** المدعى الاشتراكى أرسل الى وحقق معى ومضى على هذا التحقيق مايو ويونيو ويوليو وأغسطس ولا أدري ما ذا تم ؟ ولو كنت أعتقد أن هناك خطأ أو إساءة ما كان المدعى الاشتراكى يتأخر عن إقامة الدعوى أو اتخاذ إجراء لم يحدث هذا وأنا على استعداد كامل أن أقدم ليعلم محمد أنور السادات رئيس جمهورية مصر العربية الرجل المسلم أنه لا يمكن لعمر التلمسانى لا خلفا ولا دينا ولا تربية ولا منشأ أن يتأمر أن يكذب أن يشتم والله أبدا ما حدث على لسانى .. لما كنت فى المعتقل فقيل ان فلان توفى الى رحمة الله أول كلمة خرجت من لسانى بعد ما قضيت 17 سنة فى السجن الله يرحمه .. لم يصدر من لسانى كلمة سبب لأحد بعد 17 سنة سجن الكلمة الأولى الله يرحمه .. مش أنا اللي اتأمر أو أؤذى أو أسب بلغت من العمر الذى لا يسمح أن أسير فى هذا .. انت الآن يا سيادة الرئيس عفوا ستجعلنى ألزم فراشى أشهر لأن هذا الذى وجه الى آذانى نفسيا ومعنويا وأسأل الله أن يطفئ بى هذه السن وأن لا ألزم الفراش وأن أغادر الدنيا خيرا من ألزم الفراش مريضا وأنا إذا شكوت الى الله فأنا أشكو الى عادل وإن كنت قد تجنيت سيعلم الله أنا لا أشكو الى ظالم أشكو الى عادل بيده الحكم واليه المصير بدل أنا ما أسحب الشكوى بتاعتى سيادتك اتخذ طريق تعالج به التعب الذى نالنى الآن ..)

**** الرئيس :** أحسن طريق لهذا هو أنه كل ما تحدثنا عنه مضى وفات وعلينا أن نبدأ جميعا أيدينا فى أيدي بعض لنقيم البناء .. وأحدث حوار السادات والتلمسانى ارتياحا لدى الرأى العام الذى حجب عنه الحقائق عن تاريخه لأكثر من ربع قرن من الزمان وزيفت أكثر الحقائق وصور له أصحاب الحق والعقيدة بأنهم سادة الارهاب - وأحس الناس بأن حوار وكلمات وردود عمر التلمسانى نوع من المعارضة الهادئة البناءة التى لا تبغى إلا صلاح الفرد والجماعة .. كان واضحا أن أنور السادات كان فى قمة غضبه وثورته على مواقف الاخوان لدرجة خروجه عن شعوره كرئيس الدولة - ورب العائلة المصرية - كما كان يحلو له ولعل هذا يكشف سبب استدعاء السادات لعمر التلمسانى - لقد أراد أن يوقعه فى الحرج وتصور له أنه قادر على الطعن فى الاخوان حتى أنه انهال بالشتائم وطرح بعض الحقائق بشكل ملتبس أو طمس معالم الحقيقة كما فعلت أجهزة الاعلام المصرية وخاصة ضد جماعة الاخوان المسلمين ..

أما اللقاء الثانى بين السادات وعمر التلمسانى فكان فى القناطر الخيرية وفى السنة التالية فى الاسماعيلية .. ويقول عمر التلمسانى : استدعانى السادات لمقابلته فى 2 ديسمبر 1980 فذهبت لمقابلته واستغرقت المقابلة قرابة الساعة على انفراد عرض فيها على أن أوافق على تعيينى فى مجلس الشورى فرفضت .. وكانت رغبته فى أن ينشر نبأ هذه المقابلة فرفضت وأن تكون مقابلة كسائر المقابلات العادية .. وفى هذه المقابلة وعدنى بأن يعيد جماعة الاخوان المسلمين .. كان يريد أن تعود - نعم ولكن فى صورة جمعية خاضعة لسلطة وزارة الشئون الاجتماعية وليس هذا فى برنامج الإخوان المسلمين لأن الجمعيات التى تخضع للشئون الاجتماعية عرضة للحل فى أى وقت وعرضه أيضا لتغيير مجالس إدارتها فى أى وقت إذا لم ترض الوزارة عنها ولم يكن هذا أيضا فى برنامج الإخوان المسلمين .. كان السادات يحاول جاهدا فى هذه الناحية لم أكن حريصا فى أن أتحدث معه فى المسألة مرة أخرى..

وهكذا نجد أن الخلاف الذى تفجر مع هجوم أنور السادات على الاخوان المسلمين فى ملتقى الاسماعيلية والذى كشف عن حلق وضيق أنور السادات من مواقف الإخوان المختلفة وخاصة موقفهم من معاهدة السلام واتفاقيتى كامب ديفيد للصلح مع اسرائيل انطلقا من موقف عقيدى يتفق ومبادئ الاسلام الحنيف .. وقد حاول أنور السادات أن يضع الإخوان فى مواجهة المدفع بإصراره حضور احد قياداتهم البارزة لأيقاعه فى الحرج والتهمج بلا مبرر وبلا سند على جماعة الإخوان وأفكارها وخاصة بعد أنتشار وامتداد تأثير الجماعة - غير المسجلة أو المعلنة رسميا - فى أوساط الرأى العام وبصفة خاصة شباب الجامعات الذى بدأت موجات من التدين والحرص على تعاليم

الاسلام تسوده مما أثار غضب السادات حيث كانوا النبض الحى لمشاعر الناس وأكثرهم قدرة على الحركة السريعة ورد الفعل التلقائى تجاه الأحداث انطلاقا من عاطفة إسلامية جياشة .. وظهرت ردود أفعال شباب الجامعات فى معارضتهم القوية لمعاهدة السلام مع إسرائيل .. ولعل تصور السادات ومن حوله أن جماعة الإخوان المسلمين هى التيار المغذى الرئيسى لحركات شباب الجامعات هو الذى دفعه لمخاطبة الشباب خلال خطبته فى ملتقى الاسماعيلية محذرا إياهم من تلقى أموال من أولئك الأقزام " . ز وكانت التقارير التى تصل السادات يوميا تحذر من ازدياد نشاط الشباب المسلم وسيطرته على اتحادات الطلاب الجامعية وجذبهم الكثير للتيار الاسلامى ولعل الأحداث تكشف فيما بعد كيف عصف أنور السادات بالشباب الذين حرص فى كل خطاباته على مناداتهم " بأبنائى وبنائى " .. ولكن أصحاب العقيدة سواء كانوا شبابا أو شيوخا صمدوا للطوفان الذى أراد إغراق الأرض وفى نفس الوقت فإن قوى اليسار والشيوعيين رغم تقليد أظافرها فى أحداث يناير 1977 وما تلتها من قوانين استثنائية بدأت تشكل نوعا من القلق فى مواقفها تجاه السادات ..

الفصل العشرون

(لعبة الفتنة الطائفية)

منذ بداية السبعينات ظهرت على سطح الحياة السياسية فى مصر قوى جديدة لم تكن فى حسابان القيادة السياسية المصرية .. هذه القوى تحركت بوعى وأحينا بلا وعى - تفاعلا مع مجريات الأمور .. لقد ظهرت الجماعات الاسلامية " الشابة هذه الجماعات كانت نبضا حيا إزاء المواقف والأحداث التى مرت بها بعد حرب أكتوبر 1973 .. ولا شك أن مناخ الحياة السياسية والحنين الى العودة الصادقة الى أحضان الدين والعقيدة هو الذى مهد لقيامها .. وربما دفع الحماس بعض أفكار هذه الجماعات الى مواجهة ظاهرة الانحراف بأشكالها المختلفة بنوع من التطرف أو لمغالاه فى التصورات الاسلامية وأيضا انتهى بعض من هذه الجماعات لرد الفعل العكسى والعنيف لما حدث من وحشية وبشاعة فى سجون عبد الناصر .

وهنا لا بد أن نتوقف عند المتغيرات التى لحقت بالمجتمع المصرى عقب حرب رمضان أكتوبر 1973 حتى نتبين أوجه الخلل فى بنية المجتمع المصرى والتى أفرزت ظواهر التطرف من جانب بعض الشباب المسلم .)

(لقد أعلن السادات إنهاء عصر انغلاق مصر اقتصاديا واتباع سياسة الانفتاح الاقتصادى فى عام 1974 .. وهو تفكير محمود إذا كان يقصد بها مصلحة البلاد فى الاتصال بالعالم الخارجى وتنشيط حركة الاستثمارات داخل مصر .. واستبشر الشعب خيرا من تطبيق سياسة الانفتاح فهى ستتيح فرصا للرزق للكثير من شبابنا ورجالنا وسوف نخرج بكنوز وثروات الرجال التى كنزت فى عهد عبد الناصر خوفا من الحراسة والتأميم - لتحقيق الخير للبلاد .

(ولكن الوجه الآخر للعملة أن هذه السياسة والتى تحولت الى انفتاح استهلاكى قد سببت الكثير من المشاكل وتسببت فى أحداث أزمات اقتصادية ما زال المجتمع المصرى يعانى منها حتى الآن نتيجة لسوء التخطيط والادارة .. لقد انتظر الشعب المصرى وتوقع ازدهار اقتصاديا بعد انتهاء عصر الحروب التى خاضتها جيوشه على مدى ثلاثين عاما وهذا يعكس حسن النية البالغ من الجماهير ولها العذر فى ذلك بعد أن أقنعت أجهزة إعلامه بهذه النعمة)

وأحس الشباب المسلم بسلبيات عصر الانفتاح - لأن إيجابيات الانفتاح كان مقصورة على مجموعات من المستثمرين وأيضا المستفيدين - كما أحسوا بالتناقضات الغربية فى بنية المجتمع المصرى وظواهر الانحراف المنتشرة فظهر تيارهم للجنو الى العنف كوسيلة للتغيير .. وإن كان الاسلام يفرض ظاهرة العنف ويؤمن السلام فى المجتمع فإن الإغراق والإسراف وظهور طبقات جديدة من أثرياء الانفتاح - بحق وبدون وجه حق - بالاضافة الى أن الجماعات القديمة (صالح سرية - وشكرى مصطفى) لهم خلفياتهم نتيجة تجارب التعذيب الوحشية فى المعتقلات المصرية فإن النوعية الجديدة منهم بدأت تنتشر ويقول الأستاذ التلمسانى : * " إن أهم أسباب انحراف الشباب الى العنف هو التعذيب الذى لا قوه أيام السجن وهو شئ ليس بقليل ناحية أخرى أن مظاهر المجتمع كلها فى نظر أى مسلم طاهر يرى الشباب أن تعاليم

دينه تقضى بأوضاع معينة ويرى أن هذه الأوضاع لا تتبع وخاصة في دولة يقول دينها إن دستورها الرسمى هو الاسلام وإن الشريعة هي المصدر الرئيسى للتقنين قطعاً الشباب يتأثر ويفكر طويلاً هل هذا العمل ينطبق مع ما يقال إنها دولة إسلامية أم لا ؟ .. وهذا بالفعل يؤدي بالشباب الى أن يفكر طويلاً لأنه إذا لم يفكر يعيش على هامش الحياة ولا يهتم دولته ولا دينه .. أرى أيضاً أن الشباب يعرف من خلال تعاليم الاسلام كيف تكون الفتاة في زيتها واحترامها وتعاملها ثم يرى في الجامعة معرضاً " فاترينه " لأزياء لا ترضى الاسلام .. فالشباب معذور عندما يرى هذه المظاهر .. إنه يقول إن الأوضاع غير سليمة ولا بد أن تتغير وعندما يعرض التلفزيون في الأفلام مشاهد خليعة وخارجة .. أين الرقابة ؟ وأين الاسلام ؟ ثم هذا الانفتاح الاستهلاكي وما جره على البلاد من مشاكل .. وأنا عندما أستنكر هذا الانفتاح الاستهلاكي لا أستنكر شيئاً أتحدث عنه وحدي لكن أنتم أيضاً تتكلمون عنه .. ونحن نقرأ لكم ما تكتبونه .

هناك في البلد ثروات ضخمة وهذه الثروات نستطيع معالجتها .. بحيث نحافظ على حق الثرى وينتفع المسلمون جميعاً فعندما يقول الله في كتابه " والذين في أموالهم حق معلوم " فهذا ليس صدقة أو إحساناً ولا زكاة إن حق الزكاة فريضة .. وفيما يقول الرسول " ليس منا من بات شبعاناً وجاره جوعان " فإن هذا هو التكافل الاجتماعي على أية حال فإن الاسلام لا يرضى لأى غنى من الأغنياء - دون ذكر اسماء - أن يكون عنده قصور وسرايات وبجانيه ناس فقراء أى اسلام هذا ؟ ..)

(أنا لا أستنكر المال عند الغنى ولكن استنكر تصرفه هو في ماله .. إذا لم يؤد واجبه المفروض عليه ..)

ولعل من المفيد أن نطرح العوامل التي أدت الى إصابة الشعب المصرى بنوع من خيبة الأمل بعد توقيع معاهدات السلام انتظارا للرخاء المأمول :)

* إن السادات أعلن مراراً وتكراراً في خطبه بعد معاهدة السلام بأن عام 1980 " هو عام الرخاء " وأن الاقتصاد المصرى سوف يشهد عدداً من التغيرات في طريق الانتعاش وأنه سوف يتم القضاء على كافة المشاكل المزمنة جذرياً .

إن الانفتاح - برغم ما حققه من انتعاش اقتصادى - قد أوجد طبقات أثرت ثراء غير مشروع - على غرار أثرياء الحرب - مثل السماسرة وعمولاتهم من الصفقات والمتتبع لهذه الحالات على مدى السبعينات وأوائل الثمانينات يرى العديد من هذه الصور مما أثار ضيق وحنق الطبقات المحدودة الدخل التي تعاني الضائقة الاقتصادية إزاء دخولها المحدودة والأسعار التي قفزت قفزات غير عادية..)

(فشل كثير من المشروعات الاستثمارية وهروب الكثير من المستثمرين نتيجة فساد الجهاز الإدارى والعراقيل التي تقف في طريقهم..)
(تدهور أجهزة المرافق وخدمات وتدهور الانتاج الزراعى وتغيير الخطط بتغيير الوزارات .. ونقص العمالة نتيجة موجات الهجرة المتتالية للخارج مما زاد من معاناة الشعب المصرى ..)

(أما البعد الثانى من المتغيرات التي أدت لازمة سبتمبر 1981 فهو علاقة مصر وإسرائيل بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة السلام وبدء عملية التطبيع بكافة مستوياتها فإن هذه الخطوات التي اتخذتها القيادة المصرية قد أدت الى انقطاع علاقة مصر خارجياً بالدول العربية وبعض الدول الإسلامية وتعليق عضويتها في منظمة المؤتمر الإسلامى .. وكان لذلك أثره داخلياً حيث انقطع مورد الدعم العربى لمصر وبحث القيادة المصرية عن مصادر تمويل جديدة وهى الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية حليف إسرائيل القوى في المنظمة بالإضافة الى خرق إسرائيل المستمر والمتوالى لتعهداتها - كالعادة - فشنت إسرائيل هجمات على جنوب لبنان ودمرت المفاعل النووى العراقى وأعلنت ضم القدس العربية كعاصمة موحدة لها وأبدية لإسرائيل واغتيال الشخصيات العلمية والسياسية العربية وضم الجولان وغيرها من التصرفات .)

(وقد بدأ نشاط الجماعات الإسلامية يظهر بداية في الجامعات المصرية حيث ظهرت لهم تجمعات قوية ونشاط تمثل في المعسكرات والمؤتمرات والندوات وغيرها ثم انطلقوا خارج الجامعات وكان ضرب المفاعل النووى العراقى بداية جديدة لهذا النشاط حيث عقدوا مؤتمرات في الأزهر الشريف ثم مسجد النور بالعباسية بالقاهرة حضره الآلاف من الشباب والشيوخ وحضره الأستاذ عمر التلمسانى والشيخ حافظ سلامة والشيخ صلاح أبو إسماعيل .

وطالب المتحدثون * بالغاء كل خطوات التطبيع وسحب السفير المصرى من اسرائيل وإعداد الأمة للجهاد المقدس ووجه شباب الجماعات الإسلامية خطاباً بهذا المعنى لرئيس الجمهورية وكان خروج الجماعات الإسلامية بنشاطها الذى يجمع حوله الآلاف من الشباب مؤشراً خطورة لدى القيادة المصرية التى وقفت باستمرار أمام خطواتهم .. وكانت زيارات السادات

مؤتمرات الجماعات الإسلامية .

للجامعات المصرية والالتقاء بالشباب فيها فى محاولة لوقف هذه الجماعات ومنع انتشارها تأثيرها خارج الجامعات وأعطيت تعليمات صارمة لرؤساء الجامعات بعدم السماح بممارسة السياسة داخل جدران الجامعات .. وأن الجامعات مكان للعلم فقط ولا مجال فيها للممارسة النشاط السياسى والدينى .. وأبدى أعضاء الجماعات الإسلامية ضيقهم وغضبهم من زيارة مناحم بيجن وزمرته لمصر .. وقد أحس السادات بما يعتمل فى صدور المصريين تجاه النظام الصهيونى ولذلك فقد كانت زيارات بيجن ووزراء حكومته زيارات قصيرة وخارج القاهرة وعلى المستوى الرسمى دون الشعبى والذى لم ولن يتقبل وجود مثل هذه الزمرة الطاغية وهذا الطاغية " بيجن " كان يبرهن للحليف الطبيعى والحميم الاسرائيلى الولايات المتحدة الأمريكية أنه اليد التى تبطش فى المنطقة وأنه يمثل الشرطى الذى يحفظ النظام بين القوم والرعاة ولذلك عندما كان يحس باهتزاز وضعف لدى الأمريكيين كان يبرهن لهم بتصرفات حمقاء على وجوده القوى فتغضب أمريكا وتقيم الدنيا ولا تقعدا ثم تخبو هذه الأصوات وكان شينا لم يكن .. وقانع ضم القدس والجولان وغزو لبنان الوحشى تشهد بذلك .. ولقد قالها موسى ديان وزير الدفاع والخارجية الاسرائيلى السابق " إننا نريدها - أى اسرائيل قوية مكروهة خير من اسرائيل ضعيفة محبوبة "

وكان لا بد لأنور السادات أن فعل مثلما يفعل الطرف الاسرائيلى ليثبت أقدامه فى معركة المفاوضات من أجل استعادة الأرض .. ولذلك فقد اتسمت تصرفاته فى بداية عقد الثمانينات بنوع من الغضب وتوتر الأعصاب تجاه معارضيه خاصة من الجماعات الإسلامية وجماعة الاخوان المسلمين الذين ينطلقون - عكس غيرهم - من منطق عقيدى وعلى وحى من القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم

** أحداث الزاوية الحمراء :

عاشت مصر 14 قرناً من الزمان لم تقربها فتنة طانفتى المسلمين والمسيحيين من قريب أو من بعيد وحتى عندما أثرت مثل تلك المسألة فإنها كانت تجتث من جذورها وهى فى مهدها .. وذلك لأن الاسلام يحترم أصحاب الأديان الأخرى ويحفظ لهم وجودهم ويوفر لهم كل الرعاية ويشهد تاريخ الاسلام قديماً وحديثاً على حسن سماحة الاسلام وحسم معاملتهم للنصارى وغيرهم انطلاقاً من أوامر دينهم ووصية رسولهم صلى الله عليه وسلم .. كما لا تتمتع أقلية دينية فى أى بلد من بلدان العالم بمثل ما تتمتع به الأقلية المسيحية فى مصر ويشهد بذلك العالم كافة .. ولكن كانت هناك مؤامرة قصد بها الشحن المستمر بين المسلمين والمسيحيين والاطاحة بقيادات الطرفين فى أيام قليلة .. ولندع الأحداث تتكلم عما وقع وبدأ فى الزاوية الحمراء

(بدأت أحداث حادث الزاوية الحمراء يوم الأربعاء 17 يونيو 1981 عقب صلاة المغرب بمسجد النصر بالزاوية الحمراء بالقاهرة حيث كان المسلمون يصلون وفوجئوا بكرة قدم تصيب المصلين داخل المسجد والتى كان يلعب بها بعض الشباب النصرانى .. وعندما خرج المصلون يعتبرون عليهم كان ردهم فيه سوء أدب واستفزاز مما دفع أحد المصلين الى تحذير إخوانه من الاستدراج وطلب منهم الإنصراف ..)

(ولكن قبل أن ينصرف المصلون إذ بوابل من الرصاص ينطلق من العمارة المواجهة للمسجد فأحدثت مقتلًا من واحد من المصلين فحدث هرج ومرج وانتشر الخبر فى كل الحى فكانت هناك ردود أفعال من بعض المصلين ضد المسيحيين ولكن عقب صلاة العشاء وعند خروج

المصلين من مسجد النذير ويبعد حوالى 500 متر تقريبا عن مسجد النصر أطلق النصرانى كامل الموان وأولاده الرصاص على المسلمين داخل وخارج المسجد من مسدساتهم الأوتوماتيكية واستمروا فى إطلاق الرصاصحتى الساعة الثانية صباح الخميس ولم يتوقف إطلاق الرصاص إلا بعد القبض عليهم كما أطلق نصارى آخرون الرصاص على المسلمين فى منطقة الجينية وعزبة أبو ليلة .. وسقط من المسلمين صباح ذلك اليوم أكثر من 60 قتيلًا ومصابًا)

(وقد وجهت مجلة الدعوة نداء على صفحاتها لأبناء الوطن قالت فيه إن هذا الوطن العزيز يشق طريقه اليوم بين أحداث غاية فى الخطورة على مستقبله ولنن لم يتبين هذا الشعب طريقه فى ضوء قرآنه وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام فالله وحده العالم بعاقبة الأمور) (والأحداث الأخيرة وما صاحبها من جراح ودماء وأرواح باعيرة نارية لم تصب إلا المسلمين يجب أن تقف عند حد محدود اتقاء لشر مستطير وإنا لنهيب بأفراد هذا الشعب مسلمين ونصارى أن يقدروا دقة الظروف التى تمر بها البلد كما نهيب بالحكومة أن تتخذ على وجه الاستعجال كل الوسائل التى تعيد الأمان الى نفوس الجميع فى إجراء ات قوامها الحزم والعدل والمساواة ومراعاة الملابسات كلها حتى يشعر كل مواطن بأنه آمن معافى والغريب أن الأحداث التى وقعت تمت فى غيبة تامة عن رجال الشرطة والأمن الذين سارعوا بالالتجاء لرجال الدين من الطرفين .. ويذكر عمر التلمسانى .. أن رجال وزارة الداخلية قد طلبوا منه النزول للزاوية الحمراء لعلاج الموقف المتدهور ويشهد على ذلك النبوى اسماعيل وزير الداخلية فى ذلك الوقت .. فكيف أتهم بإثارة الفتنة بعد ذلك والمسئولون فى الداخلية يشهدون على دورى فى تهدئة الموقف المتفجر ؟

(لقد كان هناك اتجاه لاثارة هذه الفتنة الطائفية كمفهوم ينتشر بين عامة الناس وكذلك الصفوة من جانب البعض لمواجهة موجة المعارضة العارمة لمواقفنا على معاهدة السلام والتصالح مع اسرائيل - التى انطلقت تعربد فى المنطقة وبلا هوادة فى كلاتجاه)

(ويحدد عمر التلمسانى موقف الاخوان من هذه القضية الشائكة فى حوار مع المصور قانلا :

نعود بأذهاننا الى التاريخ سنة 1910 أو 1911 كان هناك مؤتمران : مؤتمر فى مصر الجديدة ومؤتمر آخر فى أسبوط .. هذا للمسلمين وذلك للمسيحيين وتبادلتهما التهم وانتهى الأمر بسلام .

لم تتضخم الأمور كما حدث مؤخرا كانت هناك منشورات توزع فى التوتوبيسات والترام والشوارع تطعن فى الدين الاسلامى وفى محمد عليه الصلاة والسلام .. أنا وصلت لى مجموعة من هذه المنشورات وقدمتها لوزير الداخلية ..

ويستطرد الأستاذ عمر التلمسانى قانلا : حين أعود بذهنى للتاريخ أرى أن الذى يقولون عنه " فتنة طائفية " ليس هو كذلك وإنما كان هناك منذ 70 سنة موقف كهذا - فى مصر - ولم تتضخم الأمور بهذا القدر .

النشرات التى تحدثت عنها لا أستبعد أن تكون صادرة عن أى فريق ثالث إنما طالما نحن نفترض يصبح كل فرض محتملا .. طالما أنه لا يوجد عندى دليل قاطع نحن كمسلمين نؤمن بأن عيسى عليه الصلاة والسلام رسول ولا يمكن أن يبلغ بنا السفة فى ديننا أن نتناول عيسى أو مريم بأى سوء أبدا .. نحن ننزه مريم عما قاله فيها اليهود نحن نعتقد أنها بتول وطاهرة وأنها نفخ فيها من روح الله سبحانه وأن المسيح نبى ورسول .. وغيرنا لا يعتبر محمدا بهذه الصورة .. غيرنا ينكر على محمد رسالته ..

أنا كمسلم - رغم أنفى - أردت أو لم أرد تشدنى الغيرة على محمد عندما يسبه أحد .. ولا أكون مرتاحا لهذا بالطبع .. إنما الهوس لا يبلغ بالاخوان المسلمين الى الدرجة التى يتصورها الناس .. لأنه فى فترة من الفترات كانت هناك لجنة سياسية للإخوان المسلمين وكان من بين أعضائها وهيب دوس وأخنوخ لويس .. كانا عضوين فى اللجنة السياسية للإخوان المسلمين ..

الذى يأتى بهؤلاء ليكونوا أعضاء فى لجنة سياسية لدعوة إسلامية ليس إنسانا متعصبا إن الشعار الذى انتشر مؤخرا فى مصر لم يكن له وجود .. شعار الفتنة الطائفية .. هذا كلام فارغ ليس فى مصر فتنة طائفية .. لا يحدث فى مصر أن يذبح مسلم قبطيا أو يقتل قبطى مسلما أبدا .. إنما هى مسائل عادية مثلما يقتل مسلما مسلما .. أو قبطى قبطيا أو العكس مسائل عادية جدا فى العرف الاجتماعى ..

ولقد أقام أنور السادات فى خطابات بعد أحداث الزاوية الحمراء الدنيا ولم يقعدھا وألقى بالاتهامات شمالا ويمينا وفى كل الجهات الأصلية وتحدث عن تضليل الجماعات الإسلامية صارت تشكل له صداعا مزمنًا بسبب نشاطها المكثف فى الوقت الذى عجزت بل وفشلت جميع تنظيمات الشباب أن تقدم - منذ بداية حركة 1952 مضامين جادة تنبع من قيم ومعتقدات هذا لوطن المسلم فوقع هذا الشباب ضحية وفريسة سهلة لتيارات الشرق الماركسية وتيارات الغرب (وما حملته من أفكار وقيم قريبة من الانحلال) بل أن التنظيمات مضت فى مخطط تحت دعوى الاشتراكية فى بث الأفكار الماركسية المسمومة لشبابنا ويشهد على ذلك معسكرات العمل والتثقيف التى كانت تقام طوال عهد عبد الناصر واستمرت جزءا من فترة حكم أنور السادات ويكفى ما قاله أحد المحللين المصريين فى أعقاب مبادرة السادات حين قال إن ظاهرة التحول الغربى فى مشاعر المصريين تجاه اليهود فى شكل الحوار والتعامل بعد 30 عاما من الكراهية وبحور الدم لا تعنى سوى شىء واحد هو فشل التنظيمات السياسية فى تنشئة الجماهير على أسس سليمة ولكن من أين لهذه التنظيمات السياسية بهذه الأسس حيث إن فاقد الشىء لا يعطيه .. ولقد أريد من استقراء الأحداث خاصة بعد أحداث الزاوية الحمراء لكل قوى المعارضة المخلصة وأصحاب الدعوة والعقيدة الإسلامية المخلصين لها أن يفرقوا - رغم أنهم - فى أحوال لعبة الفتنة الطائفية التى قادتهم فى نهاية الأمر الى الأماكن المظلمة فى غياب السجون جزءا تجربتهم على معارضة النظام القائم .

كانت عيون أجهزة الأمن ترصد تحركات وتصرفات المعارضة بكافة أشكالها وفى نفس الوقت جرت عملية تقليص أظافر للمعارضة داخل مجلس الشعب وأقصى الكثيرون من أحزاب المعارضة ولم يتمكنوا من العودة لمقاعدهم ومنهم الشيخ عاشور ود. محمود القاضى وعدد من أعضاء حزب التجمع الماركسى وذلك بعد أن ازدادت حملات المعارضة خاصة ضد عملية التطبيع فى العلاقات بين مصر وإسرائيل كما بدأت حملة ضد صحف المعارضة ومن بينها جريدة الأحرار (لسان حال حزب الأحرار) والشعب (لسان حال حزب العمل الاشتراكى) ثم كانت الحملة على مجلة الدعوة لسان حال جماعة الإخوان المسلمين حيث جرى أكثر من تحقيق مع الأستاذ عمر التلمسانى حول بعض المقالات التى نشرت بالمجلة .

وكانت هذه التحقيقات مؤشرا لما قد جرى فى الأفق من تطورات بل ومضاعفات بدء الرقابة صارمة على الصحف التى قيل إن الرقابة رفعت عنها فى بداية عام 1974 - وكانت إحدى مفاخر أنور السادات التى عددها فى خطبه - ثم ما هو أسوأ من فرض الرقابة على الصحف وهو فرض الرقابة على الأشخاص أنفسهم .

والبلد الذى عاش 1400 سنة بعيدا عن هذا المعنى ليس هو البلد الذى تنشأ فيه - فجأة - هذه الفكرة .. فكرة الفتنة الطائفية .. إن المسلمين - وخاصة الدعاة يحرصون كل الحرص على إفهام الشباب أن لغير المسلمين حقوقا يجب أن تحترم وأن تصان وأن يدافع عنها .. ونحن أحق الناس بهذا ..

وفى مصر والله الحمد الكثير من الكنائس الموجودة التى تبنى .. ومصر بلد السماحة ولو ذهب أحدنا الى وزارة الداخلية وقارن نسبة التصاريح التى تعطى لبناء الكنائس لوجد أن النسبة هائلة .. من قال إن دعاة المسلمين حاربوا فكرة بناء الكنائس فى مصر .. الكنائس تبنى من قديم الزمان .. اليوم الأخوة المسيحيون يحصلون على ما يريدونه ولا توجد فتنة طائفية أحيانا يكون هناك طبيبان مسلم ومسيحى تجد المسلمين هم الكثرة الغالبة عند الطبيب المسيحى .. ولو أن هناك فتنة طائفية .. أو تعصب عهلى اترك الطبيب المسلم وأذهب الى المسيحى ؟ .. إن البعض يخترعون لنا فكرة فتنة طائفية وربما تخفى هذه الفكرة أو هذا الشعور وراءه أغراضا كثيرة أو قد يخفى مسائل ليس من حقى أن أتحدث عنها لأنها تمس أشياء حساسة .. لماذا نقول ونعلن على الملأ أن هناك فتنة طائفية “ يقوم بها بعض المسلمين وبعض المسيحيين .. ياليتكم زرتمونى فى مستشفى قصر العينى وكان معى أب اسمه صمويل راعى كنيسة فى الاسكندرية كان يقول لى : أنا كنتأصور عمر التلمسانى وحشا يقطر من أظافره الدم .. مما كان يقال له عنى وقال أيضا : عندما رأيتك وجدتك شيئا مختلفا تماما ..)

وعلى مدى عام 1981 بدأت عمليات منظمة " لتقليل أظافر " أعضاء الجماعات الإسلامية مستخدما كافة الأسلحة منها أسلحة الفصل والتأديب في الجامعات حتى جاءت مسألة الفتنة الطائفية .. وازدادت المواجهة معهم حدة .. وفي خطاب أنور السادات عن الكثير من الغضب والعنف إزاء هذه الظاهرة التي حاول أن ينفیها ولكن بعد فوات الأوان بعد أن انتشرت الشائعات بين الطرفين - المسلمين والمسيحيين - عن خسائر بالمئات والآلاف وفرضت رقابة صارمة بالأسلحة والجنود حول الكنائس وحدث نوع من التعبئة الغربية تحت دعوى كبت وواد الفتنة في مهدها .. في حين أن النيات التي وضحت فيما بعد أن المعارضين في أحزاب المعارضة الثلاثة والاقخوان المسلمين قد زج بهم في السجون بتهمة الفتنة الطائفية والحفاظ على الوحدة الوطنية في مصر ..

إن ما حدث عقب أحداث الزاوية الحمراء التي تعتبر الى حد كبير صراع بعض القلة المتعصبة الجاهلة لسماحة الأديان وأيضا لسماحة الإسلام بصفة خاصة لم تكن لتكون بهذا الحجم .. وقد أعلن السادات أن هناك تحقيقات تجرى حول أحداث الزاوية الحمراء ولكن هذا الموضوع صار حبيس الأدراج الموصدة .

**** اقتحام مجلة الدعوة :**

وجاءت ذروة بداية المواجهة بين أنور السادات والإخوان المسلمين عندما اقتحم رجال الأمن من وزارة الداخلية مقر مجلة الدعوة بشارع التوفيقية بالقاهرة في شهر رمضان عام 1401 والتي روت مجلة الدعوة تفاصيلها في عدد سبتمبر 1981 والذي تمت مصادرته تقول وقائع هذا الاقتحام *

الوقت : الأربعاء 22 من رمضان عام 1401 خلت الدار من جميع الإخوة العاملين فيها والمتريدين عليها عقب صلاة العصر ولم يبق بالدار إلا الساعة : الأخ توفيق - الأخ عبد الله ومعهما ضيف ابن عم لهما .. وضيف أفغانى يعالج في القاهرة .

الأخ توفيق والأخ عبد الله عاملان في قرى الصعيد وليس من جماعة الإخوان المسلمين وهما نموذجان لبساطة المواطن المصرى . نزل عبد الله واشترى كيلو تين وضعه في ثلاجة انتظارا لساعة الإفطار وجلس توفيق يعد الطعام للإفطار وجلس معهما ابن عمهما الضيف .

وفي الساعة الخامسة والنصف تقريبا أراد الضيف الأفغانى أن يخرج من الدار لقضاء بعض شأنه .. ذهب معه الأخ توفيق ليفتح له الباب ويغلقه من خلفه .. وعندما خرج الضيف الأفغانى من باب الشقة وقبل أن يغلق الباب اقتحم الدار قرابة الثلاثين في مقدمتهم ثلاثة ضباط شرطه .. بسرعة أحاطوا بتوفيق .. وعبد الله وابن عمهما الضيف الذى قال للمقتحمين من أنتم ؟ - نحن الحكومة .

- من يدرينا أنكم الحكومة .. فيه ناس كثيرين يقولون إنهم الحكومة ويكونوا حرامية ؟ وهنا أخرج بعض المقتحمين بطاقاتهم الشخصية .. يروى الأخ توفيق : أمسكنى الرائد محمد تاج من ذراعى واندفع بى الى حجرة الأستاذ عمر التلمسانى ومعه ثلاثة أو أربعة من الرجال وباقي الأفراد وزعهم على التليفونات وعلى الأبواب فى الشقتين وبعض الأفراد أحاطوا بالأخ عبد الله وبالضيف كحارسين لهما . والذين اقتحموا حجرة الأستاذ عمر أخذوا يفتشون فى أدراج المكتب ويجمعون أوراقا بعينها .. حاولت أن أخرج من الحجرة فأمرنى ألا أخرج وأجلسنى وأخذ يقرأ فى أوراق الأستاذ عمر وأخذ منها ما اراد وترك الباقي .

وبعد أن انتهى من التفتيش فى حجرة مكتب الأستاذ عمر سألنى عن مكتب مدير الدار الأخ إبراهيم شرف وفتشه وأخذ منه أوراقا ثم فتشوا حجرة الأخ الأستاذ مصطفى مشهور وجمعوا الكثير من الأوراق وأخذوا كثيرا من الملفات .

أثناء التفتيش سألنى الرائد محمد تاج : متى يحضر الأستاذ عمر الى هنا ؟ أجبتة الأستاذ عمر لا يحضر أثناء النهار الى الدار . وواصل رجال الأمن تفتيشهم لجميع مكاتب المجلة وأخذوا أوراقا كثيرة . ثم ذهبوا الى الشقة الثانية وهكذا جمع رجال الداخلية ما حلا لهم أن

يجمعه حتى التين الموجود في الثلاجة أكلوه واقتادوا العمال البسطاء معهم في عربة أمن مركزى الى مباحث أمن الدولة وطلبوا منهم أن يدخلوا الحجز فقالوا لهم : حجز إيه ما هي الجريمة التي ارتكبتها حتى تدخلونا الحجز . ووافق رجال الداخلية على بقائهم جالسين في أماكنهم بجوار البوفيه ثم طلبوا واحدا بعد الآخر وانهالوا عليهم بالأسئلة حول عملهم بالدعوة .

وفي منتصف الليل عادت بهم سيارة الى مجلة الدعوة مرة أخرى وقال لهم الرائد : أنت يا توفيق عرفت المكان وعرفت مكتبى أريد منك أن تزورنى بين وقت وآخر فقال له : أنا لا آتيك في هذا المكان لأنه مكان مخيف فقال إن شاء الله بعد العيد أعزمك في منزلى ونتغدى معا فقال له توفيق : إن شاء الله ووصل العمال البسطاء لمقر المجلة وأعطاهم رجال الداخلية مفاتيح المجلة ونزعوا المسامير التي كانوا مسمكين بها الباب .

والسؤال الذى طرح نفسه بشدة : ماذا كان رجال الداخلية يعملون في مجلة الدعوة ؟ وعم كانوا يبحثون ولماذا هذا التصرف الغريب للغاية ؟ ولماذا استباحوا حرمة المكان بهذه الصورة المزرية في شهر مبارك ؟ وهل كانوا يتصورون أن مجلة الدعوة سوف تزخر ترسانة أسلحة لقلب نظام الحكم ؟

لقد كان هذا لاقتحام الشاذ وغير المنطقى إشارة تحذير لجماعة الاخوان لما سيجد من ممارسات وإجراءات هدفها القضاء على أية معارضة خاصة فيما يتعلق بمعاهدة السلام مع اسرائيل وأحس أنور السادات أن المعارضة التي خدمته في تفاوضه مع اليهود واستخدمها كسلاح ضغط في التفاوض تحت دعوى وجود معارضة شعبية للاتفاق والصلح مع اسرائيل - هذا السلام وضح أنه قد تعدى المدى والحد الذى تصوره أنور السادات وامتد اليه شخصيا وتعدى مسألة معاهدة السلام الى كل الشئون والمسائل الداخلية .

هنا كانت هذه الفترة - أى في صيف عام 1981 حافلة بالتوتر والشحن المستمر ضد المعارضة وتوقع الناس بحسهم المرفه - أن هناك عاصفة على وشك أن تهب لتعصف بكل قوى المعارضة وبدأت بوادرها بتدخلات الحكومة في انتخابات النقابات المهنية وخاصة في نقابة المحامين والصحفيين ونادى لقضاة وفى افتتاحية العدد 65 والذى تمت مصادرته كتب الأستاذ عمر التلمسانى مقالا بعنوان : لماذا اقتحم رجال الداخلية مقر مجلة الدعوة ؟ كتب يقول : " إن تصرفات العقلاء منزهة عن العبث وما من انسان يتصرف تصرفا معينا إلا إذا كان هذا التصرف نتيجة لشيء سابق أو تحقيقا لغرض لاحق ولقد ذهب الناس كل مذهب في محاولة الوصول الى الأسباب والأهداف التي حدثت برجال الشرطة الى اقتحام دار مجلة الدعوة وتفتيشها والاستيلاء على بعض الأوراق والمستندات الموجودة بها دون إذن من النيابة ودون تحرير محضر بأحداث التفتيش وفى غيبة كل من فى الدار إلا الفراشين وإذا عن المتطفل أن يسأل : لماذا لم يقتحم رجال الشرطة الدار إلا فى آخر النهار وفى غيبة كل موظفى الدار ؟ فالجواب لهذا المتطفل كيف يبيح لنفسه أن يسأل من يستطيع أن يفعل ما يشاء ما دام فى يده السلطان لماذا ؟ وكيف ؟ ومتى ؟ وأنى ؟ وبماذا ؟ ولذلك أرحنا أنفسنا من كل هذه التساؤلات ؟ لعدم اهتمامنا بما حدث وأسبابه لأن ذلك فى حسابنا وتقديرنا من أول يوم عادت فيه المجلة الى الظهور بعد غيبة طالت سنين والحمد لله الذى جاءت هذه الأحداث على هذا لقدرا لأن ما خفى قد يكون أعظم عند فاعلية وإن كان عندنا أهون مما يظن الكثيرون (وياما دقت على الرأس الطبول) إن الظلم مقيت ومن يرتكبه فهو ظالم ومن يرفع الظلم عن مظلوم فهو مثاب من قبل الله مشكور من لانس أجمعين بشرط واحد هو أن يكون رفع الظلم يبتغى به وجه الله حبا فى العدالة والانصاف أما أن يكون رفع الظلم لشد المظلوم فى مركبة من رفع الظلم فهذا أمر حابط لا ثواب عليه من الله ولا شكر له من أحد كما أن ترك الناس يستمتعون بالحرية التي من الله بها على عباده أمر طبيعى لا يمين به إلا إذا اعتقد المان بأنه فضل منه على أحد كما أن الحرية حق من أغلى وأعز حقوق الإنسان .

ويمضى عمر التلمسانى قائلا : إذا وضحت هذه الحقائق نفعى الله وإياكم بها - فتعال أستعرض معك ما فعله رجال الشرطة بدار مجلة الدعوة وإنها لحقائق بعيدة عن التزييف والتلوين والتزلف لا يرويه من حضرها من فراشى الدار ولكنها الوقائع ذاتها هي التي تتحدث عن نفسها بنفسها وقد تنكر وزارة الداخلية وهي ستنكر فعلا * ولكن لا الإنكار يحضها ولا الاعتراف يدعمها لأن الحق حق سواء ظهر أو حيل بينه وبين الظهور ولعل الذين عاشوا حكم عبد الناصر وكانوا يقرعون حين ذلك ويسمعون من أجهزة الاعلام عن عدالة عبد

الناصر واستمتع شعب مصر بحريته فى حكم ذلك الفتى الملهم كما كان يصفه شيخ الأزهر المرحوم " الشيخ شلتوت " غفر الله لنا وله ولعل الذين عاشوا ذلك الحكم البغيض الذى سودت حلوكته كل شىء فى مصر لم ينسوا أحداثه...

* لم تصدر وزارة الداخلية تكديبا لهذه الحقائق التى ذكرتها مجلة الدعوة وهذا يؤكد قيام رجالها بهذا ، ذلك العهد لن ينسى لأن الذنب لن يبلى والديان لا يموت وما اقتحام دار مجلة مسلمة مصرية إلا صورة من صور ذلك العهد الذى ما زال البعض يتغنى بعظمة حاكمه .زإننا حيث نحن من موقف المعارضة رضى الحكم القائم أو أبى فما رضاه مغنما ولا غضبه مغرما . ولنن لم نصبر على ما صبر عليه أسلافنا فما أحرانا أن نتخلى عن الدعوة الى الله التى ارتضاها الله لنا لباسا وقد عاهدناه على ألا نخلعه مهما لقينا فى سبيله لأن التحمل فى سبيل الله أسمى ما يرتضيه الداعى الى مولاه ألم يلفتنا ربنا الى هذا فكيف نغفل عنه ولا نحمده عليه " ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " .. ياوزارة الداخلية إننا ندعوك بالهداية ولا ندعو عليك بالدمار لأن صلاح حالك خير للمسلمين من سوء تصرفاتك وقد يغضبك هذا القول ولكن لو تبينت الحقيقة لعلمت أى خير نريده لك .وحتى إذا لم تتبينى حسن قصدنا وسلامة صدورنا ومضيت فى هذا الأسلوب فلتكونى على ثقة أن من عاهد الله على العمل لنصرتة لن تقلقه تصرفاتك ولا تصرفات آلاف الوزارات من أمثالك هذا أمر انتهى عند الاخوان المسلمين فما عادوا يقيمون حسابا لمن يخاشنهم من أجل دعوة الله وسنظل نعمل ما بقى فينا لسان ينطق وأيد تمسك بقلم وأرجل تسعى الى تحقيق الخير ألكيد إن الذى يفزع الناس وينزل الرعدة بأوصالهم هو الذى نستتهين به فالسجن خلوة والنفى هجرة والتعذيب تكفير والقتل شهادة والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا ..

صادروا المجلة إن شئتم فكلمة الله لن تتوقف لأن كل السنة المسلمين مجلات وأغلقوا الدار إن أردتم فكل قلوب المسلمين دور لدعوة الله وافعلوا بالدعاة الى الله ما حلا لكم فالدعوة ليست دعوتهم ولكنها دعوة ملك الملوك الجبار الذى لا يقهر والقوى الذى لا يغلب والباطش الذى لا يهن ولا يدحر " إن بطش ربك لشديد أنه هو يبدى ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد " ولعل كلمات عمر التلمسانى كانت احساسا واستشفافا صادقا لما سيجرى بعد ذلك على ساحة الأحداث لقد قالها واضحة لأنور السادات فى عبارة موجزة " أما أن يكون رفع الظلم لشد المظلوم فى مركبة من رفع الظلم عنه فهذا أمر حابط لا ثواب عليه من الله ولا شكر له من أحد " وأوضح للنظام القائم أن الإخوان المسلمين يتوقعون كافة وسائل التنكيل والتعذيب بدءا من مصادرة المجلة (وحدث ذلك بالفعل وفى نفس العدد الذى كتبت فيه هذه الكلمات) وأغلقت الدار بالفعل بعد ذلك وأودع كتابها السجون ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : لعل ما فجر الخلاف مع أنور السادات هو موقفنا من معاهدة السلام مع اسرائيل ومن استقراء الأحداث يمكن أن يستنتج الإنسان خطأ أو صوابا : أن معاملة السادات للإخوان كانت تنفيذا لهذه المعاهدة أما ما حدث من مصادمات مباشرة تمثلت فى حادث اقتحام مجلة الدعوة فنحن ما ظننا فى يوم من الأيام أن القوى التى تخاصم الإخوان المسلمين فى الداخل والخارج ستركنا نسير فى طريقنا آمنين وكنا نتوقع فى كل وقت أنه قد يحدث شىء فهم اسفروا عن وجههم باقتحام دار المجلة وبالرجوع الى الأعداد الخاصة بهذين الشهرين يمكن تبين كل الأحداث ومواقفنا ورأينا فى هذا العمل الذى لم يكن له داع على الإطلاق .

الفصل الحادى والعشرون

وعادات المعتقلات

كما قلنا - بأن المواجهة ازدادت احتداما بين أجهزة الأمن وجماعات وأحزاب المعارضة فيما تمثل فى مصادرة بعض أعداد من جرائد ومجلات المعارضة وتكثيف نشاط أجهزة القمع داخل الجامعات للحد من خطورة ونشاط الجماعات الإسلامية وكان ما كان من اقتحام مجلة الدعوة بشكل مريب غير قانونى أو دستورى .. وقلنا أن أنور السادات كان يهدف من نشاط المعارضة فيما يتعلق بعلاقاته مع اسرائيل أن

يرى اليهود ديمقراطية حكمه وأن هناك نشاطا معاديا لمعاهدة السلام ونشاطه فى محاولة كسب الرأى العام المصرى لتسيير عملية تطبيع العلاقات فى مسارها المرسوم لها طبقا لنصوص وبنود معاهدة السلام واتفاقية كامب ديفيد قبلها .. وخلصنا الى أن موقف الإخوان مبدئيا كان معارضة التصالح مع اليهود لأسباب عقيدية انطلاقا مما نصت عليه آيات وسور القرآن الكريم فى شأن اليهود وخصالهم ولم يتطرق أى عضو من الجماعة لاستخدام أسلوب آخر غير أسلوب الكلمة فى معارضة هذا الصلح .

ثم جاءت عملية - وبشكل أدق - " لعبة " الفتنة الطائفية لِيختلط الحابل بالنابل ومقولة : إن الإخوان المسلمين كان لهم دور فى إذكاء شعلة الفتنة الطائفية بين مسلمى مصر وأقباطها وهى مقولة مدحوضة تماما ويكذبها الدور الذى قام به عمر التلمسانى وبعض أقطاب الإخوان فى إخماد نار الفتنة فى مهادها فى منطقة الزاوية الحمراء - ولعل هناك شاهدا على قيد الحياة يشهد بذلك الدور وهو " محمد نبوى اسماعيل " وزير الداخلية السابق - حيث نزل عمر التلمسانى فى عدة مرات آخذا بأسلوب الحوار فى محاولة تهدئة الأمور فى المنطقة المشتعلة - بل كانت مجلة الدعوة أمانة فى طرحها لأحداث الزاوية الحمراء حين دعت لشجب مسألة الفتنة الطائفية ودعت الإخوان المسيحيين للتفكير والحكمة رغم ما بدر منها من تصرفات مشينة من بعض المتطرفين الأقباط .

وقد قال عمر التلمسانى فى حديث لمجلة المصور * بعد خروجه من الاعتقال - الذى سيرد ذكره لاحقا - قال لم نشهد ما يسمونه فتنة طائفية فى مصر إلا فى السنين الأخيرة وأنا أعمل فى السياسة منذ 50 عاما ولم أر مثل هذه الصورة من قبل .. مصر ليس فيها فتنة طائفية لأنك ترى عيادة الطبيب المسيحى وبها الكثير من المسلمين ومكتب المحامى المسلم يمتلئ بالعديد من المسيحيين إن الفتنة الطائفية فى رأى شعار تسرب الى مصر لزعة الأمن وخلق شقاق بين طائفتين من أبناء هذه الأمة لقد كان معى فى مستشفى قصر العينى " الأب صمويل ط قسيس إحدى كنائس الإسكندرية وما زال موجودا بالمستشفى أخبرنى إن الإذاعات التى كان يسمعها صورتنى له وحشا تقطر أظفاره دما فلما رأتى وعاش معى قال لى : أنا الذى سيتول الدفاع عنك فى كل المواقف " كما قال الأستاذ صالح عثماوى فى نفس العدد ليس هناك ما يسمى ذلك فجميعنا إخوة شركاء فى وطن واحد .. لقد كنا نشترى ورق مجلة الدعوة من رجل مسيحى يعاملنا معاملة تفوق معاملة الكثير من المسلمين .

ولكن فى هذه الفترة طفت فوق السطح أمور غريبة .. فقد وصلت الى كثير من البيوت المسلمة منشورات أرسلت أحيانا بالبريد وأحيانا أخرى وجدت تحت الأبواب تهاجم الاسلام وتهاجم رسول البشرية صلوات الله عليه وسلامه عليه مما أثار علامات قلق عن مصدر تلك الرسائل المشبوهة والمسمومة .

ثم وصلت المواجهة ذروتها بين السادات ومعارضيه .

* أحداث 3 سبتمبر 1981 :

غير بعيد عن الأذهان الإخوة القراء ما وقع من أحداث فى ذلك اليوم فقد انطلقت قوافل مؤلفة من عشرات السيارات من الأمن المركزى ورجال الشرطة السريين يقودهم مجموعات من ضباط الداخلية وطرقت أبواب الآلاف من كافة التيارات الاسلامية والشيوعية وأحزاب المعارضة والصحفيين والمحامين وغيرهم ليودعوا فى كافة سجون مصر الفرعية والمركزية .. وخرجت صحف القاهرة فى اليوم التالى بعناوين ضخمة من التحفظ على مثيرى الفتنة الطائفية وأحس الناس أن هناك إنقلابا فى تصرفات وتوجهات أنور السادات وأن الصدام الذى أحسوا به لا نحا فى الأفق قد وقع والغريب بل والأشد غرابة فى نوعيات الذين تم التحفظ عليهم والتهمة الموجه اليهم هى " الفتنة الطائفية " فمن بين من تم التحفظ عليهم كتاب ماركسيون وما يدعون أنفسهم ناصريين وأعضاء الجماعات الاسلامية وبعض العناصر المسيحية وأقطاب أحزاب المعارضة

وكان من بين الذين تم اعتقالهم رهن التحفظ الاستاذ عمر التلمساني الذي يروي قصة اعتقاله قائلا : جاءوني يوم الخميس الموافق 3 سبتمبر 1981 وفي الساعة السادسة صباحا وعلى رأسهم اثنان من الضباط ومعهم ستة من المخبزين السريين والحقيقة انهم كانوا مؤدبين وكانت

عندما دخل الأستاذ عمر التلمساني السجن كان عمره 77 عاما

أحاديثهم معي مهذبة ومؤدبة وطلبوا مني أن أصحبهم الى قسم الظاهر فذهبت معهم الى هناك ثم أخذوني الى ليمان طرة وظللت طوال يوم 3 سبتمبر في طرة الى العشاء تقريبا حيث حضر مدير السجن وأرسلوا لي في الزنزانة لأقابله وأخبرني أن هناك توصيات من السيد وزير الداخلية " محمد نبوي اسماعيل " بأن أعامل معاملة مريحة وطيبة وخاصة وصحبوني الى مستشفى ليمان طرة الى الدور الثاني وكان هذا الدور مشغولا بالمرضى من المسجونين العاديين ووضعت في حجرة كان يقيم فيها " شمس بدران " وفي اليوم التالي أدخلوا هذا الدور من كل إنسان ولم يبق سواي وانقطعت أي صلة لي بالناس كأني في سجن انفرادي لا أرى فيه أحدا إلا نادرا .. كانت مقابلات الضباط ومدير السجن مقابلات مهذبة ومؤدبة إنما المعاملة كانت في منتهى الفظاعة لأنه أحيانا كان يمر يوم كامل بساعاته دون أن يحضر لي طعام وأحيانا كان يأتيني طعام الإفطار في الساعة الثانية ظهرا أو الثالثة بعد الظهر .. دورة المياه لم تكن معدة لمن هو في مثل سني .. فكنت أقاسي من هذه المسائل مقاساة ومعاناة متعبة للغاية .. كنت أنا الذي أغسل الأطباق التي أكل فيها العدس والفول وهذا منتهى ما كان يصل الي .. ولكن كان بعض المسجونين عندهم من الشهامة الكثير وكانوا يرسلون الي ما يستطيعون في السر والخفاء من الأطعمة والمأكولات وظللت على هذا الحال حتى يوم 12 نوفمبر عام 1981 حيث أرسل لي السيد وزير الداخلية واستصحبني بعض الضباط لوزارة الداخلية حيث تحدث معي الوزير حديثا طويلا في الموقف وأنهى الحديث بقوله : تحب تروح مستشفى قصر العيني فكان ردي عليه : إنه يستوى عندي ليमान طرة بقصر العيني بأي مكان تضعني فيه الحكومة لأنه ليس لي طلبات ولا أريد شيئا وفي عصر ذلك اليوم حضر بعض الضباط واستصحبوني لمستشفى قصر العيني واعتقد أن متاعب السجن كلها انتهت بوجودي في مستشفى قصر العيني لأن المعاملة هناك كانت طيبة جدا والعناية الطبية كانت فائقة وليس لي شكوى في هذا .

وقد بلغ عدد المتحفظ عليهم حسب مصادر أجهزة الأمن 1536 من كافة التيارات الدينية والسياسية وغيرها .

** خطاب السادات العنيف :

عقب حركة الاعتقالات الواسعة تحت أسم " التحفظ " ألقى أنور السادات خطابا عنيفا تحت قبة مجلس الشعب .. وقد حلا لبعض الصحف المسماه بالقومية بإطلاق شعارات فاقعة اللون على هذا الخطاب وما ورد فيه من قرارات لحماية الوحدة الوطنية بما شمله من اعتقال الآلاف وإبعاد الكثير من الصحفيين خارج مؤسساتهم وعزل الأنبا " شنودة " والدعوة الى الاستفتاء على هذه القرارات على مستوى الشعب ووضعت هذه الصحف الخطاب بأنه ثورة 5 سبتمبر * ..

ولعل أهم ما تناولة أنور السادات في خطابه ويتعلق بالإخوان المسلمين والجماعات الاسلامية هو قوله " بدأنا نسمع حاجة اسمها الجماعات الاسلامية .. إنها بعيدة عن الاخوان المسلمين " " الاخوان المسلمين دي حاجة والجماعات الاسلامية دي حاجة تانية " " باديء ذي بدء عايز اقول لكم حاجة الإخوان المسلمين كجمعية غير موجودة رسميا وغير شرعية . لأنه بمقتضى قرار مجلس قيادة الثورة الجمعية محلولة وبالتالي لا حق لها في إصدار جريدة وهي الدعوة " " وعايز أضيف حاجة .. أما شفت الأنبا شنودة وشتفت التلمساني وقلت له هذا الكلام اللي بقوله لكم الآن :

" يا تلمساني الجمعية غير شرعية بمقتضى قرار مجلس قيادة الثورة .. اكتبوا طلب جديد وابعثوه الى وزارة الشؤون الاجتماعية عشان تسجلوا الجمعية من جديد الى أن يتم هذا بالروح اللي احنا عارفنها وبالروح التي خلتي أقول لشنودة ياأخي بلاش 30,35 كنيسة

" قلت للتلمسانى كمل وقدم الطلب والجريدة علشان تاخذ وضعها بس لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين " .
" وللأسف فإنه من الجانبين سواء من الجماعات الاسلامية والاخوان المسلمين أو من ناحية الأنبا شنودة والكنيسة القبطية .. الى أن وصلنا الى عملية الزاوية الحمراء "

" التلمسانى لما جانى كان عندى فكرة أنه أدخله مجلس الشورى باعتبار أن فيه لنا جزء بالتعيين فيبقى فيه أقباط معينين وأعين أيضا التلمسانى عشان داخل المجلس الناس تبتدى تعرف بعضها وزى ما قلنا مجلس الشورى ده مجلس العيلة .. ما كنتش أعرف أبدا أن هناك للإخوان والجماعات الاسلامية وزى ما هاوريكم دلوقتى ما فيش حاجة اسمها إخوان مسلمين وجماعات اسلامية كله واحد .. الإخوان المسلمين أتاى لها تار مع ثورة 23 يوليو تار ليه ؟ لكن ما بقيتش فاهم بدليل أنى شفت التلمسانى شفته فى الاسماعيلية وأنا باجمع فى رمضان الجماعات الاسلامية ندهت له وقلت له : مش عيب يا تلمسانى فى مجلة الدعوة بتاعتك تكتب أن أمريكا بعثت لممدوح سالم وهو رئيس وزارة تقول : اضرب الجماعات الاسلامية أحسن دول خطر عليكم وموش عيب هو احنا بنقبل تبليغات من حد وهو أنا لما كان فيه سبعتاشر الف خبير سوفيتى وشميت ريحة من الاتحاد السوفيتى محاولة فرض إرادة علينا طلعتهم فى اسبوع ده قلته قدامه له ما قدرش يرد "

" فقال شوف عدد الدعوة اللى هية زى ما قلت لكم جمعية غير شرعية الدعوة وجمعية الشبان المسلمين غير شرعية زى ما قلت للتلمسانى قلت له روح سجل وخذ الإذن له من هنا لهنالك خللى الدعوة ماشية بس لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .. تعالوا بقى للعدد بتاع أغسطس 81 بتشتبم العرب التلمسانى بيقول لهم عقدت مصر معاهدة السلام مع اسرائيل وعارضناها من أول لأنها كانت ولا تزال شر من جميع نواحيها وعلت صرختكم غضبا وكنا نظن أنكم ستفعلون شيئا ينقذ المسلمين من أخطار هذه المعاهدة الفظيعة "
" بيستعدى على بلده لأنه هو الرجل المسئول عن الدين وعن الاسلام ولى الله على الأرض وبيهاجم العرب إزاي إحنا نعارضها وأنتم ما تعملوش حاجة وتكتفوا بالكلام بس "

" وبعدين يكتب واحد من الكتاب بتوعهم فى نفس العدد أولا وقبل كل شىء .. فى صفحة 8 ونحن نرفض فكرة فصل الدين عن السياسة وما يترتب على ذلك بعدم إقامة أحزاب سياسية على أساس دينى وعدم اشتغال الجمعيات الدينية بالسياسة .. بمنتهى الوضوح كده دا واحد من اللى بيكتبوا فى الدعوة ومن الإخوان المعروفين أنا محيرنى كان إيه ؟ الإخوان فعلا خلال 18 سنة قبل ما أتولى رئاسة الجمهورية حصل معركتين معاهم المعركة الأولى كانت فى 54 زى ما أنتم فاكرين انحلتا الإخوان وحاولوا يموتوا عبد الناصر فحصل اللى حصل وقبض عليهم واتصفت الجمعية والجهاز السرى و " المرفقات " وكل اللى انتم عارفينه .

العملية الثانية كانت فى 65 - طيب أنا لما جيت عام 70 طلعت جميع الإخوان من السجن اللى محكوم عليه أعدتهم لوظائفهم صرفوا لهم فرق الماهية اللى كانوا مسجونين بيها أنا اعتقدت أن الموضوع خلاص اتصفى وانتهى لا شغل اللى يقولوا عليه التقية .. بس التقية ما هياش عندنا احنا السنة .. المسلمين السنة فأتاريهم كانوا بيكلمونى بلسان إنما لا دا تارهم مع ثورة 23 يوليو وقعدوا الوقت ده كله يرتبوا والجماعات الاسلامية وغيره لليوم المعهود وعلى هذا " كماله المقال " ده " فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامى قرأنى فهم جنوده وأنصاره وأعوانه وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله "

" طيب أداء الأمانة والحكم بمنهاج إسلامى قرأنى .. مين اللى يحدوده هم اللى يحدوده طبعا وعليه كده بوضوح وبعدين لقيت ما هو أخطر صورة أنا وبيجن وكارتر فى كامب ديفيد اللى بنسلم فيها على بعض وبعدين كاتبين تحت الصورة " فى كامب ديفيد خرجت مصر من ساحة الجهاد خرجت مصر من ساحة الجهاد ده اللى بيقولوه أعداء مصر وجبهة الرفض القذافى وحافظ الأسد اللى بيقتلوا شعوبهم واللى بيسجلوا واللى فى إيران كل يوم بيندبج 60، 50، 70 وبيتنسف من الناحية الأخرى 70 الجراة والبذاءة دى ما هو بقى أخطر " .

" " العنوان مقالة أمريكا والتآمر على مصر المسلمة " فى نصف المقال يقول إيه اللى هو عدد أغسطس 81 ولقد ابتدعت الولايات المتحدة الأمريكية أسلوبا إجراميا للمجىء بهؤلاء الحكام هو بيتكلم عن الحكام اللى بيتعاونوا مع أمريكا أو أنجلترا أو فرنسا أو مع الاستعمار عموما هو أسلوب الانقلابات العسكرية الذى كان أخطرها على الإطلاق انقلاب 23 يوليو الذى سمته المخابرات الأمريكية على لسان رجلها مايلز كوبلان العملية الكبرى .. ولقد جاء هذا الانقلاب بالنموذج الكامل لشخصية الحاكم العميل الذى تطابقت ملامحه الشخصية مع ما رسمته المخابرات الأمريكية واستطاع أن يؤدى الدور المرسوم له بعقريّة إجرامية فاقت خيال الذين جاءوا به .. على عبد الناصر وموش عبد الناصر بقى لا .. ده انا اللى أعلنت ثورة 23 يوليو ده انا اللى أعلنتها الصبح ده أنا اللى اترفت من الجيش واتحبست واعتقلت وجعت وشردت على ما رجعت بعد 8 سنين للجيش تانى وعملنا ثورتنا سنة 52 الكتاب اللى بيستشهد به بتاع ما يلزكوبلان .. مايلز كوبلان دا صحيح رجل من السى .آى إيه " "

" البعض ببسأل بره يقول : الله طيب الفتنة الطائفية طيب جايين التانيين دول ليه العملية كلها حلقة واحدة وتنسيق واتحدة .. ثورة 23 يوليو زى الثورة الفرنسية تمام بالنسبة لمصر وزى ثورة أمريكا بالنسبة لأمريكا فلما يجى بالبساطة يكتب بهذه فلما بهذه البذاءة والتهجم والاجرام دى ثورة شعب طلع من جديد وكان محكوم عليهم اتعلموا وعادت الحقوق لأصحابها .. كامب ديفيد ما خرجتش مصر من ساحة الجهاد . ده أسيادهم اللى بى ولوهم ولازم يدفعوا ثمنه وثورة 23 يوليو أنا طلعت غطان كان لازم أخليهم فى مكانهم " تصفيق حاد "" زى ما حاكى لكم كل من مهد أو ساند أو جند من أحزاب .. من مشتغلين بالحياة السياسية .. من صحفيين .. من أساتذة جامعة .. لن أرحمه أبدا "

ثم قرأ السادات القرارات التى قيل أنها لحماية الوحدة الوطنية وإخماد الفتنة وشملت قرارات التحفظ والنقل والفصل لوظائف أخرى وحل عدد من الجمعيات الدينية الاسلامية والمسيحية ومصادرة مجلاتها والدعوة لاستفتاء شعبي .

وهكذا نجد أن أنور السادات ألقى بجميع أوراق اللعبة على مائدة توجهاته نحو جماعة الإخوان .. فهو قد كشف بوضوح ندمة على إخراج الإخوان من السجون وحنقه من مواقف الإخوان المعارضة لمعاهدة السلام والغريب أن أنور السادات أشار الى أن عمر التلمسانى من أسباب الفتنة فى حين أنه فى إحدى خطبه السابقة قال إن المؤتمر الدائم للجماعات الاسلامية كان له دور مشكور فى إخماد الفتنة وكان التلمسانى رئيسا لهذا المؤتمر والغريب أن الحضور فى المرتين صفقوا له *

كما لم يكمل السادات حديثه فيما يختص بعرض دخول عمر التلمسانى مجلس الشورى وهو اعتذار التلمسانى عن قبول هذا العرض شاكرا وذلك فى أحد اللقاءات الثنائية بين السادات والتلمسانى فى القناطر الخيرية .

ولقد كشف أنور السادات فى هذا الخطاب ما بينه وما بين جماعة الإخوان حين قال : إن هناك " تار بايت " بين الاخوان المسلمين وثورة 23 يوليو ولكن استقرار الأحداث يقول : إن مسألة الانتقام لم تكن فى ذهن أى عضو بجماعة الاخوان وإنما تركوا المسألة برمتها للعزيز الجبار المنتقم وكان واضحا أن تهمة الفتنة الطائفية كانت فى ذيل الاتهامات الموجهة للإخوان المسلمين وكان على رأس القائمة موقف الإخوان من معاهدة السلام - حيث كان صوت الإخوان من المعاهدة أعلى وأبرز الأصوات معارضة لها - دون تطرف وإنما فى حدود الكلمة وبالحسنى فقط وتوالت خطب وبيانات السادات فتحدث مع مراسلى الصحف الأجنبية وكان واضحا للرأى العام المصرى حالة التوتر والعصبية التى كانت تسيطر على السادات وحديثه لأحد المراسلين قائلا : " لو لم تكن فى بلادى لأطلقت عليك الرصاص " حينما حاول المراسل الربط بين زيارة مناحم بيجن لمصر وزيارة السادات لأمريكا وما حدث بعد ذلك من حملة اعتقالات لكل صوت معارض فى مصر . ثم كان بيان السادات للشعب حيث واصل حملته على جماعة الاخوان وروى قصتها مع الضباط الأحرار وحرص السادات على الربط بين نشاط الجماعات الاسلامية والإخوان المسلمين بل مضى الى أكثر من ذلك فى قوله : عبر السنوات الثلاث الماضية بقى الجماعات الاسلامية بدأت طبعها الإخوان المسلمين لأنه زى ما قلت لكم الجماعات الاسلامية هى الجهاز السرى للإخوان المسلمين "

ويقول عمر التلمساني : لقد كان شائعا في صفوف المصريين حتى رجل الشارع أن زيارة بيجن التي انتهت في الاسكندرية والتي انتهت بأحداث 3 سبتمبر 1981 كانت هي السبب الحقيقي في كل ما جرى في مصر بعد ذلك .

ويضيف التلمساني : لا شك أن الأسلوب الذي سلكه السادات في آخر أيام حكمه وما شاع من أن هناك إصلاحات في سجن الطور لاقامة معتقلات دائمة الى آخره يدل على أنه كان سيسلك نفس الطريق الذي سلكه عبد الناصر ولكن في هذه المرة الجميع إخوان وغير إخوان ووفديين وشيوعيين وغيره بالجملة .

**** تحقيقات المدعى الاشتراكي :**

وبعد عدة أسابيع من التحفظ على ال1536 حسب المصادر الرسمية - بدأت التحقيقات تجرى يوميا في مكاتب المدعى الاشتراكي وقد استغرقت التحقيقات مع عمر التلمساني أربع جلسات على مدى شهر كامل ويقول الأستاذ التلمساني : " لقد سألوني عن كل المحاضرات والمقالات التي كتبتها منذ خمس سنوات لأن المباحث العامة قدمت مذكرات تحوى كل تحركاتي وكتاباتي وحسبت أيضا خطواتي في السنوات السابقة على هذا الاعتقال .. حتى أني قد ألفت محاضرة في نقابة المحامين عن الحرية في الاسلام وذكرت فيها " أن مصر تتمتع بجزء قليل من الحرية ولكننا نريد حريات أوسع وأكبر حتى تأخذ الحرية وضعها الصحيح فكانت مذكرة المباحث : إن عمر ألقى محاضرة في الحرية ولم يقولوا إنها كانت مع الحرية أو ضد الحرية وكانوا يقطعون بعض العبارات من المقالات ويرسلونها في مذكرتهم المدعى الاشتراكي كدليل على أنني أقاوم الحكم القائم حتى أن المحقق لما سألني عن أحسن نظم الحكم قلت له : الخلافة الاسلامية فكان بدوره يسأل أيضا أليس في هذا معنى لقلب نظام الحكم وتغيير الأنظمة في مصر ؟ فقلت : هذا فهم عجيب لأن الخلافة الاسلامية ليس معناها أن أنور السادات سيطاح به من الحكم أو يتغير ونفس الاشتراكية أخذت الكثير من المبادئ ولكنها لا تحتاج إلا لشيء من التعديل لا أكثر ولا أقل .. فنحن ما فكرنا في يوم من الأيام لا في مؤامرات ولا في قلب الحكم ولا في إزالة حاكم ولا غيره من هذه الأشياء .

ويضيف عمر التلمساني في المرة الرابعة شكوت من سوء المعاملة بل ورفضت إجراء التحقيق معي والسبب أنه في كل مرة عندما يدار التحقيق كنت أطلب من السيد المحقق أنه يتصل بإدارة السجن لتعديل المعاملة التي كنت أعامل بها لدرجة أنني قلت له : إنهم يقتلونني جوعا فلم أجد نتيجة لكلامي ففي المرة الثالثة أو الرابعة عندما بدأ سؤالي قلت له : لن أجيب على أي سؤال من هذه الأسئلة ما دامت المعاملة على هذه الصورة وأنتم لا تتدخلون ولم أر شيئا مما حدث ولكنني أريد القول : إن المعاملة لم تكن مخاشنة من ضباط السجن أو رئيس السجن وإنما الحقيقة أنهم كانوا في منتهى الأدب معي .. إنما التصرف المادي من ناحية الأكل والطعام والراحة وقضاء الحاجة كانت مفقودة تماما .. أما بقية المعتقلين فكانت معزولا عنهم في سجنى الانفرادى وكنت أسمع أنه كان هناك بعض المضايقات وكان بعض الذين يترددون على المعتقلين في مختلف السجون وكان منهم أفراد يعملون في المنشآت التي كانت تقام في الطور كانوا يقولون : إن هناك إعدادا تاما لاقامة كل من سيحكم عليه في قضايا القيم او العيب بالارسال الى الطور ويظل هناك حتى نهاية حياته سواء كان وفديا أو شيوعيا أو إخوانا مسلمين أو جميع الهيئات التي تنكر لها السادات وألقى القبض على قادتها وزعمائها .

" " وقد قال عمر التلمساني خلال التحقيقات : لقد دعوت سابقا للرئيس أنور السادات بطول العمر والآن فإنني أسحب هذا الدعاء : " وفي الجلسة الأولى للتحقيقات تدافع أكثر من 30 محاميا للحضور مع الأستاذ التلمساني مما اضطر مكتب المدعى الاشتراكي لقصر الحضور على عدد محدود منهم وقدم لهم عمر التلمساني شكره على تطوعهم للدفاع عنه وانصرف الباقي وقد استمرت التحقيقات في بعض الأحيان أكثر من 10 ساعات وقد طلب الأستاذ عمر التلمساني أكثر من مرة حضور وزير الداخلية (نبوى اسماعيل) كشاهد على ما يقوله حول دوره في أحداث الزاوية الحمراء وغيرها من المواقف وقد منعت الزيارة أو الاتصال عن كل المعتقلين خلال فترة حكم أنور السادات ومنعت عنهم كل وسائل المعرفة بما يدور خارج المعتقلات وكان الشيء الوحيد المسموح به هو إرسال الملابس والنقود للكاتنين " فقط وعدا ذلك يدخل قائمة الممنوعات .

ويقول الاستاذ عمر التلمساني : وفي مجال التحقيقات فقد ذكرت أنه كان مضيقا علينا بصورة غير معقولة وهذا الكلام قلته لوزير الداخلية السابق قلت إنكم ركزت كل مسؤولياتكم على الاخوان المسلمين وتركتكم هذه الجماعات وقد بلغته أكثر من مرة دعونا أعطونا فرصة لكي نفهم الشباب .. إن هذه الجماعات الدينية تعتبر الأزهر و علماءه موظفين رسميين .. دعونا نحن ولم يمكننا وفي بعض الأحيان كان وزير الداخلية يرسلني الى بعض كليات الجامعة وحين كنت أخطب في الشباب كانوا يتقبلون كلامي ونصحتي ضد التظاهر وضد العنف وضد الإضراب وضد التخريب والاعتصام كل هذه المظاهر كنت أقاومها بمنتهى الوضوح ومنتهى الصراحة وفي الزاوية الحمراء أنا أول انسان اتصل به السيد نبوي اسماعيل وأول إنسان خدمته في هذا .. "

ومن نافلة القول أنا لسادات أراد في ضربة واحدة تصفية كل قوى المعارضة التي اقلقت مضجعه وهزت كيانه السياسي وكشفت الكثير مما يعانيه الشعب من نظامه خاصة البعد الاقتصادي والأزمات المتوالية التي غرق فيها الناس في ظل وعود بتحقيق رخاء وهمي ربما تحقق للبعض من استثمار سياسة الانفتاح وما تكشف عنها من ثراء غير مشروع للكثيرين وتضارب القوانين الاقتصادية وتفصيلها على البعض من المستفيدين من هذه السياسة ولعل الماضي القريب يذكر وقفات أنور السادات التي أسماها " موضوعية " وهي تعكس تراجع السادات المستمرة عن المضي في سياسة إتاحة الفرص للآراء المعارضة أن تقول كلمتها ولقد وصل أنور السادات لذروة إثارته العصبية بعد أن نجحت طبول الدعاية الغربية في تصويره أنه أحد معجزات الزعامة في القرن العشرين بعد مبادرته واتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام ولم يتصور السادات اللحظة أنه يمكن أن يقف أمامه رأي معارض بعد ما حققه من أمجاد لذلك فقد رتبت مذبة 3 سبتمبر للإطاحة بأصحاب كل الاتجاهات وعلى رأسها الإخوان المسلمون العدو رقم " واحد " لأنور السادات لما تمتعوا به من ثقة المصريين ولاعتمادهم في دعوتهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وخاصة في موقفهم من الصلح مع اليهود في من حديد مقاليد الأمور حتى لا يفكروا في الإطاحة به وحتى يقف على قدم المساواة في مفاوضات الصلح مع صديقة الجديد مناحم بيجين زعيم الأراجون الارهابي " السابق " وفي نفس الوقت فقد خرجت تحليلات خارج البلاد وخاصة في المجلات الإنجليزية والأمريكية تقول : أن ما يحدث في مصر الآن من حملة ضخمة للإعتقالات سوف تفجر موجة من الاغتيالات السياسية حيث ستنشط التنظيمات السرية (في القاع 9 بعد اختفاء التنظيمات الرعية (في القمة) وأن مصر سوف تشهد موجة من الغليان وعدم الاستقرار بعد وقوع هذه الأحداث الجسام .

- وهذا ما حدث بالفعل !!

الفصل الثاني والعشرون

إغتيال السادات

أسفرت موجة الاعتقالات التي جرت أحداثها صبيحة الثالث من سبتمبر 1981 والتي شملت حسب المصادر الرسمية 1536 تم التحفظ عليهم في سجون مصر المركزية عن موجة صامتة من الغليان وسط فئات وطوائف الشعب المصري الذي تعاطف معظم أبنائه مع من دخلوا المعتقلات التي عادت للظهور - وكانت خطوة إغلاقها إحدى مفاخر عهد السادات بغض النظر عن الاستفتاء الذي جرى عقب حركة الاعتقالات لأنه لا بد أن نجنب جميع الاستفتاءات التي جرت خلال عهدي عبد الناصر والسادات جانبا لعدم جديتها وصدقها في إظهار مواقف الشعب المصري ولأنها لم تكن تقل في تأييدها لمواقف النظام الحاكم عن نسبة التسعين في المائة وربما لا تقل عن 95 % في أحيان كثيرة !! وأحس الناس بأن هناك نارا تحت الرماد وأن " شطحات " السادات لا بد وأن تقوده في النهاية الى مصير محتوم .. وقد كان .

ففي الذكرى الثامنة لاحتفال مصر في السادس من أكتوبر بالانتصار الكبير على العدو الصهيوني وأثناء الاستعراض العسكري الذي جرت أحداثه في أرض الاستعراض بمدينة نصر هو موقع أختير لإقامة العروض العسكرية توقفت إحدى المركبات العسكرية أمام المنصة التي

كان يجلس عليها السادات وكبار رجال الدولة واندفع أربعة من العسكريين نحو هذه المنصة حاملين الرشاشات والبنادق ليسددوها نحو المنصة ليسقط السادات قتيلا في الحال كما لقي عدد من العسكريين والمدنيين مصرعهم .

وعقب وقوع الحادث سادت موجة من الاضطراب والفوضى ونزلت قوات الجيش لمحاصرة مخارج ومداخل القاهرة والمدن الكبرى والسيطرة على المنشآت الحيوية ومع قدوم عيد الأضحى المبارك عقب الحادث بيومين سادت مصر موجة من العنف خاصة في محافظات الصعيد وبالتحديد في محافظة أسيوط حيث اشتبكت مجموعة من الجماعات الدينية مع قوات البوليس راح ضحية هذه الاشتباكات عشرات من الضحايا من الطرفين ومن المدنيين الأبرياء - وجرت فيما بعد محاكمة أعضاء هذه الجماعات في قضية أمن الدولة العليا تحت اسم تنظيم الجهاد وعقب اغتيال السادات جرت عملية انتقال السلطة حيث عين - بمقتضى الدستور الدكتور صوفى أبو طالب رئيسا مؤقتا للجمهورية لحين إجراء الانتخابات ودعى أبناء الشعب المصرى لحضور الانتخابات والتي انتخب فيها الرئيس محمد حسنى مبارك رئيسا للجمهورية خلفا للرئيس الراحل السادات .

أما الغريب فهو كيف استقبل أبناء الشعب المصرى اغتيال السادات فقد استقبلوه بنوع من الوجوم والذهول - على عكس ما جرى بشكل غريب من موت عبد الناصر والغريب أيضا أن وزارة الداخلية كانت قد أعلنت قبيل اغتيال السادات ببدء السماح بزيارة المتحف عليهم والسماح لهم بالملابس والمأكولات وتم إلغاء هذا السماح بعد الحادث .

وبينما كانت تجرى تلك الأحداث كان المتحف عليهم يتابعون أيضا هذه الأحداث ويقول الأستاذ عمر التلمسانى : " أنا بطبيعتى أكره العنف وكنت أفضل أن يترك أمر أنور السادات الى أن تكشف أعماله عنه صراحة فيعرف المصريون من هو أنور السادات ؟ إنما لم أحزن ولم أفرح .. المسألة كانت عادية بالنسبة لى إنما يشهد الله أننى لم أهتز لا فرحا ولا تأسيت على كل ما تم وإنما قلت : هذا قضاء الله وأنا أعارض العنف فى مواقفى وكتابتى كلها .. أنا استنكرت بكل قوة العنف أو القتل أو الإغتيال " وبالرغم من معاناتى فإنى أمقت هذا الذى حدث من كل قلبى ذلك لأن الإسلام لا يعرف الاغتيال السياسى *

وقد حجبت أجهزة الأمن المصرية أسماء من قاموا بعملية الاغتيال لعدة أيام وأعلنتها فيما بعد وقبيل محاكمة من قاموا بها " واتضح من التحقيقات أن المجموعة التى نفذت عملية الاغتيال تكونت من أربعة أفراد يقودهم ضابط شاب اسمه خالد شوقى الإسلامبولى وضم للمجموعة المنفذة شاب آخر ويعمل مهندسا اسمه محمد عبد السلام فرج وقدموا للمحاكمة العسكرية التى بدأت جلستها يوم 21 نوفمبر 1981 أى بعد مضى 45 يوما على اغتيال السادات حيث صدرت عليهم أحكام بالاعدام لخمسة منهم وحكم على الباقين (18 متهما) بأحكام تتراوح بين الأشغال الشاقة المؤبدة والسجن لمدد متفاوتة ورأس هذه المحكمة اللواء دكتور سمير فاضل وعضوية اللواء مصطفى ماهر عبد العزيز الشاعر وقد جرت المحاكمات فى سرية تامة باستثناء جلسة الإجراءات الأولى وجلسة إعلان الأحكام واكتفت أجهزة الإعلام المصرية - كدأبها على مدى ثلاثين عاما - بنشر مقتطفات من أقوال الادعاء وممثل النيابة وحجبت كالمعتاد - مرافعات الدفاع وأقوال المتهمين وقد أحدثت هذه الأحكام أصداء حزينة لدى الراى العام المصرى - خاصة فى ظل توقعات متفائلة باحتمال تخفيف الأحكام - خاصة أن المحكوم عليهم تقع أعمار معظمهم فى العشرينات وقد دافع المتهمون عن أنفسهم بأنهم كانوا يريدون قتل السادات وحده دون غيره وطلبوا شهادة كبار رجال الدولة الذين كانوا يجلسون وقت الحادث بجوار أنور السادات ولم يستجب لطلبهم ودفعوا بأنهم شكلوا فيما بينهم جماعة للفتوى أفتت بأنه لا بد من احتثاث الفساد ورأس الفساد الممثل فى أنور السادات عملا بالآيات القرآنية والسنة النبوية المشرفة والتى تدعو للقضاء على الفساد والمفسدين وكانت جلسات المحاكمة العسكرية أشبه بمحاكمة تاريخية لنظام السادات بأخطائه وسلبياته ومظالمه .

**** أخطاء السادات :**

ويموت السادات طويت صفحة أخرى من صفحات نظام حكم الفرد أو حكم الصوت الواحد رغم وجود ملايين الحناجر وطويت صفحة أخرى لممارسات ثانی أعضاء مجلس قيادة حركة يوليو 52 العسكرية جاهر الأول بفرديته وديكتاتوريته وقننها دستوريا ودعا عشرات المفكرين لاقناع الرأي العام المصرى بحتمية الديكتاتورية وحاجة شعب مصر - باعتباره أحد الشعوب فى العالم المتخلف - لأن يحكم بيد من حديد للقضاء على أعداء الثورة أو الثورة المضادة بينما استتر الثانى وراء شعارات الديمقراطية ودولة المؤسسات واستتر أخيرا - نتيجة تفاعل وتصادم المد الإسلامى الجارف خاصة بين جيل الشباب المصرى - وراء الإسلام ..

ويقول الأستاذ عمر التلمسانى بالنسبة لمسألة الحكم فالحكم فى مصر لم يكن بالشريعة الإسلامية كما تردد وهذه مسألة يعرفها الجميع .. الناحية الثانية الصحف لم تأخذ حريتها الكاملة وحتى القول بأنه لم تكن هناك رقابة على الصحف إلا أننى فى مرة من المرات كنت عند الرقيب فى مقر الإذاعة وأظن اسمه طلعت خالد وكان يحاول منع نشر كلمة فى المجلة فذهبت اليه وقلت له : إما أن تصدر المجلة كما هى وإما ألا تصدر وفى أثناء الحديث طلب أخبار اليوم وتحدث مع من .. لا أدري ولكنه قال له : لم يكن هناك داع أنكم تقولون على حكام سوريا أنهم علويون أو غير علويين وأرجو أن تتجنبوا مثل هذه المسائل مرة أخرى وما من شك أن هذا نوع من أنواع الرقابة ولقد سمعته بأذنى وكل التحقيقات التى تدور الآن تشير بأصبعها الى سوء الإدارة وأن الأزمات التى مرت بها مصر من الناحية الغذائية والاقتصادية

والسكانية كان سببها كثير من الذين يحيطون بالسادات وما كان يتدخل لإيقاف مثل هذه التصرفات حتى ظهرت وطففت فوق السطح ! والفرق بين جمال عبد الناصر والسادات أن عبد الناصر كان واضحا فى تحديه للدعوة وللإسلام أما السادات فلم يكن عنده شجاعة عبد الناصر فى تحدى الدعوة وكان يتظاهر بالإسلام وباسم الله وبآيات القرآنية وهو فى الحقيقة يبتعد بتصرفاته عن الدعوة وما كان وجود الإخوان يريحه أو يرضيه ولكنه كان يطاول حتى تواتيه الفرصة فلما ظن أنها وافته فعل ما فعل فى 3 سبتمبر 1981 ونحن جميعا كنا نعلم أن فترات الهدوء التى كانت بيننا وبين عبد الناصر والسادات كانت فترات مؤقتة كنا نعلم تماما أنه ما كان يرضيهما أن تكون فى هذه البلاد قوة تقف أمامهما وكانا يطالبان من البلد جميعا أن يسلموا بما يقولان وأن يسير الجميع وراءهما فى أى

اتجاه يسيران فيه وتستطيع أن تعرف السادات وأخلاقه لو قرأت كتاب " البحث عن الذات " بدقة وعناية وقد رد على مقالة السادات خالد محى الدين فى مجموعة مقالات كتبها فى جريدة " الشرق الأوسط " حيث ذكر أحد مواقف السادات حيث قال : إنه فى ليلة الثورة وبعد أن أخطر باقتراب ساعة الصفر للقيام بالتحرك ذهب للسينما وافتعل مشاجرة بينه وبين أحد الموجودين فى دار السينما وذهب لقسم البوليس وحرر محضرا بذلك من باب الاحتياط فإذا فشلت الثورة أثبت أنه كان بعيدا عن منفذ العملية ثم كل الناس تعلم تماما كيف كان عبد الناصر يعامل السادات وادعاء السادات بأن عبد الناصر كان يستشيريه فى كل شىء ادعاء لا أساس له من الصحة .

ولقد مضى السادات فى طريق تحديه للدعوة طوال سنوات حكمه وأنهى ذلك بإصداره التعليمات باصلاح سجن الطور المنعزل فى صحراء سيناء للقضاء على معارضيه وسجنهم فيه للأبد ولكن الأيام دول ثم كان موقفنا المبدئى من معاهدات الصلح مع اليهود وهو المعارضة وانظر الآن ما ذا يحدث على خريطة الأحداث فإسرائيل لا تكتفى بالخريطة المعلقة بالكنيست وهى تريد أن تضم المنطقة من النيل الى الفرات ومن جنوب الجزيرة العربية الى لبنان ثم أنظر ما ذا حدث بعد توقيع معاهدة السلام .. غزت إسرائيل لبنان وسفكت الدماء وارتكبت أبشع المذابح ومضت فى سياسة إقامة المعسكرات اليهودية الجديدة على الأرض العربية وضمت القدس عاصمة أبدية موحدة لها لتلغى وجودها العربى والإسلامى فى حين يقف العالم الإسلامى مكتوف الأيدي فى حين أن العقيدة الإسلامية تمنع أن يحتل غير مسلم أرضا مسلمة وإذا ديسر أراضى المسلمين وجب عليهم الجهاد : السيدة بغير إذن زوجها والعبد بغير إذن سيده ولا يمكن أن يقوم إسلام مع بقاء إسرائيل . ز هذا خيال لأن إسرائيل - كما رأينا فى لبنان تنفذ المعاهدة بنذا بنذا وأمريكا وروسيا تعينانها على ذلك ولو اجتمعت الأمة على رأى واحد لن تستطيع أمريكا أو روسيا أو إسرائيل أن يؤثروا على الموقف بأية صورة من الصور .

وهكذا كانت محصلة نظام وممارسات السادات - الذى كان امتدادا طبيعيا للحكم العسكرى والشمولى الذى أرسلت عليه دعائمه جماعة الضباط الأحرار - وأسبغ هذا النظام على نفسه صبغة الديمقراطية وحرية الكلمة والعمل بالشريعة الإسلامية .. ولكن سرعان ما تكشفت

مواطن الفساد والإفساد التى تفتشت فى خلال أجهزة هذا لنظام وأضررت بمصالح البلاد وأمن وحرية المواطن انفتاح بلا ضوابط ولا حدود أدى لأثراء الكثيرين وتحولهم من خانة الأصفار الى خانة عشرات الأصفار فى اتجاه اليمين عشرات الصفقات المريبة والمشبوهة معظمها من النوع الفاسد اقتصاد متضارب الاستراتيجيات والمبادئ لدرجة أن يقف الرجل الأول والمسئول عن الاقتصاد ليحلف بالكعبة الشريفة أنه لا يوجد عجز فى الميزانية العامة للدولة بطريقة حسابه الشخصى العجيب ووصل حجم الديون الخارجية الى عشرات المليارات من العملات الصعبة وانهيار قيمة الجنيه المصرى داخليا وخارجيا وعلاقات خارجية مقطوعة من الجانب العربى والمسلم ز وغيرها كثير من مساوئ هذا النظام الذى أرسى دعائمه رب العائلة المصرية الذى يعلو على الخلافات والذى عاش حياة مترفة دون بقية عائلته ولم يكن قدوة لعائلته ولم يتأس بخلق الرسول صلى الله عليه وسلم الذى كان يجوع ولا يوقد فى بيته النار لمدة ثلاثة أشهر وظل يعيش على الخبز والخل والماء ولا بأمر المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب الذى كان يلبس القميص القديم فى الوقت الذى دنت لدولة الاسلام ممالك وامبراطوريات العالم تحت إمرته .. وهكذا اتفق عبد الناصر والسادات فى الكثير من ممارستهما وأخطائهما واتجها بمصر وشعبها الى طريق مسدود ولكن مرآة التاريخ لا تخطئ .

فهرس الكتاب

الموضوع	صفحة
اهـداء	5
تقديم بقلم الأستاذ عمر التلمسانى	7
تصديق	11
تمهيد تاريخى - هكذا بدأ الإخوان المسلمون	13
الباب الأول - لماذا اخترت الإخوان	21
الفصل الأول - عمر التلمسانى يتحدث	23
الفصل الثانى - وبدأت الرحلة باليعة	29
الفصل الثالث - التمهيد فى الثلاثينات	35
الباب الثانى : عقد الصدمات	51
الفصل الرابع - واشتعلت الحرب العالمية	53
الفصل الخامس - انشاء النظام الخاص	63
الفصل السادس - حرب فلسطين	69
الفصل السابع - حكايتنا مع النقراسى	72
الفصل الثامن - مؤامرة اغتيال الشهيد	76
الفصل التاسع - هذه هى مواقفنا	83
الباب الثالث - قصتنا مع انقلاب يوليو	89
الفصل العاشر - علاقتنا بالضباط الأحرار	91
الفصل الحادى عشر - هكذا أيدنا الحركة	93
الفصل الثانى عشر - خلافاتنا مع الانقلاب	96

105	الفصل الثالث عشر - حل الجماعة
108	الفصل الرابع عشر - أزمة مارس 54
113	الباب الرابع - المؤامرة الكبرى
115	الفصل الخامس عشر - وجاءت تمثيلية المنشية
126	الفصل السادس عشر - جرائم وراء الأسوار
135	الفصل السابع عشر - ظهور فكرة التكفير
141	الباب الخامس - اسرار الخلاف مع أنور السادات
143	الفصل الثامن عشر - بداية طيبة ولكن ؟
150	الفصل التاسع عشر - خلاف بسبب المعاهدة
163	الفصل العشرون - لعبة الفتنة الطائفية
176	الفصل الحادي والعشرون - وعادت المعتقلات
0186	الفصل الثاني والعشرون - إغتيال السادات
191	مصادر الكتاب